تحفة الخطباء

من القرآن وحديث سيد الأنبياء

تأليف

أبي عاصم البركاتي المصري

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ = ٢٠٢١

دار الهدي النبوي

مقدمة

الحمد لله وحده؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وبعد:

فهذا عدد من الأبحاث والشروح لبعض الأحاديث النبوية والخطب الدعوية؛ تجمعت لدي على مر أعوام مضت؛ أغلبها شروح لعدد من الأحاديث النبوية الطويلة؛ كنت ألقيتها في خطب الجمعة والدروس العلمية؛ فرأيت أن أضم بعضها إلى بعض ليتجمع ما تفرق ليسهل الوصول إليها، عسى أن يستفيد منها إنسان؛ أو أن يدعو لي بظهر الغيب محب وخلان؛ وإن من نافلة القول أن أبين أن الحديث النبوي أصل من أصول الدين فهو وحي الله تعالى لرسوله ﷺ ؛ ففما ينبغي أن يحرص الداعية في خطبه ودروسه أن يكون كلامه بالقرآن وبالحديث النبوي ليكون أوقع في النفوس وأقوى في التأثير وأبلغ في إقامة الحجة والنذارة؛ ولا بأس أن يدخل في خطبته شيئا من قصص السلف الصالحين؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه برقم (٣٤٦٢) عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، وأخرج الإمام أحمد (٤١٥٧) والترمذي (٢٦٥٧) وقال «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ أَبِيهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ

اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ -: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَحْفَظُ لَهُ مِنْ سَامِعٍ».

ولفظ الإمام الترمذي يؤكد على ضبط السماع و الحفظ وضبط الأداء : «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ».

وأخرج الإمام أحمد برقم(٢١٥٩٠) أبو داود (٣٦٦٠) والترمذي (٢٦٥٦) وحسنه ؛ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ».

ولمزيد بيان أقول أن هذه المجموع يشمل بعض البحوث والمقالات ليست من باب الوعظ؛ وإنما هي بحوثًا ومقالات في بعض المسائل الشرعية؛ وأيضا هذه الخطب المكتوبة عادة ما يكثر فوائدها؛ وليس كل ما يكتب يقال على المنبر؛ وإنما خطيب المنبر المرتجل أسير الوقت المحدد؛ ومراعاة حال المستمعين.

والله أسأل أن ينفعني بما كتبت يداي ويجعله لي صدقة جارية وعلما ينتفع به في حياتي وبعد مماتي؛ تصديقا بما أخرجه مسلم في "صحيحه" والبخاري في "الأدب المفرد" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ

انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ".

هذا وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فإني راجع عنه وأتوب الله مما يخالف الكتاب والسنة؛ والتوفيق من الله وحده فله الحمد والمنة.

يقولُ العمادُ الأصبهانيُّ:

"إنَّهُ لا يكتبُ إنسانٌ كتاباً في يومهِ إلا قالَ في غدهِ: لو غُيِّرَ هذا لكانَ أحسن، ولو زِيدَ هذا لكانَ يُستحسن، ولو قُدِّمَ هذا لكانَ أفضل، ولو تُركَ هذا لكانَ أجمل، وهذا منْ أعظمِ العبرِ، وهو دليلٌ على استيلاءِ النقصِ على جملةِ البشرِ".

وكتب ذلك/ أبو عاصم البركاتي المصري

الشحات شعبان محمود عبد القادر موسى عبد القادر

١٦ ذو القعدة ١٤٤٢ هـ

تحفة النفوس المطمئنة

بشرح حديث

" من يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ "

كتبه

أبو عاصم البركاتي المصري

بسم الله الرحمن الرحيم

فإن أحاديث رسول الله ﷺ احتوت على فوائد شتى وحكم وعبر وعظات جمة؛ ولكنها في كثير من الأحايين تحتاج إلى من يستخرجها ويظهرها لعموم الأمة ليتعبد لله بها؛ فهي تحتاج إلى دقيق الاستنباط كما تحتاج الدرة إلى من يرصعها ويلمعها؛ والمستنبط والمجتهد كلما نظر في حديث رسول الله ﷺ كلما أخرج منه أحكاما تصلح لوقائع ونوازل مستجدة لم يسمع بها الأوائل ممن سلف ؛ ورحم الله من قال: " تتناهي النصوص ولا تتناهى الحوادث أو الوقائع" ولهذا تحتاج النوازل إلى من ينظر في حديث النبي ﷺ فيجد لها حكما بالقياس أو بالعمومات أو تطبيقا للقواعد الفقهية التي يمكن أن يندرج تحتها كثيرٌ من المسائل ؛ وذلك حتى لا تقع الأمة في حرج بسبب الجهل بأحكام المستجدات والنوازل؛ وقد أعمل شراح الحديث جهدهم في خدمة سنة النبي ﷺ؛ ولكن كم ترك الأول للآخر؛ وهذه محاولة في شرح حديث من حديث رسول الله ﷺ؛ لعلها تكون لي ذخرا في الآخرة والحمد لله وحده؛ وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وآله وصحبه.

متن الحديث

أخرج مسلم في "صحيحه" برقم (٥٢) قال: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْحَنَفِيُّ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو كَثِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَزِعْنَا، فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا؟ فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ - وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ - فَاحْتَفَزْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ: «أَبُو هُرَيْرَةَ» فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وَهَؤُلَاءِ النَّاسُ وَرَائِي، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، قَالَ: «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللهِ ﷺ ، بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَخَرَرْتُ لِاسْتِي، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ،

فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً، وَرَكِبَنِي عُمَرُ، فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ، فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لِاسْتِي، قَالَ: ارْجِعْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عُمَرُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ، وَأُمِّي، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَخَلِّهِمْ».

مفردات الحديث:

فأبطأ : تأخر في الرجوع

يُقتطع: يؤخذ ويؤذى.

فزعنا : الفزع الخوف.

الحائط: البستان يكون له سور ولا سقف له.

فاحتفزت: أي صغرت جسمي وطويت بدني ومعناه: تضاممت ليسعني المدخل. ورويت فاحتفرت بالراء ؛ قال النووي : رواية الزاي أقرب من حيث المعنى، ويدلُّ عليه تشبيهه بفعل الثعلب وهو تضامه في المضايق. وأما

صاحب التحرير فأنكر الزاي وخطّأ رواتها، واختار الراء، وليس اختياره بمختار". شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ٢٣٦).

الإست: مؤخرة الإنسان ومقعدته.

أجهشت بالبكاء: كدت أن أبكي.

ركبني عمر: أي تبعني.

فوائد الحديث

فائدة (١) : الحديث من رواية أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه.

وأسوق ترجمة مختصرة لأبي هريرة رضي الله عنه فأقول:

أبو هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر من ولد ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس اليماني، وكان اسم أبي هريرة في الجاهلية عبد شمس؛ وقيل غير ذلك؛ فسمّاهُ رسول الله ﷺ (عبد الرحمن)، اشتهر أبو هريرة بكُنيته، حتى غلبت عليه على اسمه فكاد ينسى؛ كان محبا للعلم وحريصا على حفظ السنة والحديث؛ دعا له رسول الله بالحفظ بعد شكوى أبي هريرة له من نسيان العلم؛ قَالَ الْبُخَارِيُّ: «رَوَى عَنْهُ نَحْوٌ مِنْ ثَمَانِمِائَةِ رَجُلٍ أَوْ أَكْثَرُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ»[١].

---

(١) " تهذيب التهذيب " ص ٢٦٥، جـ ١٢. و " البداية والنهاية ": ص ١٠٣، جـ ٨.

عاش طويلا بعد رسول الله ﷺ فأعطي فرصة للتحديث بما عنده من حديث سمعه من رسول الله ﷺ ؛ لذا فهو أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي؛ قيل مات في سنة ٥٩ وقيل سنة ٦٠ من الهجرة.

قال الذهبي : مسنده خمسة ألاف وثلاث وأربعة وسبعون حديثا (٥٣٧٤) المتفق في البخاري ومسلم منها ثلاث وستة وعشرون وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين حديثا ومسلم بثمانية وتسعين حديثًا.

قال الشيخ أحمد شاكر : روى له الامام أحمد في مسنده (٣٨٤٨) حديثا من (من رقم ٧١١٩ - الى ١٠٩٩٧) وفيها باللفظ أو المعنى ويصفو له بعد حذف المكرر خير كثير وهو اكثر الصحابة رواية[1].

فائدة (٢) : حسن صحبة النبي ﷺ لأصحابه.

قوله : " كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ "

وفيه جلوس العالم مع أصحابه وطلابه يعلمهم ويتابع أمورهم وشئونهم تأسيا بفعل رسول الله ﷺ فقد كان ﷺ يتفقد أصحابه؛ فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ كان إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيامٍ سأل عنه فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده" وفي

(١) مسند الامام أحمد بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر (١٢ / ٨٣).

الحديث قوله ﷺ: "إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلِّمكم "؛ وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: إِنَّا وَاللهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ(١).

وفي الحديث قوله ﷺ: "مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتَراحُمِهم وتَعاطُفِهم مَثَلُ الجسد؛ إذا اشتكَى منه عضوٌ، تَداعَى له سائرُ الجسد بالسهر والحمَّى "(٢) .

ومن ذلك سؤاله عن المرأة التي كانت تقم المسجد ؛ فعن أبى هريرة - رضِي الله عنه -: "أن امرأة سوداء كانت تَقُمُّ المسجد، ففقَدَها رسول الله - ﷺ - فسأل عنها، فقالوا : ماتت، قال: "أفلا كنتم آذنتموني؟"، قال: فكأنهم صَغَّروا أمرها، فقال: "دُلُّوني على قبرها"، فدلُّوه فصلَّى عليها"(٣) .

فائدة (٣): علو رتبة أبي بكر وعمر في أذهان الصحابة.

وذلك يظهر في قول أبي هريرة رضي الله عنه: "مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ"، فإنه اكتفى بذكر أشرافهم؛ والنفر الجماعة دون العشرة والجمع أنفار.

ومن ذلك أيضا في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " بَيْنَمَا رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى بَقَرَةٍ التَفَتَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، خُلِقْتُ

---

(١) أخرجه أحمد (٥٠٤) وحسن الأرناؤوط إسناده

(٢) أخرجه مسلم وغيره من حديث النعمان بن بشير رضِي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

لِلْحِرَاثَةِ "، قَالَ: " آمَنْتُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَأَخَذَ الذِّئْبُ شَاةً فَتَبِعَهَا الرَّاعِي، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لاَ رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي "، قَالَ: «آمَنْتُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ» قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَمَا هُمَا يَوْمَئِذٍ فِي القَوْمِ .[متفق عليه]

وفي الصحيحين أيضا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ، فَدَعَوُا اللَّهَ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ، إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِي، يَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، لِأَنِّي كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . [متفق عليه]

فائدة (٤): في هذا الحديث من الفقه جواز أن يقوم سيد القوم فلا يتبعه أصحابه، إذا فهموا من قيامه أنه لأمر لا يقتضي المشاركة، ويدل على هذا أنهم جلسوا على انتظار عوده، فلما أبطأ عليهم بُطأً خافوا معه عليه صلى الله عليه وسلم، قاموا يطلبونه[1].

---

(١) الافصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة (٨ / ١٩٧).

فائدة (٥) : حب الصحابة لرسول الله ﷺ.

قوله : "فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، ... " فيه بيان حب الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ وإكرامه والشفقة عليه، والانزعاج البالغ لغيبته المجهولة؛ وذلك لأن العدو يحيط بالمدينة من الكفار والمشركين واليهود والمنافقين؛ وقد ضرب الصحابة في هذا الباب صورا نسوق منها للاعتبار :

لما كان يوم أحد وأشيع مقتل النبي ﷺ ، حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار فاستقبلت بخبر موت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها يعني كلهم ماتوا واستشهدوا - رضوان الله عليهم - ، فكلما مرت على أحدهم قالت : من هذا ؟ قالوا أبوك .. أخوك .. زوجك .. ابنك .. وهي تقول : ما فعل برسول الله ﷺ؟ فيقولون : أمامك ! وهي تمضي - تركت الزوج والابن والأخ والأب - لم تقف، ما زالت تمضي، فلما رأت رسول الله ﷺ، أخذت بثوبه ثم قالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذا سلمت من عطب.

وفي روايةٍ أخرى لسعد ابن أبي وقاص في قصة هذه المرأة قالت: ما فعل رسول الله ؟ قال بخير يا أم فلان - هو بحمد الله كما تحبيه - قالت : أرونيه

حتى أنظر إليه ، فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت : كل مصيبةٍ بعدك جلل ، أي هينة .

وهذا خُبَيْب بن عَدِيٍّ لما وقع أسيرا في مكة بعد بدر أخذوه ليقتلوه انتقاما لقتلاهم يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَمَّا وَضَعُوا فِيهِ السِّلاحَ وَهُوَ مَصْلُوبٌ نَادُوهُ ونَاشَدُوهُ: أَتُحِبُّ مُحَمَّدًا مَكَانَكَ ؟ فَقَالَ: لا وَاللَّهِ الْعَظِيمِ مَا أَحَبُّ أَنْ يُفَدِّيَنِي بِشَوْكَةٍ يُشَاكُهَا فِي قَدَمِهِ.(١)

وقد كان ثابت البناني إذا رأى أنس بن مالك أخذ يده فقبلها ، ويقول : يدٌ مست يد رسول الله ﷺ.

وذلك منهم عملًا بالنصوص الواردة في ذلك ؛ فعن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين " (٢).

وكذا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ

---

(١) الطبراني في المعجم الكبير.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ"

[متفق عليه]

فائدة (٦): حب أبي هريرة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ.

لقوله رضي الله عنه: " وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَزِعْنَا، فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ،..." وهذا يدل على شدة حب أبي هريرة لرسول الله وشدة خوفه عليه ﷺ ؛ فقد أحب أبو هريرة رضي الله عنه رسول الله ﷺ حباً ملك عليه نفسه، فكان لا يهدأ له بال ولا تقر له عين حتى يرى رسول الله، فقد أخرج أحمد في المسند عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي وَقَرَّتْ عَيْنِي، فَأَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ : «كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْمَاءِ»، قَالَ: أَنْبِئْنِي بِأَمْرٍ إِذَا أَخَذْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ : « أَفْشِ السَّلَامَ وَأَطْعِمْ الطَّعَامَ وَصِلْ الْأَرْحَامَ وَصَلِّ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ثُمَّ ادْخُلْ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» (١) .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد(٧٩٣٢)(٨٢٩٥)(١٠٣٩٩) والحاكم(٤/ ١٦٠) وابن حبان في "صحيحه" (٥٠٨) (٢٥٥٩).

وكان كثيراً عندما يحدث يقول: أوصاني خليلي، أو قال خليلي، أو سمعت خليلي، وذلك لحبه لرسول الله ﷺ.

فائدة (٧): اهتمام الأتباع بحقوق متبوعهم والاعتناء بتحصيل مصالحه ودفع المفاسد عنه.

ومن ذلك في الصحابة ما فعله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أَرِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَالَ: «لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ»، قَالَتْ وَسَمِعْنَا صَوْتَ السِّلَاحِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ هَذَا؟» قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: يَا رَسُولَ اللهِ جِئْتُ أَحْرُسُكَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ.

قال النووي في شرح مسلم (١٥/ ١٨٣) : فيه جواز الِاحْتِرَاسِ مِنَ الْعَدُوِّ وَالْأَخْذِ بِالْحَزْمِ وَتَرْكِ الْإِهْمَالِ فِي مَوْضِعِ الْحَاجَةِ إِلَى الِاحْتِيَاطِ . انتهى

فائدة (٨): جواز دخول ملك الناس بغير إذنهم إذا علم أنهم يرضوا بذلك.

فإن النبي ﷺ دخل الحائط وتبعه أبو هريرة بغير استئذان؛ وفي ذلك قال الحنفية: إن البيوت إذا لم يكن لها ساكن، وللمرء فيها منفعة، يجوز له أن

يدخلها من غير استئذان؛ كالخانات والرباطات التي تكون للمارة، والخرابات التي تقضى فيها حاجة البول والغائط؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ (النور: ٢٩).

فائدة (٩): تأكيد صدق المخبر عن رسول الله بعلامة أو قرينة.

وذلك مستفاد من إعطاء النبي ﷺ نعليه لأبي هريرة لتكون علامة على لقياه بالنبي ﷺ ؛ وتؤكد خبره الذي سينقله عن رسول الله ﷺ ؛ لا سيما وفيه بشارة لأصحاب رسول الله ﷺ ولأهل التوحيد.

فائدة (١٠): فيه بيان عقيدة أهل السنة أن التوحيد والشهادتين لابد لهما من النطق باللسان فلا يكفي اعتقاد القلب حتى يقر اللسان وتعمل الجوارح وذلك مستفاد من قوله ﷺ: «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ».

فيقين القلب لا ينفع صاحبه إلا مع إقرار اللسان مع عمل الجوارح والأركان؛ كما قال تعالى عن فرعون وقومه : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: ١٤)

قال القرطبي في تفسيره (١٣ /١٦٣): أَيْ تَيَقَّنُوا أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ سِحْرًا، وَلَكِنَّهُمْ كَفَرُوا بِهَا وَتَكَبَّرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُوسَى. انتهى

قلت: فلم ينفعهم تيقن القلب لأنهم جحدوا بألسنتهم ولم تذعن جوارحهم.

فائدة (١١): استحباب التعبير بالكنايات والإشارات فيما يستقبح سماعه؛ إلا فيما فيه مصلحة أو ضرورة ملحة؛ ومن ذلك لفظ " الإست" وأمثال ذلك في القرآن كثير من ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ (الأعراف: ١٧٩).

وقوله عز وجل :﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧).

وقوله سبحانه :﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة :٢٢٢).

فائدة (١٢): جواز قول الرجل للآخر: بأبي أنت وأمي، وقد كرهه بعض السلف، وقال: لا يفدى بمسلم، لكن الأحاديث الصحيحة، تدل على جوازه، وخصوصا أن الافتداء غير مقصود حقيقة، وإنما المقصود التعبير عن الحب والبر والحنان[1].

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (١ /١٢٢) للدكتور موسى شاهين.

فائدة (١٣): فعل عمر رضي الله عنه مع أبي هريرة رضي الله عنه ليس تكذيبا لخبره وإنما لحرصه على العمل وعدم الاتكال على بشارة رسول الله ﷺ.

فائدة (١٤): ومن ذلك أيضا تحري عمر رضي الله عنه وتثبته فيما ينسب لرسول الله ﷺ ؛ وقد فعل ذلك مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في حديث الاستئذان؛ ففي الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ، إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ، فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلاَثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ؟ قُلْتُ: اسْتَأْذَنْتُ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ» فَقَالَ: وَاللَّهِ لَتُقِيمَنَّ عَلَيْهِ بِبَيِّنَةٍ، أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: وَاللَّهِ لاَ يَقُومُ مَعَكَ إِلَّا أَصْغَرُ القَوْمِ، فَكُنْتُ أَصْغَرَ القَوْمِ فَقُمْتُ مَعَهُ، فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَلِكَ. [متفق عليه]

وفي رواية ابن حبان في صحيحه (٥٨٠٦) وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط : "فَقَامَ مَعَهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، فَشَهِدَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: إِنَّا لَا نَتَّهِمُكَ، وَلَكِنَّ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَدِيدٌ".

فائدة (١٥): فيه بيان فضل التزود بالأعمال المفروضة والمستحبة؛ وبيان منزلة العمل الصالح من الإيمان؛ فالإيمان يزيد بالعمل الصالح وينقص بالمعصية؛ والتفاضل في الجنة بالأعمال؛ قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الزخرف: ٧٢) وفي الحديث عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ» [صحيح مسلم (٢٠٥)]

فائدة (١٦): فيه بيان فضل المشورة؛ وأن الشورى مبدأ إسلامي يسعى لتحقيق مصالح المسلمين في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩). وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (الشورى : ٣٨).

فائدة (١٧): عرض الأتباع الرأي والمشورة بغير طلب من الإمام؛ كما فعل عمر رضي الله عنه في الحديث؛ ومن ذلك أيضا القصة المشهورة في أحداث

غزوة بدر ؛ فقد روي أن الحباب ابن الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمَنْزِلٌ أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ وَلا نَتَأَخَّرَهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ قَالَ: بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ لَكَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ فَنَنْزِلَهُ، ثُمَّ نعور ما سواه من القلب، ثم نبنى عَلَيْهِ حَوْضًا فَتَمْلَؤُهُ مَاءً، ثُمَّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي ... الحديث(١).

فائدة (١٨): الرجوع عن الرأي وتقديم ما فيه مصلحة؛ وفي الحديث عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتِهَا، وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ» [مسلم (١٦٥٠)]

فائدة (١٩): جواز كتمان العلم للمصلحة .

في الحديث دليل على جواز كتمان العلم أحيانا لما في ذلك من مصلحة للعباد؛ ويدل لذلك أيضا حديث قَتَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٤٤٠).

قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهَا فَيَسْتَبْشِرُوا، قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا»، فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا . [متفق عليه]

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: " حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا البُلْعُومُ "

قال الحافظ في فتح الباري (١ /٢١٧) في شرح الباب : "الْأَحَادِيث الْمَكْتُوبَة لَوْ كَانَتْ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مَا وَسِعَهُ كِتْمَانُهَا لِمَا ذَكَرَهُ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ مِنَ الْآيَةِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَمِّ مَنْ كَتَمَ الْعِلْمَ؛ وَقَالَ غَيْرُهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ مَعَ الصِّنْفِ الْمَذْكُورِ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَتَغَيُّرِ الْأَحْوَالِ وَالْمَلَاحِمِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَيُنْكِرُ ذَلِكَ مَنْ لَمْ يَأْلَفْهُ وَيَعْتَرِضُ عَلَيْهِ مَنْ لَا شُعُور لَهُ بِهِ " انتهى

فائدة (٢٠): استدل به بعضهم على وقوع النسخ قبل الفعل، ورد بأن الأمر هنا قد بلغ ولو لواحد.

فقد مُنِعَ أبو هريرة من التبشير بقول رسول الله ﷺ رجوعًا من رسول الله ﷺ لرأي عمر رضي الله عنه؛ وفي مسألة جَوَاز النَّسْخ قَبْل الْفِعْل "قَالَ اِبْن بَطَّالٍ وَغَيْره: أَلَا تَرَى أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَسَخَ الْخَمْسِينَ بِالْخَمْسِ قَبْل أَنْ تُصَلَّى، ثُمَّ تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِأَنْ أَكْمَلَ لَهُمْ الثَّوَاب. وَتَعَقَّبَهُ اِبْن الْمُنِير فَقَالَ: هَذَا ذَكَرَهُ طَوَائِف

مِنْ الْأُصُولِيِّينَ وَالشُّرَّاح، وَهُوَ مُشْكِل عَلَى مَنْ أَثْبَتَ النَّسْخ قَبْل الْفِعْل كَالْأَشَاعِرَةِ أَوْ مَنَعَهُ كَالْمُعْتَزِلَةِ، لِكَوْنِهِمْ اِتَّفَقُوا جَمِيعًا عَلَى أَنَّ النَّسْخ لَا يُتَصَوَّر قَبْل الْبَلَاغ، وَحَدِيث الْإِسْرَاء وَقَعَ فِيهِ النَّسْخ قَبْل الْبَلَاغ، فَهُوَ مُشْكِل عَلَيْهِمْ جَمِيعًا. قَالَ: وَهَذِهِ نُكْتَةٌ مُبْتَكَرَةٌ. قُلْت: إِنْ أَرَادَ قَبْل الْبَلَاغ لِكُلِّ أَحَد فَمَمْنُوعٌ، وَإِنْ أَرَادَ قَبْل الْبَلَاغ إِلَى الْأُمَّة فَمُسَلَّمٌ، لَكِنْ قَدْ يُقَال: لَيْسَ هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ نَسْخًا، لَكِنْ هُوَ نَسْخٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّبِيّ ﷺ ؛ لِأَنَّهُ كُلِّفَ بِذَلِكَ قَطْعًا ثُمَّ نُسِخَ بَعْد أَنْ بَلَّغَهُ وَقَبْل أَنْ يَفْعَل، فَالْمَسْأَلَة صَحِيحَة التَّصْوِير فِي حَقّه ﷺ ، وَاللَّهُ أَعْلَم(١).

فائدة (٢١): فيه منقبة ظاهرة لعمر بن الخطاب، وفضيلة لأبي هريرة رضي الله عنهما.

فقد وجه أبو عوانة الاسفراييني صاحب "المستخرج على صحيح مسلم" الحديث لمناقب عمر بن الخطاب؛ وأن عمر رضي الله عنه هو صاحب البشارة بالجنة؛ فقال أبو عوانة: يُقالُ: إن هذا لأصحاب رَسُولِ الله ﷺ

(١) فتح الباري (١/ ٦١١) الكتب العلمية.

الموقنين، ولم يَعُمَّ بِهِ، وَإِنما قالَ: مَنْ لَقيتَ مِن وَرَاءِ الحائط، فلم يلق إلا عُمر، وعمرُ قد بشَّرَهُ النبي ﷺ بالجنَّة[1].

فائدة (٢٢): وثوق النبي ﷺ في أبي هريرة وائتمانه على العلم ؛ وفيه رد على الطاعنين في أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه طالب علم حريص عليه؛ روى البخاري بإسناده عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»

قال الحافظ ابن حجر: وَفِيهِ فَضْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَفَضْلُ الْحِرْصِ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ[2].

فائدة (٢٣): بيان فضل توحيد الله وفضل كلمة الإخلاص.

---

(١) مستخرج أبي عوانة (١ /١٧٧) ط الجامعة الإسلامية.

(٢) فتح الباري (١/٩٩).

وذلك لقوله ﷺ : «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»

فإن التوحيد سبب للفوز بالجنة؛ والنجاة من النار؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢).

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣).

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نوحي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا اله إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء:٢٥).

وعن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» [متفق عليه]

وفي الصحيحين من حديث مَحْمُودَ بْنَ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيَّ أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ – وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ ... الحديث؛ وفيه

قول النبي ﷺ: " فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ ".

ولمسلم عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ – رضي الله عنه– ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ».

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ"(١).

والتوحيد سبب لرجحان الحسنات وتثقيل الميزان؛ والنجاة من العذاب؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول قال رسول الله ﷺ " إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ"، قَالَ:

(١) أخرجه أبو داود وأحمد وصححه الألباني .

«فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»[1] .

قال ابن القيم في "مدارج السالكين" (١/ ٣٤٠):

فَإِنَّ الْأَعْمَالَ لَا تَتَفَاضَلُ بِصُورِهَا وَعَدَدِهَا، وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ بِتَفَاضُلِ مَا فِي الْقُلُوبِ، فَتَكُونُ صُورَةُ الْعَمَلَيْنِ وَاحِدَةً، وَبَيْنَهُمَا فِي التَّفَاضُلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالرَّجُلَانِ يَكُونُ مَقَامُهُمَا فِي الصَّفِّ وَاحِدًا، وَبَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

وَتَأَمَّلْ حَدِيثَ الْبِطَاقَةِ الَّتِي تُوضَعُ فِي كِفَّةٍ، وَيُقَابِلُهَا تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدُّ الْبَصَرِ، فَتَثْقُلُ الْبِطَاقَةُ وَتَطِيشُ السِّجِلَّاتُ، فَلَا يُعَذَّبُ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ مُوَحِّدٍ لَهُ مِثْلُ هَذِهِ الْبِطَاقَةِ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَدْخُلُ النَّارَ بِذُنُوبِهِ، وَلَكِنَّ السِّرَّ الَّذِي ثَقَّلَ بِطَاقَةَ ذَلِكَ الرَّجُلِ، وَطَاشَتْ لِأَجْلِهِ السِّجِلَّاتُ لَمَّا لَمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِهِ مِنْ أَرْبَابِ الْبِطَاقَاتِ، انْفَرَدَتْ بِطَاقَتُهُ بِالثِّقَلِ وَالرَّزَانَةِ. انتهى

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وحسنه وابن ماجه (٤٣٠٠) والحاكم (رقم ٩) وأحمد (٦٩٩٤) وقال الحاكم : " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ لَمْ يُخَرَّجْ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَهُوَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ " . ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٥).

وَقِيلَ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ قَالَ: بَلَى وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ(١) .

وكلمة التوحيد التي لا تثقل معها الذنوب هي التي لا يشوبها شرك بأنواعه، ومما يستدل به على فضل التوحيد الخالص وضرورة نفي الشرك ما أخرجه مسلم وأبو داود عن ابن عباس أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمْ اللَّهُ فِيهِ". فهؤلاء شفعوا لأنهم لا يشركون بالله شيئا.

ومما ورد في فضل التوحيد كذلك حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: " خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "(٢).

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قال :سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ "(٣)

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا.

(٢) الترمذي وأحمد وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٠٣).

(٣) أخرجه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١١٠٤).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِنْ تَأْتِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً بَعْدَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا جَعَلْتُ قُرَابَهَا مَغْفِرَةً وَلَا أُبَالِي»(١).

وفي لفظ عند مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً "(٢).

وللترمذي وحسنه عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً "(٣)

---

(١) أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" ص ٩٥

(٢) صحيح مسلم (٢٦٨٧).

(٣) الترمذي (٣٥٤٠) وصححه الألباني.

قال ابن دقيق العيد: قوله: "ثم لقيتني" أي مت على الإيمان لا تشرك بي شيئا ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[1] انتهى

والله من وراء القصد

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ص ١٣٩.

دعاء كشف الكرب "الله الله ربي لا أشرك به شيئا"

أبو عاصم البركاتي المصري

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ - أَوْ فِي الْكَرْبِ -؟ اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

تخريج الحديث:

أخرجه أبو داود (١٥٢٥)، والنسائي في "السنن الكبرى"(١٠٤٠٨) ، وابن ماجه(٣٨٨٢)، وأحمد (٢٧٠٨٢)، وإسحاق بن راهويه في المسند (٢١٣٥)؛ والحديث صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٢٧٥٥).

وللحديث شواهد:

الأول عن ثوبان رضي الله عنه:

أخرجه النسائي في "السنن الكبرى"(١٠٤١٨) ومن طريقه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٣٣٥)؛ وأخرجه الطبراني في "الدعاء"(١٠٣١) وفي

"مسند الشامين" (٤٢٤) وابن المقرئ في "معجمه" (٨٧٢) وأبو نعيم في "حلية الأولياء"(٥/٢١٩).

الشاهد الثاني عن عائشة رضي الله عنها:

أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٨٦٤) والطبراني في "المعجم الأوسط" (٥٢٩٠).

الشاهد الثالث: عن ابن عباس رضي الله عنهما:

أخرجه الطبراني في "الدعاء" (١٠٣٠) وفي "الأوسط" (٨٤٧٤) وفي "المعجم الكبير" (١٢/١٢٧٨٨)(١٢٧٨٨) وابن الأعرابي في "معجمه" (٧٨٣) ولفظه: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِعِضَادَتَيِ الْبَابِ ثُمَّ قَالَ: "يا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، إِذَا نَزَلَ بِكُمْ كَرْبٌ أَوْ جَهْدٌ أَوْ بَلَاءٌ فَقُولُوا: اللهُ اللهُ رَبُّنَا لَا شَرِيكَ لَهُ "

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١٠ / ١٣٧) : رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه صالح بن عبد الله أبو يحيى وهو ضعيف.

فوائد الحديث:

(١) الإشارة إلى فضل الدعاء وعلو شأنه وبيان أثره في تفريج الكرب؛ قال تعالى :﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل :٦٢]

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠)

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ" ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [«صحيح أبي داود» (١٣٢٩)]

(٢) صدق اللجوء إلى الله عند الاضطرار والحاجة سبب لنجاة العبد؛ قال تعالى :﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ . وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا

يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ ـ ٩٠].

(٣) فضل الافتقار إلى الله والتبرؤ من كل حول وقوة إلا حول الله وقوته؛ قال الله تعالى: ﴿يا أَيهَا النَّاسُ أَنتُمُ الفُقَرَاءُ إلى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الغَنِي الحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال تعالى في قصة موسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إلى مِنْ خَيرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

قال تعالى عن أيوب عليه السلام : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣] وكان النبي ﷺ يدعو فيقول: "اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلاَ تَكِلْنِي إلى نَفْسِي طَرْفَةَ، عَينٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ" [أبوداود].

وأيضا كان من دعاء النبي ﷺ في ركوعه: «اللّٰهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت. خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظمي، وعصبي» [أخرجه: مسلم]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: «ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟! أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، وأصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً»[١].

(٤) بيان فضل التوحيد والتبرؤ من الشرك؛ والتوسل بتوحيد الله تعالى لتفريج الهم والضيق؛ وهو مستفاد من قوله ﷺ: " اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ".

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الكَرْبِ يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ» [متفق عليه]

وفي الحديث التالي دعاء النبي ﷺ وتقديمه فيه واستهلاله بالافتقار إلى الله وتوسله بأسماء الله الحسنى، فقال: " مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ:

---

(١) أخرجه: ابن السنّي في "عمل اليوم والليلة" رقم ٤٦، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٢٢٧).

اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا " [أخرجه أحمد].

(٥) قصة عظيمة لعبد الرحمن بن زياد الأفريقي رحمة الله عليه.

قال الذهبي رحمه الله : أَسَرَتْهُ الرُّوْمُ، فَقُدِّمَ لِيُقتَلَ بَعْدَ قَتْلِ طَائِفَةٍ.

قَالَ: فَحَرَّكْتُ شَفَتِي، وَقُلْتُ: اللهُ اللهُ رَبِّي، لاَ أُشرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَلاَ أَتَّخِذُ مِنْ دُوْنِه وَلِيّاً.

فَأَبصَرَ الطَّاغِيَةُ فِعْلِي، فَقَالَ: قَدِّمُوا شَمَّاسَ العَرَبِ، لَعَلَّكَ قُلْتَ: اللهُ اللهُ رَبِّي، لاَ أُشرِكُ بِهِ شَيْئاً؟!

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: وَمِنْ أَيْنَ عَلِمْتَه؟

قُلْتُ: نَبِيُّنَا أَمَرَنَا بِهِ.

فَقَالَ لِي: وَعِيْسَى أَمَرَنَا بِهِ فِي الإِنْجِيْلِ.

فَأَطلَقَنِي وَمَنْ مَعِيَ. [سير أعلام النبلاء للذهبي (٦/ ٤١٢)]

هذا ما تيسر والله وحد من وراء القصد

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الكون ينطق بتوحيد الله

جمع وترتيب

أبي عاصم البركاتي

عفا الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعدة ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

فإن النظر في آيات الله الكونية والتأمل فيها فريضة ثابتة ، وذلك للتعرف على قدرة الله تعالى ، ومعرفة عظمته ، والقيام بعبادته، وقد جمعت في هذه الورقات ما يدعو النفس إلى ذلك ، والله أسأل أن يهدينا سبل السلام .

وكتب ذلك / أبو عاصم البركاتي

الكون ينطق بتوحيد اللّه

إذا نظرت إلي الكون الفسيح وجدته يسير علي نظام دقيق بديع محكم ،النجوم في أفلاكها ، والأجرام والكواكب في مساراتها بلا اختلاف ولا اضطراب منذ ملايين السنين ، لأنه من صنع إله خبير قدير؛ قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (الأنبياء:٣٣)

وقال سبحانه: ﴿ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يّس:٤٠)

قال الشيخ صالح الفوزان:

ولم يجحد وجود الرب إلا نذر يسير من البشر :كفرعون والملاحدة الدهريين والشيوعيين في هذا الزمان ، وجحودهم به من باب المكابرة ، والا فهم مضطرون للإقرار به في باطن وقرارة أنفسهم كما قال تعالي: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل:١٤).

وعقولهم تعرف أن كل مخلوق لابد له من خالق ،وكل موجود لابد له من موجد، وان نظام هذا الكون المنضبط الدقيق لابد له من مدبر

حكيم قدير عليم ، من أنكره فهو : إما فاقد لعقله ، أو مكابر قد الغي عقله ، وسفه نفسه، وهذا لا عبرة به[1].

الله جل جـــــلاله   رب العبـاد المنفـرد
آثــاره لــوجــوده   في كـل شيء تشهد
عالي الصفات فما له   فيها شبيه يوجـــــد
الأوحـد الباقي فما   يفني ولا يتعـــــدد

ومما ورد عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى فقال: لهم دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه ذكروا إلى سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تخلص منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد فقالوا هذا شيء لا يقوله عاقل فقال ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع فبهت القوم ورجعوا إلي الحق وأسلموا علي يديه.

---

(١) كتاب التوحيد للفوزان ص٧

وحدث مع عالم آخر من علماء السلف إذ جاءه بعض الملحدين وطلبوا الأدلة علي وجود الله تعالي ، فأعطاهم موعدا للمناظرة في مكان تم الاتفاق عليه، فلما حان موعد المناظرة تأخر عليهم ، فظنوه قد عجز عن الحضور لضعف حجته ، ولكنهم فوجئوا به يدخل مسرعا، فلما سألوه عن سبب التأخر قال لهم: أرأيتم لو أن رجلا أراد عبور النهر فلم يجد مركبا يحمله وبينما هو يقف ينتظر المركب إذ به يري بعض الألواح تظهر فجاه في النهر وتتجمع بعضها إلي بعض حتى صارت مركبا فاستقله هذا الرجل ليعبر إلي الشاطئ الأخر فماذا تقولون في ما حدث ؟؟ فقالوا أتهزأ بنا؟ كيف يصنع زورق نفسه بنفسه؟ فقال لهم هذا هو ما اجتمعتم لتجادلونني فيه ، إنكم لم تصدقوا أن زورقا صنع نفسه بنفسه ،فهل يكون هذا الكون الفسيح العظيم قد اوجد نفسه من غير صانع ؟؟ فبهتوا وآمن من آمن منهم وعاد إلي الحق والرشاد .

وعن الشافعي رحمه الله تعالي أنه سئل عن وجود الخالق عز و جل فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبرسيم وتأكله النحل

فيخرج منه العسل وتأكله الشاء والبقر والأنعام فتلقيه بعراً وروثا وتأكله الظباء فيخرج منه المسك وهو شيء واحد .

وعن الإمام مالك رحمه الله تعالى: أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغمات .

وسئل بعض الأعراب عن هذا وما الدليل على وجود الرب تعالي فقال:

يا سبحان الله إن البعر ليدل على البعير وإن أثر الأقدام ليدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير.

فيا عجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجـاحد
ولله في كـــــل تحـــــريكةٍ... وتســـكينة أبــداً شاهد
وفي كـــل شيء لـــه آيـــة ... تــدل على إنّه واحـــد

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي

خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١]

وقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السماء والأرض وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الذين كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النار﴾ [ص : ٢٧] .

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصات ... بأبصار هي الذهب السبيك

على قصب الزبرجد شاهدات ... أن الله ليس له شريك(١)

وقال آخر :

تأمل سطور الكائنات فإنها ... من الملك الأعلى إليك رسائل

وقد خط فيها لو تأملت خطها ... ألا كل شيء ما خلا الله باطل

إن الأرض وانبساطَها ، والنباتات وتنوعها ، والسماء وارتفاعها وما فيها من نجوم وكواكب وسحب ، والكون كله بدقته ونظامه لشاهد صدق انه من صنع وإبداع الله العليم القدير، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ. وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ (قّ: ٦، ٧، ٨)

---

(١) من شعر أبي نواس كما قال ابن كثير في تفسيره (١/١٨٩)

وقال سبحانه: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ موْزُون﴾ (الحجر:١٩)

وتعالوا بنا ننظر إلى خطبة قس ابن ساعدة حين قال[١]: أيها الناس ، اسمعوا وعوا ، فإذا وعيتم فانتفعوا إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات، جميع وأشتات ، وآيات بعد آيات . إن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرا، ليل داج ، وسماء ذات أبراج وأرض ذات رتاج وبحار ذات أمواج . مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا هناك فناموا ؟ أقسم قس قسماً حقًا لا حانثًا فيه ولا آثما إن لله تعالى دينا هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه ، ونبيا قد حان حينه ، وأظلكم أوانه ، وأدرككم إبانه ، فطوبى لمن آمن به فهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه ، ثم قال : تبا لأرباب الغفلة من الأمم الخالية، والقرون الماضية. يا معشر إياد، أين الآباء

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (١/٤٧٨) تاريخ دمشق لابن عساكر(٣/٤٣٢).

والأجداد؟ وأين المريض والعواد؟ وأين الفراعنة الشداد؟ أين من بنى وشيد؟ وزخرف ونجد ؟ وغره المال والولد ؟ أين من بغى وطغى ، وجمع فأوعى، وقال : أنا ربكم الأعلى ألم يكونوا أكثر منكم أموالا، وأبعد منكم آمالا ، وأطول منكم آجالا ؟ طحنهم الثرى بكلكله ، ومزقهم بتطاوله، فتلك عظامهم بالية، وبيوتهم خالية، عمرتها الذئاب العاوية، كلا، بل هو الله الواحد المعبود ، ليس بوالد ولا مولود ، ثم أنشأ يقول :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصـــائر

لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصــــادر

ورأيت قومي نحوها يمضي الأصاغر والأكابر

لا يرجــع الماضي إلي ولا من الباقين غـــابر

أيقنت أني لا محالة حيث صـــار القوم صائر.

فليخسأ إذن الملاحدة والعلمانيون والدهريون والطبيعيون الذين لا يؤمنون بالله ، ويرجعون الخلق إلي الصدفة أو الطبيعة أو المادة أو الضرورة أو غيرها

من الأوهام ، قال تعالي: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً﴾ (فاطر:٤٠)

وقال: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأحقاف:٤)

وقال سبحانه: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور:٣٥)

وفي الحديث عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ. (١) ؛ فكانت سبباً في إسلامه رضي الله عنه .

(١) أخرجه : البخاري ومسلم.

فالخلق دليل علي وجود الله ، وربوبيته للكون ، فالكون الواسع الشاسع وما فيه من شموس وأقمار ونجوم وكواكب دليل وبرهان علي ذلك ، والعجب أن الوثنين وعباد البقر والحجر ، وعباد الكواكب أو النار أو الشيطان أو غير هذا وذاك لم يأتهم من معبوداتهم رسول يعلمهم أنهم خلقوا الشمس أو القمر أو غيرها من المخلوقات ، لكن الله تعالي أخبرنا أن الكون وما فيه من صنعه ودعانا إلي الإيمان به والي عبادته وحده ، قال تعالي: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (يونس:٣٥)

وقال الله تعالي : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت:٥٣)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : كيف يطلب الدليل علي من هو دليل علي كل شيء !!!!!!. انتهى

قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ .

وقال جل وعلا: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ. وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾.

وفي إثبات الوحدانية قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

وقال سبحانه:﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ اله بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ .

اخسأ أيها الملحد

وقف مدرس ملحد لا يؤمن إلا بالمحسوسات المشاهدات أمام تلاميذه في الفصل فقال يا أولاد هل ترونني ؟ قالوا :نعم ، قال : إذا فأنا موجود ، هل ترون السبورة ؟ قالوا :نعم ، قال الملحد :إذا السبورة موجودة ، هل ترون الله ؟ قالوا لا ، قال الخبيث : فالله غير موجود ، فقال واحد من الطلاب : هل ترون عقل الأستاذ ؟ قالوا : لا ، قال : فعقل الأستاذ غير موجود .

انتهى والله وحده من وراء القصد

فضل التوحـــيد

أعده / أبو عاصم البركاتي

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾. (٣)

أما بعد..

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

تعريف التوحيد

التّوحيد لغة : الإفراد

ويطلق شرعًا: على تفرّد الله بالربوبية والإلهية، وكذلك الأسماء والصفات.

وعلم التوحيد يبحث عما يجب لله من صفات الجلال والكمال ، وما يستحيل عليه من كل ما لا يليق به ، وما يجوز من الأفعال، وعما يجب للرسل والأنبياء، وما يستحيل عليهم ، وما يجوز في حقهم ، وما يتصل بذلك من الإيمان بالكتب المنزلة ، والملائكة الأطهار ، ويوم البعث والجزاء ، والقدر والقضاء، وفائدته تصحيح العقيدة ، والسلامة في العواقب ، ونيل السعادة في الدارين ، واسمه : " علم التوحيد ، وعلم أصول الدين "[1].

التوحيد الذي هو أعظم مقصود وأهم مطلوب ، به أمر الله ، ومن أجله أرسل الرسل وأنزل الكتب وقد قال تعالى: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الْطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ

---

(١) مذكرة التوحيد: عبد الرزاق عفيفي ص١ ط الأولى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية

حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ﴾ [النحل:٣٦]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نوحي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا اله إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأنعام : ١٦٢- ١٦٣] .

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

بيان فضل: لا إله إلا الله

عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ: « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبدُ الله ورسولُه ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » . أخرجاه .

ولهما في حديث عتبان : « فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » .

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ(١).

(١) أخرجه أبو داود وأحمد وصححه الألباني في صحيح أبي داود

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « قال موسى عليه السلام : يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به ، قال : قل يا موسى لا إله إلا الله ، قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا . قال : يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ، ولا إله الله في كفة ، مالت بهن لا إله إلا الله »[١] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول قال رسول الله ﷺ إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في

(١) أخرجه ابن حبان والحاكم وصححه .

كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء[1] .

قال ابن القيم: فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العمل واحدة، وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض.

قال: تأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة، ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة، وتطيش السجلات، فلا يعذب. ومعلوم أن كل موحد له هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه.

وَقِيلَ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ[2].

وأقول أن كلمة التوحيد التي لا تثقل معها الذنوب هي التي لا يشوبها شرك بأنواعه، وإلا فكل مسلم له الكثير من قول لا إله إلا الله ، ومنهم من

(١) أخرجه الترمذي (٢ / ١٠٦ - ١٠٧) و حسنه و ابن ماجه (٤٣٠٠) و الحاكم(١ / ٦ ؛ ٥٢٩) و أحمد (٢ / ٢١٣) و قال الحاكم : " صحيح الإسناد على شرط مسلم " . و وافقه الذهبي . وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٥).

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً.

سيدخل النار بعصيانه ، وذلك لأن توحيده مشوب بأنواع من الشرك الأصغر عياذا بالله، ومما يستدل به على ضرورة نفي الشرك وتصفية التوحيد ما أخرجه مسلم وأبو داود عن ابن عباس أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمْ اللَّهُ فِيهِ.

وأخرج مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا فَلَمْ أَجِدْ فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا شَأْنُكَ قُلْتُ كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا فَفَزِعْنَا فَكُنْتُ أَوَّلَ مِنْ فَزِعَ فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ وَهَؤُلَاءِ النَّاسُ وَرَائِي فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ قَالَ اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ فَقَالَ مَا هَاتَانِ

النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَخَرَرْتُ لِاسْتِي فَقَالَ ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً وَرَكِبَنِي عُمَرُ فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قُلْتُ لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لِاسْتِي قَالَ ارْجِعْ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ يَا عُمَرُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَلَا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَلِّهِمْ.

وأخرج مسلم أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ يَا مُعَاذُ قَالَ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ يَا مُعَاذُ قَالَ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ يَا مُعَاذُ قَالَ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ إِذًا يَتَّكِلُوا ،فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا.

وعن أبي طويل شطب الممدود أنه أتى النبي ﷺ فقال: أرأيت من عمل الذنوب كلها فلم يترك منها شيئاً وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة (الداجة: الحاجة الكبيرة) إلا أتاها فهل لذلك من توبة؟ قال: "فهل أسلمت؟" قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: "تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن الله لك خيرات كلهن"، قال: وغدراتي وفجراتي؟ قال: "نعم". قال: الله أكبر. فما زال يكبر حتى توارى[١].

وعن عمرو بن عبسة قال: أقبل شيخ يَدَّعِم على عصاً حتى قام بين يدي النبي ﷺ فقال: يا نبي الله إن لي غدرات وفجرات فهل يُغفر لي؟ قال: "أليس تشهد أن لا إله إلا الله؟" قال: نعم، وأشهد أن محمداً رسول الله، قال: "فقد غُفر لك غدراتك وفجراتك"[٢].

ومن حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي، لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"[٣].

---

(١) أخرجه الطبراني والبزار بنحوه ورجال البزار رجال الصحيح غير محمد بن هارون أبي نشيط وهو ثقة. وصححه الألباني في صحيح الترغيب.

(٢) أخرجه أحمد والطبراني ورجاله موثقون.

(٣) أخرجه الترمذي وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٠٣).

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قال :سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ[1] .

وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : « لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عنها أحد أول منك ؛ لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه »[2] وللترمذي وحسنه عن أنس : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : يا ابن آدم ، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا : لأتيتك بقرابها مغفرة » . ولمسلم عن جابر – رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال : «من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار » رواه البخاري .

وعن معُاذِ بن جبلٍ رضي الله عنه قال : "كنتُ رَديفَ النبيِّ ﷺ على حمارٍ، فقال لي : يا معاذُ ، أتدري ما حقُّ اللهِ على العبادِ ؟ وما حقُّ العبادِ على اللهِ ؟ قلت : اللهُ ورسوله أعلم . قال : حقُّ الله على العبادِ : أن يعبدوه ولا يُشركوا

---

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم : ١١٠٤.

(٢) أخرجه البخاري والترمذي وأحمد

به شيئاً ، وحقُّ العباد على الله : أنْ لا يُعذِّبَ من لا يُشْركُ به شيئاً . قلت : يا رسولَ الله ، أفلا أُبَشِّرُ الناسَ ؟ قال : لا تُبشرْهُمْ فَيَتّكلُوا " أخرجاه في الصحيحين .

هذا ما تيسر

والله وحده من وراء القصد

عون المنعم بشرح حديث "المسلم أخو المسلم"

أبو عاصم البركاني المصري

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»

تخريج الحديث:

أخرجه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠).

معاني المفردات

(١) يسلمه : أي يخذله ويترك نصرته وهو قادر على نصرته.

(٢) حاجة: إعانة ومنفعة.

(٣) فرَّجَ: أزال ودفع وردَّ.

(٤) كربة : مصيبة وضيق وشدة عظيمة .

(٥) ستر: أخفى.

فوائد الحديث

الفائدة الأولى : التأكيد على روابط الإخوة الإيمانية؛ وأواصر الحب في الله ؛ تلك الإخوة التي قد تكون أقوى من إخوة النسب؛ قال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وحديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ : " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا "، وشبك بين أصابعه. [متفق عليه].

وعن النعمان بن بشير -رضي الله تعالى عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " [متفق عليه].

الفائدة الثانية: بيان احتياج المسلمين إلى الائتلاف والاعتصام والتآخي.

فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه؛ يرى بأعينهم ويتقوى بقوتهم ويستنير ببصيرتهم؛ ولذا طلب موسى عليه السلام من ربه أن يعينه بأخيه هارون عليه السلام؛ ففي الآية الكريمة: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ (طه: ٢٩-٣٢).

وقوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾ (التوبة:٧١)

ولأجل هذا آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار؛ وأصلح ما كان بين الأوس والخزرج من رواسب الجاهلية؛ وذلك لضمان سلامة المجتمع من الداخل.

الفائدة الثالثة: قوله ﷺ" الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ " أسلوب خبري يدل على الطلب إما على سبيل الإيجاب أو الندب والاستحباب؛ ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

وقوله سبحانه : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة: ٢).

وقد أمر رسول الله ﷺ بالتآخي ومجانبة ما يخالف الإخوة؛ ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ [٢٥٦٤]

وأخرج أبوداود والطبراني وغيرهما عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ والمؤمنُ أخو المؤمنِ يَكفُّ عنهُ ضيعتَه ويحوطُه من ورائِهِ".

الفائدة الرابعة: قوله ﷺ " لا يظلمه" فيه النهي عن الظلم؛ فالظلم محرم بالكتاب والسنة؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)

وأخرج مسلم عن أبي ذرٍّ جندبِ بن جنادة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "يا عبادي، إني حرَّمتُ الظلم على نفسي، وجعلتُه بينكم محرَّمًا، فلا تَظالَموا " الحديث.

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾، (إبراهيم: ٤٢)، ويقول الرسول ﷺ: « وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الغَمَامِ، وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ "[١].

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما «اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ».

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة أن النبي -ﷺ- قال: " مَن كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون

(١) أخرجه الترمذي(٣٥٩٨) وحسنه.

دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالحٌ أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه".

ويسأل -ﷺ- أصحابه فيقول : «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» [مسلم(٢٥٨١)]

الفائدة الخامسة: الإشارة إلى نصرة المظلومين والضعفاء؛ لقوله ﷺ " ولا يسلمه" أي لا يترك نصرته مع القدرة؛ يقال: أسلم فلان فلانا إذا ألقاه إلى الهلكة ولم يحمه من عدوه أو من مصيبة نزلت به؛ أو من تسلط ظالم عليه ؛ ولمسلم في صحيحه في حديث أبي هريرة " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ " وخذلان المسلم للمسلم ترك النصرة له وعدم إعانته على ظالمه.

وفي الحديث عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ: "تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ" [أخرجه البخاري].

وفي حديث الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: " أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ؛ فَذَكَرَ عِيَادَةَ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعَ الْجَنَائِزِ وَتَشْمِيتَ الْعَاطِسِ وَرَدَّ السَّلَامِ وَنَصْرَ الْمَظْلُومِ وَإِجَابَةَ الدَّاعِي وَإِبْرَارَ الْمُقْسِمِ" [أخرجه البخاري ومسلم]

وفي سنن أبي داود عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ، أُرَاهُ قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ، حَبَسَهُ اللَّهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ ".

الفائدة السادسة: الجزاء من جنس العمل؛ ويستفاد ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام " من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته " والمعنى من عاون أخاه وساعده وبذل له المعروف بماله أو بجاهه أو بشفاعته؛ وما شابه،

ويوضحه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: " وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ " [مسلم (٢٦٩٩)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رَسولَ اللهِ" أيُّ النَّاسِ أحبُّ إليكَ ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ، أحبُّ النَّاسِ إلى اللهِ أنفعُهُم للنَّاسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ سرورٌ تُدخِلُهُ على مسلمٍ أو تكشِفُ عنه كُربةً، أو تقضي عنهُ أو تطرُدَ عنهُ جُوعاً، ولَأَن أَمْشِيَ مع أخٍ لي في حاجةٍ أحبُّ إليَّ مِن أن اعتكِفَ في هذا المسجدِ شهرًا في مسجِد المَدينة، ومن كفَّ غَضبه سَتَرَ اللهُ عورتَهُ، ومن كظم غَيظه ولو شاء أن يُمضِيَهُ أن يُمضِيَهُ أمضاهُ مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجاءً يوْم القِيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجَةٍ حتى يُثَبِّتَها ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الأقدامُ. [صحيح الترغيب للألباني(٢٦٢٣)]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ» وهذا الحديث [رواه ابن ماجه (١٩٥)، "السلسلة الصحيحة" (١٣٣٢)]

وقد روى الترمذي (٢٢٦٣) عن أبي هُريْرة رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ وَقَفَ عَلَى نَاسٍ جُلُوسٍ، فَقَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟ قَالَ: فَسَكَتُوا، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا، قَالَ: خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لاَ يُرْجَى خَيْرُهُ وَلاَ يُؤْمَنُ شَرُّهُ " قال أبو عيسى: هذا الحديث حسن صحيح.

من روائع الأمثلة والقدوات

كان رسول الله ﷺ يسعى في قضاء الحاجات وتنفيس الكربات ولذا قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: "كلاَّ والله ما يُخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحملُ الكلَّ، وتقري الضيف، وتُكسبُ المعدوم، وتُعين على نوائب الحق".[رواه البخاري].

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يحلب للحي أغنامهم، فلما استخلف قالت جارية منهم: الآن لا يحلبها، فقال أبو بكر: بلى وإني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت أفعله. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعاهد بعض الأرامل فيسقي لهن الماء بالليل، ورآه طلحة بالليل يدخل بيت امرأة،

فدخل إليها طلحة نهارا فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فسألها: ما يصنع هذا الرجل عندك؟ قالت: هذا له منذ كذا وكذا يتعاهدني، يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى، فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، عثرات عمر تتبع؟[1].

الفائدة السابعة : فضل تفريج الكربات؛ وذلك مستفاد من قوله ﷺ : " ومَن فرَّج عن مسلم كربةً، فرج الله عنه كربةً مِن كربات يوم القيامة " والكربات أي الضيقات والشدائد والهموم؛ من فقر أو دين أو غرم أو دية أو حبس وما شابه ذلك؛ وفي صحيحَيْ البخاري ومسلم عن النبيِّ ﷺ أنَّهُ قال: " كان رجلٌ يُداين النَّاسَ، فكان يقول لِفَتاهُ، إذا أتَيْتَ مُعسِرًا فتجاوز عنه لعلَّ اللهَ يتجاوَزُ عنَّا، قال، فلَقِيَ اللهَ فتَجاوَزَ عَنهُ".

وفي صحيح مسلمٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: "من سَرَّه أن يُنجِيَهُ اللهُ مِن كُرَبِ يَوْمِ القِيامَةِ فَليُنَفِّس عَن مُعسِرٍ أَو يَضَعَ عَنهُ".

---

(١) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول (٣/٣١٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: " مَن نفَّس عن مؤمنٍ كربةً من كُرَب الدنيا، نفَّس الله عنه كربةً من كُرَب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسرٍ، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، واللهُ في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه"؛ رواه مسلم بهذا اللفظ.

الفائدة الثامنة: الإشارة إلى شدائد يوم القيامة؛ والأخذ بأسباب النجاة.

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج : ١ ـ ٢)

وقال سبحانه : ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف)

وأخرج مسلم وغيره من حديث الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» - قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ - قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ.

الفائدة التاسعة: فضل الستر على الناس سيما أهل الصلاح؛ عملا بقوله ﷺ : "ومَن ستر مسلمًا، ستره الله يوم القيامة ".

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لاَ تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلاَ

تُعَيِّرُوهُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ " [أخرجه الترمذي]

وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ».

وقال ﷺ: " من غسل ميتا فستره، ستره الله من الذنوب، ومن كفن مسلما، كساه الله من السندس " [السلسلة الصحيحة للألباني (٢٣٥٣)].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " «أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ» "(١) .

---

(١) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد "(٤٦٨) وأبو داود (٤٣٧٥) واللفظ له.

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

تَعَمَّدْنِي بِنُصْحِكَ فِي انْفِـرَادِي *** وَجَنِّبْنِي النَّصِيحَةَ فِي الجَمَاعَةْ

فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ مِنَ *** التَّوْبِيخِ لاَ أَرْضَى اسْتِمَاعَهْ

وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي *** فَلاَ تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَـاعَهْ

وجوب ستر المسلم على نفسه

قال ﷺ: " كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ " متفق عليه.

وقال النبي ﷺ: "اجتنبوا هذه القاذورة، فمَن أَلَمَّ فليستتر بستر الله وليتب إلى الله؛ فإن مَن يُبدِ لنا صفحتَه نُقِم عليه كتاب الله"[1]

---

(١) السلسلة الصحيحة للألباني (٦٦٣).

والمجاهرة بالذنب يؤدي إلى التهاون به وفيه من إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا ؛ قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ (النور:١٩)

قال فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله تعالى:

"يجوز الستر على المسلم إذا لم يكن من أهل التهاون بالمعاصي ، ولم يعرف عنه كثرة اقتراف الذنوب وارتكاب المحرمات ، ففي هذه الحالة ينصحه ويخوفه ويحذره من العودة إليها . أما إن كان صاحب عادة وفسوق فلا تبرأ ذمته حتى يرفع أمره إلى من يعاقبه بما ينزجر به . أما إن كانت المعصية في حق لآدمي كأن يراه يسرق من بيت أو دكان أو رآه يزني بامرأة فلان فلا يجوز الستر عليه ، لما فيه من إهدار حق الآدمي، وإفساد فراشه ، وخيانة المسلم . وكذا لو علم أنه القاتل أو الجارح لمسلم فلا يستر ويضيع حق مسلم ، بل يشهد عليه عند الجهات بأخذ الحقوق ، والله تعالى أعلم"[١] انتهى

---

(١) فتاوى علماء البلد الحرام ص ٣٤٤.

الفائدة العاشرة: ستر الله لعبده المؤمن في يوم القيامة؛ فالجزاء من جنس العمل لقوله ﷺ: "ومَن ستر مسلمًا، ستره الله يوم القيامة "؛ وفي الصحيحين عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] "

والله وحده من وراء القصد

الشرح الموضوعي لحديث : " لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا..."

أبو عاصم البركاتي المصري

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ».

تخريج الحديث

أخرجه مسلم (٢٥٦٤) واللفظ له؛ والترمذي (١٩٢٧) وأحمد في "المسند" (٧٧٢٧) (٨١٠٣) وابن ماجه (٤٢١٣) وغيرهم.

وأخرج البخاري (٦٠٦٤) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».

معاني المفردات

تحاسدوا: الحسد تمني زوال النعمة عمن أنعم الله عليه بها.

تناجشوا: النجش: فعل محرم في البيوع؛ وهو أن يزيد في ثمن السلعة مَنْ لا يريد شراءها؛ وقيل: أن يمدح السلعة لينفقها ويروجها؛ وإنما يفعل ذلك ليغر غيره بالشراء؛ فينتفع البائع.

تباغضوا: التباغض أي مباشرة أسباب الكره والمقت.

تدابروا: أن يُولي كل واحد منهم صاحَبه دُبُرَه، إما بالأبدان أو بالأقوال.

يخذله: الخذل ترك الإعانة والنصرة.

يحقره: يستصغره ويهينه ويذله.

فوائد الحديث

الفائدة الأولى: النهي عن الحسد المحرم وهو مستفاد من قوله ﷺ : " **لَا تَحَاسَدُوا** " وهو الحسد المذموم المنهي عنه بنصوص الكتاب والسنة؛ وهو تمني زوال نعمة الله عمن أنعم عليه بها؛ وقد يسعى في تحقيق ذلك بالقول أو بالعمل ، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال سبحانه : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

وقال تعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

قال القرطبي في تفسير هذه الآية (٥ /٢٥١): وَالْحَسَدُ مَذْمُومٌ وَصَاحِبُهُ مَغْمُومٌ ... وَقَالَ الْحَسَنُ: مَا رَأَيْتُ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِنْ حَاسِدٍ، نَفَسٌ دَائِمٌ، وَحُزْنٌ لَازِمٌ، وَعَبْرَةٌ لَا تَنْفَدُ ..... وَلِمَنْصُورٍ الْفَقِيهِ:

أَلَا قُلْ لِمَنْ ظَلَّ لِي حَاسِدًا ... أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الْأَدَبْ

أَسَأْتَ عَلَى اللَّهِ فِي حُكْمِهِ ... إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبْ

وَيُقَالُ: الْحَسَدُ أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فِي السَّمَاءِ، وَأَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَأَمَّا فِي السَّمَاءِ فَحَسَدُ إِبْلِيسَ لِآدَمَ، وَأَمَّا فِي الْأَرْضِ فَحَسَدُ قَابِيلَ لِهَابِيلَ. انتهى

وقال الزجاج: قيل: لا ينبغي أن يتمنى الرجل مال غيره ومنزل غيره، فإن ذلك هو الحسد. انتهى

ولأن الحسد وصف وفعل مذموم لذا كان أهل الجنة مبرأون منه؛ قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾ [الأعراف:

٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وقال النبي ﷺ : " أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على أثرهم كأشد كوكب دري في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض ولا تحاسد " [البخاري(٣٢٥٤)]

وعليه فالحسد المنهي عنه مذموم محرم؛ بخلاف الحسد المحمود الذي هو الغبطة المباحة والتنافس في أمور الآخرة فهذا مطلوب؛ لقول النبي ﷺ: "لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل" [البخاري].

الفائدة الثانية: النهي عن النَّجْش؛ ومفاد النهي التحريم؛ والنَّجْش هو أن يزيد في ثمن السلعة مَنْ لا يريد شراءها؛ وإنما يفعل ذلك ليخدع غيره فيشتري؛ فينتفع البائع.

وقيل: هو أن يمدح السلعة بالزيف والكذب لينفقها ويروجها؛ وفيه من الغرر المنهي عنه؛ وفيه كذلك من الاحتيال المذموم؛ لأن المشتري قد لا يكون

خبيرا بالثمن والمثمن؛ فيتضرر والضرر محرم وكذا الغش والخداع؛ وَقَالَ ابْنُ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه: النَّاجِشُ: آكِلُ رِبًا خَائِنٌ وَهُوَ خِدَاعٌ بَاطِلٌ لاَ يَحِلُّ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الخَدِيعَةُ فِي النَّارِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» [أخرجه البخاري معلقا (٣/ ٦٩)]

وفي الصحيحين كذلك عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّجْشِ» [متفق عليه]

وأوضح صورة من صور النجش في زماننا المعاصر ما يحدث أحيانًا في البيع بالمزاد العلني لبعض السلع؛ فيتفق فيه البائعون مع أحد المزايدين على أن يرفع الثمن على باقي المزايدين حتى يقع البيع بالسعر العالي وتأخذ السلعة أعلى من ثمنها الحقيقي.

ولا شك أن نهي النبي ﷺ عن **النَّجْشِ** إنما هو لبيان حرمة التعدي على المسلم بالخداع والغرر والغش؛ وفيه من التعظيم لحقوق المسلم على إخوانه المسلمين.

الفائدة الثالثة: النهي عن التباغض في قوله ﷺ : " **وَلَا تَبَاغَضُوا** " أي لا تفعلوا أسباب ودواعي وقوع الكراهية بينكم؛ وهذا النهي على وجه العموم؛ وذكر ﷺ أسبابا على وجه الخصوص في هذا الحديث وفي غيره من ذلك

التحاسد والتناجش والتهاجر وغير ذلك؛ وفي الصحيحين عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» [متفق عليه]

الفائدة الرابعة: النهي عن التدابر في قوله ﷺ : " وَلَا تَدَابَرُوا " والتدابر أن يولي الرجل ظهره لأخيه إذا رآه؛ والمعنى أي "لا تقاطعوا ولا تهاجروا ولا تعادَوا " وفي الفاظ الحديث: «وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابَرُوا»[مسلم]

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ» [متفق عليه]

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ» [متفق عليه]

وأخرج أبو داود وأحمد عَنْ أَبِي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ».

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

ولا يحل له أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.

ولكن لك أن تهجره لمدة ثلاثة أيام، إذا رأيت في هذا مصلحة، ولك أن تهجره أكثر إذا رأيته على معصية أصرّ عليها ولم يتب منها، فرأيت أن هجره يحمله على التوبة، ولهذا كان القول الصحيح في الهجر أنهم رخصوا فيه خلال ثلاثة أيام، وما زاد على ذلك فينظر فيه للمصلحة؛ إن كان فيه خيرٌ فليفعل، وإلا فلا، حتى لو جاهر بالمعصية، فإذا لم يكن في هجره مصلحة فلا تهجره[1].

وقَالَ الحافظ ابن عَبْدِ الْبَرِّ: أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْهِجْرَانُ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا لِمَنْ خَافَ مِنْ مُكَالَمَتِهِ مَا يُفْسِدُ عَلَيْهِ دِينَهُ أَوْ يُدْخِلُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ دُنْيَاهُ مَضَرَّةً فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ جَازَ وَرُبَّ هَجْرٍ جَمِيلٍ خَيْرٌ مِنْ مُخَالَطَةٍ مُؤْذِيَةٍ[2].

الفائدة الخامسة: النهي عن البيع على بيع الآخرين وذلك في قوله ﷺ : " وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ".

قال البدر العيني في شرحه للبخاري :

وَهُوَ أَن يَقُول فِي زمن الْخِيَار: افسخ بيعك وَأَنا أبيعك مثله، بِأَقَلّ مِنْهُ، وَيحرم أَيْضا الشِّرَاء بِأَن يَقُول لِلْبَائِعِ: افسخ وَأَنا أَشْتَرِي بِأَكْثَر مِنْهُ[3]. انتهى

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢ / ٥٤٠).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠ /٤٩٦).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري(١١ /٢٥٧).

ومن جمله الأدلة على النهي والتحريم ما أخرجه البخاري عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ لاَ تَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ ولاَ يَبِيعُ بَعْضُكُمْ على بَيْعِ بَعْضٍ ولاَ تَنَاجَشُوا ولاَ يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبادٍ ولاَ تُصَرُّوا الْغَنَمَ ومَنِ ابْتَاعَهَا فَهْوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَعْدَ أنْ يَحْتَلِبَهَا إنْ رَضِيَهَا أمْسَكَهَا وإنْ سَخِطَهَا رَدَّهَا وصاعا مِنْ تَمْرٍ.[البخاري (٢١٥٠)]

ووفي الصحيحين أيضًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ».

الفائدة السادسة: الأمر بالوفاء بحقوق الإخوة الإيمانية في قوله ﷺ : " وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا " قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠] وقال الله تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾[الزخرف:٦٧]

وفي الصحيحين عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ ".

وأخرج مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا

دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ».

الفائدة السابعة: قوله: "المسلم أخو المسلم" تكرار للحث والتأكيد على الأخوة بين المسلمين التي بها يقوى بنيان المجتمع المسلم ويعلو؛ فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه؛ وما أحسن الأخوة في الله والحب في الله؛ أخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار».

وفي الصحيحين كذلك عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... » وذكر منهم: رجلين تحابا في الله، اجتمعا على ذلك وتفرقا.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي».

وأخرج أحمد والترمذي، عن معاذ، عن النبي ﷺ، قال: «قال الله: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء».

ولمسلم من حديث أبي هريرة، أن الملك قال للذي زار أخاه: "إني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه".

وعن علي: "أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه: من ضيع من ظفر به منهم".

وكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَذْكُرُ الأَخَ مِنْ إِخْوَانِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ فَيَقُولُ: يَا طُولَهَا مِنْ لَيْلَةٍ! فَإِذَا صَلَّى الْمَكْتُوبَةَ غَدَا إِلَيْهِ فَاعْتَنَقَهُ[1].

وخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَنْتُمْ جَلَاءُ حُزْنِي.[2]

وروي عن أبي القاسم عبد الله البغوي أنه قال: سمعت الإمام أحمد بن حنبل يقول: إذا مات أصدقاء الرجل ذل.

وقال سفيان بن عيينة: قال لي أيوب: إنه ليبلغني موت الرجل من إخواني فكأنما سقط عضو من أعضائي.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإخوان رقم ٨٣

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإخوان رقم ٨٤

وقال الفرزدق:

يمضي أخوك فلا تلقى له خلفًا ... والمال بعد ذهاب المال مكتسب

وقال آخر:

لكل شيء عدمته عوض ... وما لفقد الصديق من عوض

الفائدة الثامنة: النهي عن كل ما يفسد الإخوة؛ وذلك مستفاد من نهي النبي ﷺ عن بعض ذلك؛ وليعلم القاصي والداني أن الشيطان لا يترصد إلا المتحابين والمتآخين ليفسد بينهم؛ أخرج مسلم عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ».

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده» عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده؛ ما تواد اثنان ففرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما».

وقد أخرج البخاري عن عائشة ـ معلقًا ـ ، ومسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» .

الفائدة التاسعة : النهي عن الظلم.

الظلم لغةً: وضع الشيء في غير موضعه، وهو مجاوزة الحدّ والجور.

ويعرف أيضًا بأنّه التعدي عن الحق إلى الباطل، والتصرف في ملك الآخرين.

قال سبحانه : ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَو تَرى إِذِ الظّالِمونَ في غَمَراتِ المَوتِ وَالمَلائِكَةُ باسِطو أَيديهِم أَخرِجوا أَنفُسَكُمُ اليَومَ تُجزَونَ عَذابَ الهونِ بِما كُنتُم تَقولونَ عَلَى اللَّهِ غَيرَ الحَقِّ وَكُنتُم عَن آياتِهِ تَستَكبِرونَ﴾

وقال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ٢٩-٣٠]

وفي الحديث القدسي : " يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا " [أخرجه مسلم عن أبي ذر الغفاري].

وعن جابر رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: "اتَّقوا الظلم؛ فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتَّقوا الشحَّ؛ فإنَّ الشحَّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم" **[أخرجه مسلم]**.

وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "إنَّ الله ليُملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته. ثم قرأ : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

وأخرج الحاكم عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبيّ ﷺ: "بابانِ مُعجَّلانِ عُقوبتُهما في الدنيا: البَغْيُ، والعقُوقُ "(١)

وقال النبيّ ﷺ: "انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، أنصرُه إذا كان مظلومًا، أفرأيتَ إذا كان ظالمًا كيف أنصرُه ؟ قال: تحجِزُه، أو تمنعُه من الظلمِ فإنَّ ذلك نصرُه" [أخرجه البخاري].

الفائدة العاشرة: النهي عن خذلان المسلم.

وذلك عملًا بقول النبي ﷺ في الحديث: " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ"؛ فالمسلم يوالي المسلم في الحق وينصره ويؤازره قال تعالى :﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]

---

(١) وقال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وصححه الذهبي.

وقوله ﷺ:« انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ :«تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ» [أخرجه البخاري].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، ويَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ» [أحمد وأبو داود]

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ : «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى» [متفق عليه]

وفي الصحيحين قال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ للْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً» وشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ.

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهرا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله

تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل» [1].

وعن جابر بن عَبْدِ اللَّهِ وأبي طَلْحَةَ بْنَ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنهم ، قالا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ. وَمَا مِنْ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ، إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ» [2].

وفي الحديث كذلك مرفوعًا : " أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة، فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة، فجلد جلدة واحدة، فامتلأ قبره عليه ناراً، فلما ارتفع عنه قال : علام جلدتموني؟ قالوا : إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره"

[السلسة الصحيحة للألباني ٢٧٧٤]

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في "قضاء الحوائج" عن ابن عمر. وانظر السلسلة الصحيحة للألباني ٩٠٦.

(٢) أحمد وأبو داود وصححه الألباني في(صحيح الجامع : ٥٦٩٠).

الفائدة الحادية عشر: النهي عن احتقار المسلم. قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَومٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيْمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[الحجرات: ١١]

قال ابن كثير في تفسيره: "ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم".

قال تعالى مبينا عاقبة المستهزئين المحتقرين للمؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاء لَضَالُّونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٤]

وقال تَعَالَى : ﴿وَيلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لمزة﴾[الهمزة: ١].

والهُمَزَة الذي يهمز الناس بفعله، ويلمزهم بقوله، فالهماز: الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللماز: الذي يعيبهم بقوله .

وروى أبو داود في "سننه" (٤٨٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ للنّبيّ ﷺ: حسبُك من صفية كذا وكذا -تعني قصيرة- فقال: "لقد قلتِ كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته".

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قال: لقيتُ أبا ذر بالربذة وعليه حلّة وعلى غلامه حلّة، فسألته عن ذلك، فقال: إنّي ساببتُ رجلاً فعيَّرته بأمّه، فقال لي النّبيّ ﷺ: "يا أبا ذر، أعيّرتَه بأمّه؟ إنّك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمَن كان أخوه تحت يده فليطعمه ممّا يأكل، وليلبسه ممّا يلبس، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم، فإن كلّفتموهم فأعينوهم".

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: "لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ" فَقَالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنةً، فَقَالَ: "إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ". [رواه مسلم].

الفائدة الثانية عشر: التقوي وفرضيتها وموضعها من القلب.

لقوله: " التَّقْوَى هَاهُنَا " وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وفي رواية لمسلم: "إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ. وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ" وَأَشَارَ بِأَصابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ. [مسلم: ٢٥٦٤]

ومعنى التقوى موضح فيما قال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه -: "التقوى ترك ما حرَّم الله، وأداء ما افترض الله"[١].

وقال الراغب الأصفهاني: "التقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا تحقيقه، ثم يسمى الخوف تارة تقوى، والتقوى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه، وصار التقوى في تعارف الشرع: حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور" ["المفردات" ٥٣٠].

وقال طلق بن حبيب: "التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تجتنب معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله"[٢].

وقيل: "التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل".

---

(١) المطلع على أبواب المقنع: ص٩٩.

(٢) "كتاب الزهد" لعبد الله بن المبارك (ص ٤٧٣)، فقرة (١٣٤٣)؛ وجامع العلوم والحكم: (ص ١٤٩).

الفائدة الثالثة عشر: تحقيق التقوى بالقلب واللسان والجوارح. ففي رواية لمسلم : "إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ. وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ" وَأَشَارَ بِأَصابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ. [مسلم: ٢٥٦٤]

وفي الحديث الذي رواه عدي بن حاتم، قال: قال سمعت رسول الله – ﷺ –، يقول: «اتقوا النار ولو بشقِّ تمرة» [البخاري: ١٤١٧، مسلم: ١٠١٦].

وقال تعالى : ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]. والمعنى أن سائر الأعمال ينبغي أن يظهر أثرها على القلب؛ وأن الأعمال الظاهرة وحدها لا يحصل بها التقوى، وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته في السر والعلانية وفي القول والعمل.

الفائدة الرابعة عشر: أهمية القلب وعلو رتبته من الجسد.

لأن القلب آلة التبصر والتدبر والاتعاظ ؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق : ٣٧]

وأخرج البخاري ومسلم عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى

اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ ".

الفائدة الخامسة عشر: وجوب سلامة الصدر .

ومن المعاني اللطيفة التي ينبغي الإشارة إليها أهمية سلامة الصدر تجاه المسلمين؛ فلا حقد ولا حسد ولا ضغينة لأي مسلم؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وأخرج ابن ماجه وصححه الألباني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قيل: يا رسول الله! أي الناس أفضل؟ قال: "كلُّ مخموم القلب صدوق اللسان"، قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: " هو التقيُّ، النقيُّ، لا إثم فيه، ولا بَغْيَ، ولا غِلَّ، ولا حَسَدَ".

وأخرج الترمذي وحسنه الألباني عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن النبي -ﷺ- قال: " دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يُثبِّتُ ذلك لكم؟ أفشوا السلام بينكم".

وفي حديث أبي هريره عند البخاري في صحيحه : "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا .... الحديث ".

فسوء الظن بالمؤمنين لا يجوز؛ قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾

قال ابن القيم: "سوء الظن هو امتلاء القلب بالظّنون السّيئة بالنّاس حتى يطفح على اللسان والجوارح" [كتاب الروح ص ٢٣٨]

وقد أخرج النسائي في "السنن الكبرى" وأحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطُفُ لِحْيَتُهُ مَاءً مِنْ وَضُوئِهِ مُعَلِّقٌ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ مَرْتَبَتِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ مَرْتَبَتِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اتَّبَعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَحِلَّ يَمِينِي فَعَلْتَ، فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ لَيْلَةً أَوْ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمْ يَرَهُ

يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ بِشَيْءٍ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا انْقَلَبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ، وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ فَيُسْبِغَ الْوُضُوءَ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَا أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ كِدْتُ أَحْتَقِرُ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ وَالِدِي غَضَبٌ وَلَا هِجْرَةٌ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي ثَلَاثِ مَجَالِسَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعْتَ أَنْتَ تِلْكَ الثَّلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَرَدْتُ آوِي إِلَيْكَ فَأَنْظُرُ عَمَلَكَ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَبِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي غِلًّا لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَحْسِدُهُ عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ .

التكرار في الحديث النبوي الشريف

الفائدة السادسة عشر: التأكيد على المعنى بالتكرار وهو مستفاد من قوله :

"التَّقْوَى هَاهُنَا" وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

والتكرار في الحديث النبوي يأتي للتأكيد أو للتوضيح والبيان وشحذ الأذهان وجذب الأسماع؛ أو لتبليغ النذارة إلى أبعد مكان وإلى أكثر الناس لتقوم

الحجة؛ وقد أخرج البخاري عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ « إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلاَثًا، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا».

ومن شواهد ذلك : ما أخرجه البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ ﷺ فِي سَفْرَةٍ سافَرْنَاهَا فَأَدْرَكَنَا - وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلاَةُ - وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا.

وأيضا أخرج البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: صَلَّى لَنَا النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ رَقِيَ المِنْبَرَ، فَأَشَارَ بِيَدَيْهِ قِبَلَ قِبْلَةِ المَسْجِدِ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ الآنَ مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمُ الصَّلاَةَ الجَنَّةَ وَالنَّارَ مُمَثَّلَتَيْنِ فِي قِبْلَةِ هَذَا الجِدَارِ، فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ» ثَلاَثًا.

وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

*****

الفائدة السابعة عشر: أهمية الإشارة للتأكيد والتحقيق وكذا للتوضيح والتعليم أو للفتيا وإجابة السائل وكذا للفت الانتباه؛ كما في الحديث " وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ".

وفي هذا المعنى أخرج البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ عَلَى الجَبْهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ وَاليَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ القَدَمَيْنِ وَلاَ نَكْفِتَ الثِّيَابَ وَالشَّعَرَ».

وأخرج كذلك البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: «فِيهِ سَاعَةٌ، لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا.

وجملة "وأشار بيده" للشرح والبيان.

وكذلك حديث : «إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ أَقْبَلَ مِنْ هَا هُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ» وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ قِبَلَ المَشْرِقِ. [أخرجه البخاري]

وفي الحديث عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ: «أَلاَ إِنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنَا يُشِيرُ إِلَى المَشْرِقِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» [أخرجه البخاري]

والإشارة باليد تُسمَّى قولًا، تقولُ العربُ: قل لِي برأسك، أي: أَمِلْهُ.

قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري(١/ ٣٧٥) :

الإشارة باليد والعمل قد تسمى قولا، فقول العرب: قل لي برأسك أي: أَمِلْهُ.

وقال في موضع آخر في شرح صحيح البخاري(٢/ ١٠٦): الإشارة باليد تقوم مقام الإفصاح باللسان إذا فهم المراد بها.

وفي حديث ميمونة رضي الله عنها في صفة غسل النبي ﷺ: **ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ الأَرْضَ** فَمَسَحَهَا بِالتُّرَابِ، ثُمَّ غَسَلَهَا، ثُمَّ تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ، وَأَفَاضَ عَلَى رَأْسِهِ، ثُمَّ تَنَحَّى فَغَسَلَ قَدَمَيْهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِمِنْدِيلٍ فَلَمْ يَنْفُضْ بِهَا.

وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه (١ /٢٨) فقال: بَابُ مَنْ أَجَابَ الْفُتْيَا بِإِشَارَةِ الْيَدِ أَوِ الرَّأْسِ ؛ وذكر تحت الباب : حديث ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ فِي حَجَّتِهِ فَقَالَ: ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ، قَالَ: «وَلاَ حَرَجَ» قَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: «وَلاَ حَرَجَ».

وحديث أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُقْبَضُ العِلْمُ، وَيَظْهَرُ الجَهْلُ وَالفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ»، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الهَرْجُ؟ فَقَالَ: «هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ القَتْلَ».

وحديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، قُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَيْ نَعَمْ.

وأخرج البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْنَا نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ- ثَلَاثًا، فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ يَتَقَدَّمُ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ- بِالْحِجَابِ فَرَفَعَهُ، فَلَمَّا وَضَحَ لَنَا وَجْهُ نَبِيِّ اللَّهِ -ﷺ-، مَا نَظَرْنَا مَنْظَرًا قَطُّ كَانَ أَعْجَبَ إِلَيْنَا مِنْ وَجْهِ النَّبِيِّ -ﷺ-، حِينَ وَضَحَ لَنَا، قَالَ: فَأَوْمَأَ نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ- بِيَدِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَتَقَدَّمَ، وَأَرْخَى نَبِيُّ اللَّهِ -صلى اللَّه عليه وسلم- الْحِجَابَ، فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ.

وفيه أن الإشارة باليد تقوم مقام الأمر في مثل هذا الموضع.

الفائدة الثامنة عشر: إعادة التأكيد على حرمة احتقار المسلم وازدرائه وإهانته.

وذلك في قوله : "بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ" وذا للتغليظ والتشنيع والزجر فالأسلوب خبري يدل على النهي والزجر والتحريم.

الفائدة التاسعة عشر: التأكيد على حرمة المسلم على وجه العموم ودلالة لفظ "كل" على العموم.

وذلك مستفاد من قوله : "كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ" ؛ ولفظ "كل" يدل على العموم، والعموم عبارة عن شمول أمر واحد لمتعدد ؛ فيحرم ايذاء المسلم في نفسه ودمه أو ماله أو عرضه وكل شيء.

الفائدة العشرون: تخصيص ذكر الدم لبيان عظم سفك دم المسلم بغير حق.

وذلك في قوله " دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ" ؛ قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا . وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[النساء :٩١-٩٢]

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ،

وَرَجَبُ شَهْرُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ "، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذَا الحِجَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ - حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، فَلاَ تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا - أَوْ ضُلَّالًا - يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ"، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟».

وفي صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا».

وفي صحيح البخاري أيضا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ، الَّتِي لاَ مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكَ الدَّمِ الحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ».

وأخرج البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ ".

الفائدة الحادية والعشرون: بيان حرمة مال المسلم.

لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ٢٩ ـ ٣٠]

وأخرج مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ».

أخرج مسلم أيضا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ».

وحرم الله تعالى السرقة ورتب عليها حدا هو قطع اليد، فقال سبحانه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ولعن النبي ﷺ السارق؛ فقال «لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ البَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ» متفق عليه.

وحرم الغلول والرشوة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلاً أصابه سهم يوم خيبر مع رسول الله ﷺ فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا» والشملة كساء صغير يُتزر به .

الفائدة الثانية والعشرون: بيان حرمة الأعراض ووجوب حفظها.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء:٣٢)

وقال ﷺ : "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" رواه البخاري ومسلم.

وفي الصحيحين عن عائشة عن النبي ﷺ : «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا».

وأخرج الإمام أحمد والبخاري في "الأدب المفرد" والطبراني في "الأوسط" عن الْمِقْدَاد بن الْأَسْوَدِ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ، وَلَأَنْ يَسْرِقَ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ بَيْتِ جَارِهِ».

وفي الصحيحين في حديث طويل من حديث سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ عن رسول الله ﷺ: أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، .... : فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللهَبُ ضَوْضَوْا قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلَاءِ؟ .... ثم أجابوه. : وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ التَّنُّورِ فَهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي.

ومن ذلك أيضا ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب عند الله أكبر ؟ قال: " أن تجعل لله نداً وهو خلقك ". قلت: ثم أي ؟ قال: " أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك " قلت: ثم أي ؟ قال: " أن تزاني بحليلة جارك . متفق عليه.

ومن ذلك قوله ﷺ : " إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ كَانَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ، فَإِذَا انْقَطَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ" رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

ومن ذلك قوله ﷺ: «إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»(١)

وأخرج أحمد عن أبي أمامة: أن فتى شاباً أتى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنى، فأقبل عليه القوم فزجروه وقالوا: مه مه، فقال: ادنه فدنا منه قريباً فجلس، فقال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللّهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء(٢).

****

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني والأرناؤوط.

الفائدة الثالثة والعشرون: وجوب حفظ الضروريات الخمس.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: "اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على هذه الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل."[1]

وفي الحديث موضوع الشرح يبين ﷺ ويؤكد على حفظ هذه الضروريات أو على عدد كبير منها؛ قال الغزالي رحمه الله:

"إن مقصود الشرع من الخلق خمسة : أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة "[2] .

انتهى والله وحده من وراء القصد

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد

---

(١) الموافقات: ١/ ٣١

(٢) المستصفى ص ١٧٤.

فضل الدعاء آدابه وشروطه

أبو عاصم البركاتي المصري

وجوب الدعاء وفرضيته

الدعاء واجبٌ، ولا يستجاب منه إلاّ ما وافق القضاء؛ فقد أمر الله تعالى به، وحضَّ عليه، فقال سبحانه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر:٦٠)، وقال: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾(الأعراف: ٥٥)، وقال: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبّى لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ﴾ (الفرقان: ٧٧)، والآيات في الباب كثيرةٍ، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩).

قال الشوكاني: "إنه سبحانه وتعالى أمر عباده أن يدعوه، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ (غافر:٦٠)، فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة، وأن ترك دعاء الرب سبحانه استكبار، ولا أقبح من هذا الاستكبار".

وأخرج أحمد والبخاري في الأدب المفرد والترمذي وحسنه الألباني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من لم يسأل الله يغضب عليه".

لا تسألن بُنيَّ آدم حاجـةً .... وسـلِ الذي أبوابُه لا تحجَب

اللهُ يغضبُ إن تركتَ سؤالَه .... وبُنَيُّ آدمَ حين يُسأل يغضَب

فصل

أنواع الدعاء

والدعاء الذي حثَّ الله عليه في كتابه، ووعد المخلصين فيه بجزيل ثوابه نوعان:

دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

أما دعاء المسألة: فهو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه.

وأما دعاء العبادة: فهو التقرب إلى الله بجميع أنواع العبادة، الظاهرة والباطنة، من الأقوال والأعمال، والنيات والتروك، التي تملأ القلوب بعظمة الله وجلاله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وكل سائل راغب وراهب، فهو عابد للمسؤول، وكل عابد له فهو أيضا راغب وراهب، يرجو رحمته ويخاف عذابه، فكل عابد سائل، وكل سائل عابد، فأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه، ولكن إذا جمع بينهما فإنه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب، ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الأمر، وإن لم يكن في ذلك صيغ سؤال. والعابد الذي يريد وجه الله والنظر إليه، هو أيضا راج خائف راغب راهب، يرغب في حصول مراده، ويرهب

من فوائه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾ (الأنبياء:٩٠)، وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ (السجدة:١٦)، ولا يتصور أن يخلو داع لله - دعاء عبادة أو دعاء مسألة - من الرغب والرهب، من الخوف والطمع".

فصل

فضل الدعاء

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر:٦٠)، وعن النعمان بن بشير قال: قال النبيُّ ﷺ: "الدعاء هو العبادة"، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود وغيرهم وصححه الألباني.

وقال ﷺ: "أفضل العبادة الدعاء"(١).

وأخرج الترمذي وابن ماجة وحسنه الألباني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء".

---

(١) أخرجه الحاكم عن ابن عباس وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٧٩).

مع العلم بأنَّ الله تعالى أمر به وحثَّ عليه، وكذلك رسوله الكريم ﷺ، قال تعالى: ﴿وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ (النساء:٣٢)، وقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر:٦٠)، وقال: ﴿فَادْعُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر:١٤)، وقال: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (الأعراف:٥٥-٥٦)، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "من لم يسألِ اللهَ يغضبْ عليه".

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة:١٨٦)، وقد جاء في سبب نزولها أن الصحابة رضي الله عنهم سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ربنا قريب فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلاَّ أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إمَّا أن يُعجِّل له دعوته، وإمَّا أن يدَّخرها له في الآخرة، وإمَّا أن يصرف عنه من السوء مثلها" أخرجه أحمد وصححه الألباني.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : " لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن الدعاء ليلقى البلاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة " أخرجه الحاكم وحسنه الألباني.

فعن ثوبان مولى رسول الله أنه ﷺ قال: " ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر " أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم وحسنه الألباني.

وقال ﷺ: "إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً خائبتين "(١)

فصل

شروط الدعاء

أولا الإخلاص لله تعالى:

وقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(غافر: ١٤)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال له: " إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله" أخرجه أحمد والترمذي.

وفي الصحيحين البخاري (٢١٠٢) مسلم (٢٧٤٣) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمْ الْمَطَرُ فَدَخَلُوا فِي

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه واللفظ له وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين؛ وصححه الألباني.

غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ قَالَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ؛ قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ؛ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ؛ قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ؛ وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ؛ فَقَالَتْ: لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ؛ فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا؛ قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً؛ قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمْ الثُّلُثَيْنِ؛ وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي؛ فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ؛ فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؛ قَالَ فَقُلْتُ: مَا

أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ؛ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ".

ثانيا الصبر وعدم الاستعجال: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي" متفق عليه.

وعنه أنه ﷺ قال: "لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل". قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: "يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء" أخرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم.

ثالثا حسن الظن بالله تعالى وحضور القلب: فقد أخرج الترمذي والحاكم وصححه الألباني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه"، وعنه أنه ﷺ قال: "يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني" متفق عليه.

وعند أحمد وصححه الألباني عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ" قال الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فله وإن ظن شرا فله".

رابعًا طيب المأكل والمشرب والملبس: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة:٢٧)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً... ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟!" أخرجه مسلم.

خامسًا عدم الاعتداء في الدعاء: قال الله تعالى: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (الأعراف:٥٥).

وروى أبو داود(٩٦) وابن ماجه (٣٨٦٤) وأحمد (١٦٨٤٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢٣٩٦) عَنْ أَبِي نَعَامَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ رضي الله عنه سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ سَلْ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَتَعَوَّذْ بِهِ مِنْ النَّارِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ".

فمن ذلك: أن يسأل الله تعالى ما لا يليق به من منازل الأنبياء؛ أو يتنطع في السؤال بذكر تفاصيل يغني عنها العموم.

سادسا الإلحاح في الدعاء: روى مسلم(١٧٩٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلاَثًا. وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلاَثًا.

وعن الأوزاعي قال: أفضل الدعاء الإلحاح على الله عز وجل والتضرع إليه [رواه البيهقي في شعب الإيمان].

سابعًا ألا يدعو بإثم أو قطيعة رحم: روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِي – ﷺ – أَنَّهُ قَالَ: « لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا الاِسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: « يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ».

ثامنا العزم في المسألة: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ، وَلَا يَقُولَنَّ : اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ". رواه البخاري ومسلم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ ، لِيَعْزِمْ فِي الدُّعَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ لَا مُكْرِهَ لَهُ" . رواه البخاري (٦٣٣٩) ، ومسلم (٢٦٧٩).

وفي لفظ لمسلم : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ ، وَلْيُعَظِّمْ الرَّغْبَةَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ" .

قال صاحب تحفة الأحوذي: قَوْلُهُ : (لِيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ) الْمُرَادُ بِالْمَسْأَلَةِ الدُّعَاءُ قَالَ الْعُلَمَاءُ: عَزْمُ الْمَسْأَلَةِ الشِّدَّةُ فِي طَلَبِهَا وَالْحَزْمُ بِهِ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ فِي الطَّلَبِ وَلَا تَعْلِيقٍ عَلَى مَشِيئَةٍ وَنَحْوِهَا : وَقِيلَ هُوَ حُسْنُ الظَّنِّ بِاَللَّهِ تَعَالَى فِي الْإِجَابَةِ. وَمَعْنَى الْحَدِيثِ اِسْتِحْبَابُ الْجَزْمِ فِي الطَّلَبِ وَكَرَاهَةُ التَّعْلِيقِ عَلَى الْمَشِيئَةِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: سَبَبُ كَرَاهَتِهِ أَنَّهُ لَا يَتَحَقَّقُ اِسْتِعْمَالُ الْمَشِيئَةِ إِلَّا فِي حَقِّ مَنْ يَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ الْإِكْرَاهُ وَاَللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ.

وَقِيلَ سَبَبُ الْكَرَاهَةِ أَنَّ فِي هَذَا اللَّفْظِ صُورَةَ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْ الْمَطْلُوبِ وَالْمَطْلُوبِ مِنْهُ. اهـ

فصل

إخفاء الدعاء

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: إذا عرف هذا: فقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ يتناول نوعي الدعاء: لكنَّه ظاهرٌ في دعاء المسألة متضمِّنٌ دعاء العبادة ولهذا أمر بإخفائه وإسراره.

قال الحسن: بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت أي: ما كانت إلا همساً

بينهم وبين ربهم عز وجل وذلك أنَّ الله عز وجل يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ وأنه ذكر عبداً صالحاً ورضي بفعله فقال:﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ .

وفي إخفاء الدعاء فوائد عديدة :

أحدها: أنَّه أعظم إيماناً؛ لأنَّ صاحبَه يعلم أنَّ الله يسمع الدعاء الخفي.

وثانيها: أنَّه أعظم في الأدب والتعظيم لأنَّ الملوك لا تُرفع الأصوات عندهم ومن رفع صوته لديهم مقتوه ولله المثل الأعلى فإذا كان يسمع الدعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به.

وثالثها: أنَّه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبُّه ومقصوده فإنَّ الخاشعَ الذليلَ إنما يسال مسألةَ مسكينٍ ذليلٍ، قد انكسر قلبُه وذلَّت جوارحُه وخشع صوتُه ؛ حتى إنَّه ليكاد تبلغ ذلته وسكينته وضراعته إلى أنْ ينكسر لسانُه فلا يطاوعه بالنطق وقلبه يسأل طالباً مبتهلاً. ولسانه لشدة ذلته ساكتاً وهذه الحال لا تأتي مع رفع الصوت بالدعاء أصلاً.

ورابعها : أنَّه أبلغ في الإخلاص.

وخامسها: أنَّه أبلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء فإنَّ رفعَ الصوت يفرقه فكلَّما خفض صوته كان أبلغَ في تجريد همَّته وقصده للمدعو سبحانه.

وسادسها: وهو من النكت البديعة جداً -:أنَّه دالٌّ على قربِ صاحبه للقريب لا مسألة نداء البعيد للبعيد ؛ ولهذا أثنى الله على عبده زكريا بقوله عز وجل: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ فلمَّا استحضر القلبُ قربَ الله عز وجل، وأنَّه أقرب إليه من كلِّ قريبٍ أخفى دعاءه ما أمكنه.

وقد أشار النَّبيُّ - ﷺ- إلى المعنى بقوله في الحديث الصحيح: لما رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر فقال : " أربِعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته " وقد قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦) وهذا القرب من الداعي هو قرب خاص ليس قرباً عامّاً مِن كلِّ أحدٍ فهو قريبٌ من داعيه وقريبٌ من عابديه، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

وقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ فيه الإرشاد والإعلام بهذا القرب.

وسابعها: أنَّه أدعى إلى دوامِ الطلب والسؤال فإنَّ اللسان لا يمل والجوارح لا تتعب بخلاف ما إذا رفع صوته فإنَّه قد يمل اللسان وتضعف قواه وهذا نظير من يقرأ ويكرر فإذا رفع صوته فإنه لا يطول له بخلاف من خفض صوته.

وثامنها: أنَّ إخفاءَ الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات؛ فإنَّ الداعي إذا أخفى دعاءَه لم يدرِ به أحدٌ فلا يحصل على هذا تشويشٌ ولا غيرُه وإذا جهر به فرطت له الأرواح البشرية ولا بد ومانَعَتْه وعارضته ولو لم يكن إلا أن تعلقها به يفرغ عليه همته فيضعف أثر الدعاء ومن له تجربةٌ يعرف هذا فإذا أسرَّ الدعاء أَمِن هذه المفسدة.

وتاسعها: أنَّ أعظم النعمة الإقبال والتعبد ولكلِّ نعمةٍ حاسدٌ على قدرها دقَّت أو جلَّت ولا نعمةٌ أعظم من هذه النعمة فإنَّ أنفُسَ الحاسدين متعلقةٌ بها وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد . وقد قال يعقوب ليوسف عليهما السلام: ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ (يوسف: ٥) .

وكم من صاحبِ قلبٍ وجمعيَّةٍ وحالٍ مع الله تعالى قد تحدث بها وأخبر بها فسلبه إياها الأغيار؛ ولهذا يوصي العارفون والشيوخ بحفظ السرِّ مع الله تعالى ولا يطلع عليه أحدٌ. والقوم أعمُّ شيئاً كتماناً لأحوالهم مع الله عز وجل وما وهب الله من محبته والأُنس به وجمعية القلب ولا سيما فعله للمهتدي السالك فإذا تمكن أحدهم وقوي وثبت أصول تلك الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء في قلبه -بحيث لا يخشى عليه من العواصف

فإنه إذا أبدى حاله مع الله تعالى ليقتدى به ويؤتم به - لم يبال وهذا بابٌ عظيمُ النَّفع إنما يعرفه أهله.

وإذا كان الدعاء المأمور بإخفائه يتضمن دعاء الطلب والثناء والمحبة والإقبال على الله تعالى فهو من عظيمِ الكنوز التي هي أحقُّ بالإخفاء عن أعين الحاسدين وهذه فائدةٌ شريفةٌ نافعةٌ.

وعاشرها: أنَّ الدعاء هو ذكرٌ للمدعو سبحانه وتعالى متضمن للطلب والثناء عليه بأوصافه وأسمائه فهو ذكرٌ وزيادةٌ كما أنَّ الذكرَ سُمِّيَ دعاءً لتضمنه للطلب كما قال النَّبيُّ ﷺ : "أفضل الدعاء الحمد لله " فسمَّى الحمدَ لله دعاءً وهو ثناءٌ محضٌ، لأنَّ الحمدَ متضمِّنٌ الحبَّ والثناء. والحبُّ أعلى أنواع الطلب فالحامد طالبٌ للمحبوب فهو أحقُّ أنْ يسمَّى داعياً من السائل الطالب، فنفس الحمد والثناء متضمِّن لأعظم الطلب فهو دعاءٌ حقيقةً بل أحقُّ أنْ يسمَّى دعاءً من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه.

والمقصود أنَّ كلَّ واحدٍ من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه وقد قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ فأمر تعالى نبيَّه - ﷺ - أنْ يذكره في نفسه، قال مجاهد وابن جريج : أُمروا أنْ يذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت والصياح وتأمَّل كيف قال في آية

الذكر : ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ﴾ الآية . وفي آية الدعاء ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ فذكر التضرع فيهما معا وهو التذلل والتمسكن والإنكسار وهو روح الذكر والدعاء. [مجموع الفتاوى].

فصل

اغتنام المواطن والأزمان المفضلة

على الداعي أن يترصد لدعائه الأوقات المفضلة: كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من الليل.

وكذلك بين الأذان والإقامة، لقوله ﷺ: "الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد".

وأن يغتنم الأحوال كذلك: كنزول المطر، وزحف الصفوف في سبيل الله، وحال السجود، لحديث أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء".

فصل

حال السلف مع الدعاء

ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "إني لا أحمل همّ الإجابة ولكن همّ الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه"[١].

وعنه رضي الله عنه قال: بالورع عما حرم الله يقبل الله الدعاء والتسبيح.

وأخرج ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٢٩٨٨٠) قال: حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ ، عَن مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: كَانَ رَبِيعٌ يَأْتِي عَلْقَمَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، قَالَ : فَأَتَاهُ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : أَلا تَعْجَبُونَ مِنَ النَّاسِ وَكَثْرَةِ دُعَائِهِمْ وَقِلَّةِ إجَابَتِهِمْ، فَقَالَ رَبِيعٌ : تَدْرُونَ لِمَ ذَاكَ؟ إنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبَلُ إلاَّ النَّخِيلَةَ مِنَ الدُّعَاءِ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْن يَزِيد: فَلَمَّا جِئْتُ أَخْبَرَنِي عَلْقَمَة بِقَوْلِ رَبِيعٍ فَقُلْتُ لَهُ: أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ عَبْدَ اللهِ ؟ قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ (ابن مسعود) : وَالَّذِي لاَ إلَهَ غَيْرُهُ لاَ يَسْمَعُ اللَّهُ مِنْ مُسَمِّعٍ ، وَلا مِنْ مُرَائِي، وَلا لاعِبٍ ، وَلا دَاعٍ إلاَّ دَاعٍ دَعَا بِتَثَبُّتٍ مِنْ قَلْبِهِ.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٠٦).

وفي "مصنف" عبد الرزاق (٢٠٢٦٧) و"شعب الإيمان" للبيهقي(٢ /٥٢) عن أبي الدرداء قال: ادع الله في يوم سرائك، لعله يستجيب لك في يوم ضرائك.

وفي مصنف ابن أبي شيبة (٢٩١٧٥) عن الحسن أن أبا الدرداء رضي الله عنه كان يقول: جِدوا بالدعاء، فإنه من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له.

وفي مصنف ابن أبي شيبة أيضًا بسنده عن حذيفة رضي الله عنه قال: ليأتينَّ على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغرِيق.

وفي مصنف ابن أبي شيبة أيضًا بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال: يكفي من الدعاء مع البر، كما يكفي الطعام من الملح.

وفي "شُعب الإيمان" للبيهقي (٢ /٥٤) عن محمد بن واسع قال: يكفي من الدعاء مع الورع اليسير، كما يكفي القدر من الملح.

وفي "شعب الإيمان" للبيهقي (٢ /٥٤) أيضًا عن طاووس قال: يكفي الصدق من الدعاء، كما يكفي الطعام من الملح.

وعن عبد الله بن أبي صالح قال: دخل علي طاووس يعودني فقلت له: ادع الله لي يا أبا عبد الرحمن، فقال: ادع لنفسك، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

وعن غالب القطان، أن بكر بن عبد الله المزني عاد مريضًا، فقال المريض لبكر: ادع الله عز وجل لي، فقال: ادع لنفسك، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

وفي "شعب الإيمان" للبيهقي (٢ /٥٤) عن أبي بكر الشبلي في قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر:٦٠) قال: ادعوني بلا غفلة، أستجب لكم بلا مهلة.

وفي "شعب الإيمان" للبيهقي (٢ /٥٤) كان يحيى بن معاذ الرازي يقول: إلهي أسألك تذللا، فأعطني تفضلا.

ويقول: كيف أمتنع بالذنب من الدعاء، ولا أراك تمتنع بالذنب من العطاء.

ويقول: لا تستبطئن الإجابة إذا دعوت، وقد سددت طرقها بالذنوب.

وعن الحسن في قوله عز وجل: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، قال: اعملوا وأبشروا، فإنه حق على الله عز وجل أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله. [الدر المنثور(ج١٣/ ٧٠)].

وعنه قال: كانوا يجتهدون في الدعاء ولا تسمع إلا همسا. [الدر المنثور(٦/ ٤٢٨)].

وفي تاريخ دمشق(١٢ /٥٦) عن حبيب أبي محمد قال: الترياق المجرب الدعاء.

وفي "سير أعلام النبلاء "(٥ /٤٢) عَنْ دَاوُدَ بنِ شَابُوْرٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِطَاوُوْسٍ: ادْعُ اللهَ لَنَا. قَالَ: مَا أَجِدُ لِقَلْبِي خَشْيَةً، فَأَدْعُوَ لَكَ.

وأخرج ابن أبي شيبة في "المصنف" (٣٠٣٥٨) عن سعيد بن المسيب قال: إن الرجل ليُرفع بدعاء ولده من بعده.

وفي "المصنف" لابن أبي شيبة عن إبراهيم التيمي قال: كان يقال: إذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء فقد وجب، وإذا بدأ بالدعاء قبل الثناء كان على رجاء.

وأخرج النسائي في "السنن الكبرى"(١١٨٦٩) عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ ، قَالَ : مَثَلُ الَّذِي يَدْعُو بِغَيْرِ عَمِلٍ، كَمَثَلِ الَّذِي يَرْمِي بِغَيْرِ وِتْرٍ.

وعنه قال: من سره أن يستجيب الله دعوته فليطب طعمته.

وفي "صفة الصفوة" (٤ / ١٦٦) عن محمد بن حامد قال: قلت لأبي بكر الوراق: علمني شيئا يقربني إلى الله تعالى ويقربني من الناس، فقال: أما الذي يقربك إلى الله فمسألته، وأما الذي يقربك من الناس فترك مسألتهم.

وعن مُورِّقٍ العجلي قال: ما وجدت للمؤمن مثلا إلا كمثل رجل في البحر على خشبة، فهو يدعو: يا رب، يا رب، لعل الله عز وجل أن ينجيه[١].

---

(١) صفة الصفوة (٣ / ٢٥٠).

وفي "شعب الإيمان"(٢ /٤٩) عن هلال بن يساف قال: بلغني أن العبد المسلم إذا دعا ربه فلم يستجب له كتبت له حسنة.

وفي "شعب الإيمان"(٢ /٥٣) عن السري السقطي قال: كن مثل الصبي، إذا اشتهى على أبويه شهوة فلم يمكناه، فقعد يبكي عليها، فكن أنت مثله، فإذا سألت ربك فلم يعطكه، فاقعد فابك عليه.

وفي "شعب الإيمان"(٢ /٥٣) عن ابن عيينة قال: لا تتركوا الدعاء، ولا يمنعكم منه ما تعلمون من أنفسكم، فقد استجاب الله لإبليس وهو شر الخلق، قال: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ . قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ (الحجر:٣٦- ٣٧).

وقال بعض العباد: إنه لتكون لي حاجة إلى الله، فأسأله إياها، فيفتح علي من مناجاته ومعرفته والتذلل له والتملق بين يديه، ما أحب معه أن يؤخر عني قضاءها، وتدوم لي تلك الحال.

وقال بعضهم: ادع بلسان الذلة والافتقار، لا بلسان الفصاحة والانطلاق. [الأذكار للنووي ص٣٩٦].

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

من مقاصد الصوم

المستخرجة من حديث:

" كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي "

أبو عاصم البركاتي المصري

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه وبعد:

فعن أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قال؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ "

أخرجه الإمام أحمد(١٠٦٩٢) والبخاري(١٩٠٤) ومسلم(١١٥١) واللفظ له

وله رواية عند مسلم وغيره " كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشرة أمثالها إلا سبعمائة ضعف، قال الله عز و جل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك".

معاني المفردات:

عمل : طاعة وعبادة.

أجزي: أثيب وأعطي.

جنة: وقاية.

يرفث: الرفث بذيء الكلام .

يسخب: يجهل .

خلوف: رائحة الفم المتغيرة.

من مقاصد الصيام إقامة ركن الإسلام:

قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣).

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥]

وقال النبيُّ ﷺ : «بُنِي الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أنْ لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وحجِّ البيت، وصومِ رمضان» متفق عليه.

وقال النبيُّ ﷺ مُخبِراً الأعرابيَّ عما افترضه الله عليه من الصيام: «شهر رمضان إلا أن تطَّوَّع شيئاً» [متفق عليه].

الصيام وتحقيق التقوى المنشودة

الصيام تزكو به النفس، وتصفى الروح وتتحقق التقوى ، ويصل المرء إلى مرتبة الإحسان ، فتجد الناس تراقب الله في صيامها ، وتخشى على العبادة مما يفسدها من مساوئ الأخلاق وصغائر الذنوب قال تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

أضاف الله الصيام إلى نفسه إضافة تشريف

والصيام أضافه الله إلى نفسه ، فقال : " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ".

قال ابن عبد البر : وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي يُرَادُ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ كُلَّهَا لَهُ وَهُوَ يَجْزِي بِهَا فَمَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ الصَّوْمَ لَا يَظْهَرُ مِنِ ابْنِ آدَمَ فِي قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ

وَإِنَّمَا هُوَ نِيَّةٌ يَنْطَوِي عَلَيْهَا صَاحِبُهَا وَلَا يعلمها إلا الله وَلَيْسَتْ مِمَّا تَظْهَرُ فَتَكْتُبُهَا الْحَفَظَةُ كَمَا تَكْتُبُ الذِّكْرَ وَالصَّلَاةَ وَالصَّدَقَةَ وَسَائِرَ الْأَعْمَالِ لِأَنَّ الصَّوْمَ فِي الشَّرِيعَةِ لَيْسَ بِالْإِمْسَاكِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ لِأَنَّ كُلَّ مُمْسِكٍ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِذَا لَمْ يَنْوِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَلَمْ يُرِدْ أَدَاءَ فَرْضِهِ أَوِ التَّطَوُّعَ لِلَّهِ بِهِ فَلَيْسَ بصائم في الشريعة فلهذا ما قُلْنَا إِنَّهُ لَا تَطَّلِعُ عَلَيْهِ الْحَفَظَةُ وَلَا تَكْتُبُهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَيُجَازِي بِهِ عَلَى مَا شَاءَ مِنَ التَّضْعِيفِ(١). انتهى

فالصلاة والزكاة والصدقة والحج والذكر وسائر العبادات لله ،فلماذا يخص الله عز وجل الصيام فيضيفه إلى نفسه بقوله " فإنه لي" قال العلماء في ذلك أقوال منها:

(١) أن الصوم عبادة لا رياء فيه، لأنه لا يظهر من ابن ادم بفعله ، وإنما هو سر بين العبد وربه عز وجل ، وبقية العبادات تظهر بالقول أو الفعل .

إلا أن الرياء قد يقع في الصوم من جهة الإخبار به، وذلك في صيام النفل والتطوع، أما باقي العبادات فقد يدخلها الرياء من جهة الفعل، والله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه.

---

(١) التمهيد (١٩ / ٦٠) .

والرياء هو الشرك الخفي، أو الشرك الأصغر، وهو يحبط العمل ويفسده، قال تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة :٥)

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال " فقلنا بلى يا رسول الله : فقال : "الشرك الخفي ، أن يقوم الرجل فيصلي ، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل "(١).

وقال ﷺ: "من سمع الناس بعمله سمع الله به مسامع خلقه وصغره وحقره "(٢).

(٢) قيل أن الصيام لا يتعبد لغير الله به، فالله وحده هو الذي يُعْبَدُ بالصيام، فالكافرون والمشركون قد يتقربون لمعبوداتهم بألوان من الصلوات أو بأذكار وأوراد أو بالذبح أو بالنذر أو بالنفقة لها ولسدنتها وكهنتها، ولكنهم لم يصوموا ويتحملوا الجوع والعطش ومكابدة الشهوات من أجل معبوداتهم، والله أعلم.

---

(١) رواه ابن ماجه والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١/ ١٧).

(٢) رواه الطبراني في "المعجم الكبير" والبيهقي وانظر صحيح الترغيب (١/ ١٦).

(٣) قيل إن جميع العبادات توفى منها مظالم العباد إلا الصيام ، قال ابن عيينة : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُحَاسِبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدَهُ وَيُؤَدِّي مَا عَلَيْهِ مِنَ الْمَظَالِمِ مِنْ سَائِرِ عَمَلِهِ حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا الصَّوْمُ فَيَتَحَمَّلُ اللهُ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَظَالِمِ وَيُدْخِلُهُ بِالصَّوْمِ الْجَنَّةَ(١).

ويؤيد ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٠٠٢٥) عن أبي هُرَيْرَةَ، قال : سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: " قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ الْعَمَلِ كَفَّارَةٌ، إِلَّا الصَّوْمَ، وَالصَّوْمُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ " .

ولكن يعكر على القول حديث أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» [أخرجه مسلم] فظاهره أن الصيام مشترك في الكفارات كسائر الأعمال.

ولهذا بوب الإمام البخاري في "صحيحه" (٢٥/٣) فقال : بَابٌ: الصَّوْمُ كَفَّارَةٌ.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٤ / ٤٥٤) .

ثم أورد تحته حديث حذيفة عن النبي ﷺ «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ».

من مقاصد الصوم مضاعفة الثواب .

وقوله: "**وأنا أجزي به**" أي لا يعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته إلا الله ، وفي روايات الحديث " **كل عمل ابن آدم، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف**" إلى ما شاء الله إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير، وهذا إشارة إلى عظم الجزاء ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)

والصوم نصف الصبر، كما ورد عنه ﷺ[١]، وقال بعض المفسرين: إن المراد بالصابرين في الآية هم الصائمون.

تحقيق عبادة السياحة:

قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١١٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٠٧٣) والترمذي(٣٥١٩).

روى الطبري (١٤/ ٥٠٣) عن أبي هريرة وابن مسعود قالا: السائحون هم الصائمون.

من مقاصد الصوم وقاية الصائمين.

قوله: " وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ" أي حماية ووقاية في الدنيا والآخرة.

وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الصيامُ جُنَّةٌ كجُنَّةِ أحدكم من القتال"(١)

وعن كعب بن عُجرة رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ: "أُعيذك بالله يا كعبَ بن عُجْرَةَ من أُمراءَ يكونون من بعدي، فمن غشي أبوابَهم فصدَّقهم في كذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس منِّي ولستُ منه، ولا يرِدُ عليَّ الحوض، ومن غَشِيَ أبوابهم أو لم يغشَ فلم يصدقهم في كذبهم ولم يُعنهم على ظلمهم فهوَ منِّي وأنا منه، وسَيَرِدُ عليَّ الحوض، يا كعبَ بنَ عُجرةَ: الصلاةُ برهانٌ، والصومُ جنّةٌ حصينةٌ، والصدقةُ تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارَ، يا كعبَ بنَ عُجرةَ، إنه لا يدخل الجنة لحمٌ نَبَتَ من سُحْتٍ، النارُ أولى

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٢٧٣) والنسائي(٢٢٣٠).

به، يا كعبَ بنَ عُجرةَ، "الناسُ غاديان: فمبتاعٌ نَفْسَه فمُعْتقها، وبائعٌ نَفْسَه فمُوبِقُها"(١)

أما في الدنيا فهو حماية من الزلل في المعاصي كالزنا والعياذ بالله ، ففي الحديث عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ" (٢).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي أَنْ أَخْتَصِيَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خِصَاءُ أُمَّتِي الصِّيَامُ وَالْقِيَامُ" (٣).

وقال ﷺ : «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ» متفق عليه.

فالصيام جنة وحماية في الدنيا من الوقوع في المعاصي والمهالك من الذنوب، كما أنه تصح به الأبدان ، وتتداوى من الأسقام والأوجاع .

---

(١) أخرجه الترمذي برقم ٦١٤، وأحمد ٢٢/ ٣٣٢، برقم(١٤٤٤١)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١/ ٣٣٦).

(٢) أخرجه : البخاري (٥٠٦٦)(٥٠٦٥)(١٩٠٥) ومسلم (١٤٠٠).

(٣) أخرجه : أحمد (٦٥٧٥) .

وفي الآخرة : الصوم جنة من النار.

قال ﷺ : "الصيام جنة وحصن حصين من النار "[١].

وفي لفظ: "الصوم جنة من عذاب الله " [٢].

وقال ﷺ :" من صام يوماً في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا "[٣].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ بَاعَدَ اللهُ مِنْهُ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ»[٤] .

وأخرج الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :"من صام يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض[٥]".

(١) أحمد والبيهقي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٨٠).

(٢) البيهقي وأحمد والنسائي وابن ماجه وانظر صحيح الجامع (٣٨٦٧).

(٣) متفق عليه.

(٤) النسائي وحسنه الألباني.

(٥) الترمذي عن أبي أمامة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٣٣).

والصيام أيضاً سبب من أسباب دخول الجنة ، فعن سَهْلٍ بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ[1].

وقال ﷺ : " من ختم له بصيام يوم دخل الجنة [2]".

وعن حذيفة عنه ﷺ قال : " من قال لا إله إلا الله ختم له بها دخل الجنة ، ومن صام يوماً ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة ، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة "[3].

من مقاصد الصيام التدريب على حسن الخلق.

قوله :" فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم مرتين" .

ومعنى لا يرفث أي لا يفحش في الكلام؛ وقيل الرفث مقدمات الجماع ، ولا يصخب ولا يجهل أي لا يفعل أفعال الجهال كالصياح والسخرية والصراخ،

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٧) ومسلم (١١٥٢).

(٢) أحمد وأبو نعيم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٢٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد؛ وانظر صحيح الترغيب (١ /٤١٢).

حتى إن تعرض للسب أو الشتم أو العراك فليقل إني صائم إني صائم ، يذكر نفسه ومن أمامه بأخلاق الصائمين الربانيين ، وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قولَ الزُّور، والعملَ به، فليس لله حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامَه وشرابَه» [البخاري (١٩٠٣)]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ» (١)

وقال تعالى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾ (الفرقان:٦٣)

وقال تعالى :﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف:١٩٩)

روى البخاري عن عبد الله بن الزبير في قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ قال : ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس .

ويروي لنا أَنَس بْنِ مَالِكٍ قَالَ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ

(١) أخرجه الإمام أحمد (٨٨٥٦) والنسائي في الكبرى(٣٢٣٦) وابن ماجه (١٦٩٠).

إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ(١).

والصائم عليه أن يتأدب بأدب النبي ﷺ فيكظم غيظه، ويتحلى بما ينبغي أن يكون عليه الصائمون ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ" (٢).

وروى أبو داود والترمذي عن معاذ بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: " من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء ".

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ "(٣).

---

(١) البخاري (٥٨٠٩)(٦٠٨٨) ومسلم(١٠٥٧)

(٢) البخاري (٦١١٤) ومسلم(٢٦٠٩)

(٣) أبو داود(٤٧٩٨)وأحمد(٢٤٤٩٢)

فما بالك إذا كان المؤمن صائماً وحسن الخلق، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ (الشمس : ٧ – ١٠)

يا خادم الجسم كم تسعى لخـدمته ... أتطلب الربـح مما فيه خسـرا ن

أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

ثواب الخلوف في الآخرة.

قوله ﷺ: " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ "

وإذا ثبت الفضل ذلك لرائحة الخلوف ، فما بالك بثواب الصيام ، ألم يتقدم معنا قوله سبحانه " فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ " ثواب عظيم بلا شك ، فأبشر أخي الصائم بثواب عظيم وعطاء جزيل من الكريم سبحانه.

فالمؤمنون يعرفون يوم القيامة بالتحجيل من أثر الوضوء ، يأتون غراً محجلين، ويأتي الصائمون المؤمنون برائحة أطيب من ريح المسك مع الضياء الذي يلف أعضاء الوضوء من أثر الوضوء ، فيجمعون بين هذا وذاك .

وقال ابن حجر في "فتح الباري"(٤/ ١٠٦): وَيُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ أَنَّ الْخُلُوفَ أَعْظَمُ مِنْ دَمِ الشَّهَادَةِ لِأَنَّ دَمَ الشَّهِيدِ شُبِّهَ رِيحُهُ بِرِيحِ الْمِسْكِ وَالْخُلُوفُ وُصِفَ بِأَنَّهُ أَطْيَبُ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الصِّيَامُ أَفْضَلَ مِنَ الشَّهَادَةِ لِمَا لَا يَخْفَى وَلَعَلَّ سَبَبَ ذَلِكَ النَّظَرُ إِلَى أَصْلِ كُلٍّ مِنْهُمَا فَإِنَّ أَصْلَ الْخُلُوفِ طَاهِرٌ وَأَصْلُ الدَّمِ بِخِلَافِهِ فَكَانَ مَا أَصْلُهُ طَاهِرٌ أَطْيَبَ رِيحًا".

من مقاصد الصوم إدخال الفرح على نفس الصائم.

قوله " لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ" فرح بفطره في الدنيا لأنه أتم الطاعة ، ويرجو تحصيل المطلوب من الثواب، ولأن للصائم عند فطره دعوة مستجابة ، قال ﷺ : " ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل والصائم حين يفطر ودعوة المظلوم "[١].

وأما فرحته إذا لقي ربه فإنه يفرح بثواب صومه، قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المزمل: ٢٠) والله يقول : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (يونس :٥٨).

(١) صحيح الترمذي (٢٥٢٦).

والصيام يشفع لصاحبه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : "الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصِّيَامُ أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ قَالَ فَيُشَفَّعَانِ"(١).

والصيام سبب لدخول الجنة من باب الريان

فعَنْ سَهْلٍ بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ"(٢).

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغُرَفًا يُرَى بُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا، وَظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنْ هِيَ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ».

****

---

(١) أخرجه أحمد وصححه الألباني في صحيح الترغيب.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٦)(٣٢٥٧) ومسلم(١١٥٢).

ومن مقاصد الصوم جعله من الكفارات:

الصوم من مكفرات الذنوب: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ» [مسلم]

ولعظم ثواب الصوم وشرفه عند الله تعالى جعله الله من الكفارات على النحو الآتي:

أ- كفارة فدية الأذى : يعد الصوم كفارة فدية الأذى لقوله تعالى :﴿ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ (البقرة، الآية: ١٩٦)

ب- كفارة الظهار: لقول الله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير . فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ الله وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيم ﴾ (سورة المجادلة: ٤٣ – ٤٤).

ج- كفارة قتل الخطأ:

لقول الله تعالى :﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (سورة النساء: ٩٢).

د- كفارة اليمين : لقول الله تعالى :﴿ لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ ﴾ (سورة المائدة: ٨٩٩).

ك- من لم يجد الهدي : من لم يجد الهدي صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله؛ لقول الله تعالى :﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي المَسْجِدِ الحَرَامِ ﴾ (البقرة: ١٩٦٦).

ل - جزاء قتل الصيد في الإحرام : لقول الله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ

ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللهُ مِنْهُ واللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَام ﴾ (المائدة).

م- كفارة الجماع في نهار شهر رمضان :يعد الصوم كفارة الجماع في نهار شهر رمضان؛ لحديث: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ فَقَالَ: هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: "وَمَا أَهْلَكَكَ". قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ. قَالَ: "هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً". قَالَ: لاَ. قَالَ: "فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ". قَالَ: لاَ. قَالَ: "فَهَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا". قَالَ: لاَ، قَالَ ثُمَّ جلَسَ فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ. فَقَالَ: "تَصَدَّقْ بِهَذَا". قَالَ: أَفْقَرَ مِنَّا؟ فَمَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ثُمَّ قَالَ: "اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ" [متفق عليه]

انتهى والله وحده من وراء القصد

رمضان وتحقيق العبودية

أعده

أبو عاصم البركاتي المصري

بسم اللّه الرحمن الرحيم

وبه نستعين.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللّهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيئاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد:

فإن أول أمر في كتاب الله تعالى هو الأمر بعبودية الله عز وجل وذلك في قوله -عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[1]. وآخر أمر في القرآن أمر بالعبودية وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (الناس :١) والاستعاذة بالله تعالى عبودية فهي من لجوء القلب لله وطلب الحماية منه سبحانه وتعالى.

عبودية اللّه هي الحكمة من خلق الخلق

والله تعالى ما خلق الخلق إلا ليعبدوه ، قال سبحانه:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

---

(١) سورة : البقرة (٢١).

(٢) سورة : الذاريات (٥٦).

وبها أرسل جميع الرسل، كما قال نوح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾(١). وكذلك قال هود، وصالح، وشعيب، وغيرهم لقومهم، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾(٤). كما قال في الآية الأخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾(٥). وجعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت كما قال: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾(٦).

سمو مقام العبودية

ويدل على ذلك أن الله تعالى وصف خير خلقه من الأنبياء والرسل والصالحين والملائكة فقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ

(١) سورة : الأعراف (٥٩)، المؤمنون (٢٣).

(٢) سورة : النحل (٣٦).

(٣) سورة : الأنبياء (٢٥).

(٤) سورة : الأنبياء (٩٢).

(٥) سورة : المؤمنون (٥١-٥٢).

(٦) سورة : الحجر (٩٩).

عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ . يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَار لا يَفْتُرُونَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء : ١).

وقال: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً للَّهِ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً . فَأَمَّا الَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلُيماً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً ﴾ (النساء:١٧٢، ١٧٣).

وقال في وصف عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرائيلَ﴾ (الزخرف:٥٩).

وقال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْراهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ . إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ . وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ

(١) سورة : الأنبياء (١٩-٢٠).

(٢) سورة : الأعراف (٢٠٦).

الأَخْيَارِ . وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ﴾ (ص:٤٥-٤٨).

وقال عن داود: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأيدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص:١٧).

وقال عن سليمان: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص:٣٠).

وقال عن أيوب: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ (ص:٤١).

وقال عن نوح: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء:٣).

وذم المستكبرين عنها بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]. ونعت صفوة خلقه بالعبودية له، فقال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[2].

وقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾[3].

وقال : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[4].

---

(١) سورة : غافر (٦٠).

(٢) سورة : الإنسان (٦).

(٣) سورة : الفرقان (٦٣).

(٤) سورة : الأنعام (١٦٢-١٦٣).

تعريف العبادة

مفهوم العبودية في اللغة:

العبودية: مصدر عبد يعبد عبادةً ومعبداً ومعبدةً، فهو عبدٌ، أي: ذلّ وخضع.

قال ابن منظور: "أصل العبودية الخضوع والتذلل. وعبد الله تألّه له. والتعبّد التنسك، والعبادة: الطاعة".

وقال الفراء: "معنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء".

وقال ابن الأنباري: "فلان عابد وهو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره".

وقال الزبيدي: "أصل العبودية الذل والخضوع، وقال آخرون: العبودية الرضا بما يفعل الرب، والعبادة فعل ما يرضى به الرب".

ب- مفهوم العبودية في الشرع:

قال ابن القيم: "العبودية اسم جامع لمراتب أربع من قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح.

فقول القلب هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته على لسان رسله عليهم السلام.

وقول اللسان الإخبار عن قول القلب بما فيه من الاعتقاد والدعوة إليه والذب عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة والقيام بذكره وتبليغ أوامره.

وعمل القلب كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له وإخلاص الدين له والصبر على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره والمعاداة فيه والخضوع والذل له وغير ذلك من أعمال القلب.

وأعمال الجوارح كالصلاة والحج والجهاد وغيرها".

وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: العبادة: "هي اسم جامع لكل ما يحبه اللهُ ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة".

أنواع العبودية

العبودية نوعان: عامة وخاصة:

أ- فالعبودية العامة: هي عبودية القهر والتسخير والملك والتسيير، وهذه تعمّ جميع الخلق مكلّفهم وغير مكلفهم، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.

ب- والعبودية الخاصة: هي عبودية التأله والطاعة والمحبة وهذه خاصة بعباد الله المؤمنين، الذين استجابوا لداعي الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن العبد يراد به المعبّد الذي عبّده الله فذلَّله ودبره وصرفه، وبهذا الاعتبار فالمخلوقون كلهم عباد الله، الأبرار منهم والفجار، والمؤمنون والكفار، وأهل الجنة وأهل النار، إذ هو ربهم كلهم

ومليكهم لا يخرجون عن مشيئته وقدرته، وكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، فما شاء كان وإن لم يشاؤوا، وما شاءوا إن لم يشأه لم يكن، كما قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران:٨٣)، ومثل هذه العبودية لا تفرّق بين أهل الجنة وأهل النار، ولا يصير بها الرجل مؤمناً... والمعنى الثاني من معنى العبد، وهو العبد بمعنى العابد فيكون عابداً لله لا يعبد إلا إياه، فيطيع أمره وأمر رسله، ويوالي أولياءه المؤمنين المتقين ويعادي أعداءه، وهذه العبادة متعلقة بألوهيته، ولهذا كان عنوان التوحيد (لا إله إلا الله) بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبده أو يعبد معه إلهاً آخر. وهذه العبادة هي التي يحبها الله ويرضاها وبها وصف المصطفين من عباده وبها بعث رسله. وأما العبد بمعنى المعبَد سواء أقر بذلك أو أنكره فهذا المعنى يشترك فيه المؤمن والكافر[1]".

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "العبودية نوعان: عامة وخاصة:

فالعبودية العامة: عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْداً﴾ (مريم:٩٣).

---

(١) العبودية ص٣٨-٤٥ بتصرف.

وأما النوع الثاني: فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر، قال تعالى: ﴿يٰعِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (الزخرف:٦٨)، وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ . ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر:١٧، ١٨)، وقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ ٱلأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً﴾ (الفرقان:٦٣، ٦٤). فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد ألوهيته[(١)]".

وقال ابن جرير في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُ بَل لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوٰتِ وَٱلأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَٰنِتُونَ﴾ (البقرة:١١٦): "وأولى معاني القنوت في قوله: ﴿كُلٌّ لَّهُ قَٰنِتُونَ﴾ الطاعة والإقرار لله عز وجل بالعبودية بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصنعة، والدلالة على وحدانية الله عز وجل، وأن الله تعالى ذكره بارئها وخالقها، وذلك أن الله جل ثناؤه أكذب الدين زعموا أن لله ولداً بقوله: ﴿بَل لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوٰتِ وَٱلأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً، ثم أخبر عن جميع ما في السموات والأرض أنها مقرة بدلالتها على ربها وخالقها، وأن الله تعالى بارئها وصانعها، وإن جحد ذلك بعضهم فألسنتهم مذعنة له

---

(١) مدارج السالكين (١/١٠٥).

بالطاعة بشهادتها له بآثار الصنعة التي فيها بذلك، وأن المسيح أحدهم، فأنى يكون لله ولداً وهذه صفته؟!(١)"

وقال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (آل عمران:٨٣)، قال شيخ الإسلام: "فذكر إسلام الكائنات طوعاً وكرهاً؛ لأن المخلوقات جميعها متعبّدةٌ له التعبد العام، سواءٌ أقر المقر بذلك أو أنكره، وهم مدينون له مُدبّرون، فهم مسلمون له طوعاً وكرهاً، ليس لأحد من المخلوقات خروجٌ عما شاءه وقدّره وقضاه، ولا حول ولا قوة إلا به، وهو رب العالمين ومليكهم، يُصرّفهم كيف يشاء، وهو خالقهم كلّهم، وبارئهم ومُصورهم، كل ما سواه فهو مربوب مصنوعٌ مفطورٌ، فقيرٌ محتاجٌ معبَّد مقهورٌ، وهو سبحانه الواحد القهار الخالق البارئ المصوّر"(٢).

أنواع العبودية الخاصة

هذا وتتنوع العبودية الخاصة إلى أنواع كثيرة ، فكل ما أمر الله به فهو عبادة، وكل ترك لما نهى الله عنه طاعة لله هو عبادة ، ولا تحصر أنواعها، أنواعها كثيرة ، كل ما أمر الله به فهو عبادة ، وكل ما نهى الله عنه فتركه ، سواء كان

---

(١) جامع البيان (١/٥٠٧- ٥٠٨).

(٢) العبودية ص١٤٥.

ذلك ظاهرا على الجوارح أو كان باطنا في القلوب ، لأن العبادة تكون على اللسان وتكون على القلب وتكون على الجوارح.

فالعبادة القلبية : كل ما في القلب من التقرب إلى الله -عز وجل- فإنه عبادة كالخوف والرجاء والخشية والرغبة والرهبة والتوكل والإنابة والاستعانة ، كل هذه أعمال قلب ، اللجوء إلى الله بالقلب وخشية الله وخوفه ورغبته والرغبة إليه ومحبته سبحانه والإخلاص له والنية الصادقة لله - عز وجل - ، يبين هذا ما رواه في الصحيح عن أنس -رَضِيَ اللهُ عنْهُ- قال: لما رجعنا من تبوك قال النبي -ﷺ-: "إن أقواماً بالمدينة ما سِرْتُم مسيراً، ولا نزلتم منزلاً، ولا قطعتم وادياً إلا شركوكم في الأجر". قال الصحابة -رَضِيَ اللهُ عنْهُم-: وهم بالمدينة يا رسول الله؟ قال: "نعم، حبسهم العذر" [1]

وفي رواية: "حبسهم المرض" [2].

كل ما في القلوب من هذه الأنواع فهو عبادة .

وعبادة قولية : تكون على اللسان مثل التسبيح والذكر والتهليل والنطق بالشهادتين، كل أقوال اللسان المشروعة من ذكر الله - عز وجل - فإنها عبادة.

---

(١) البخاري، رقم ٤٠٧١

(٢) مسلم، رقم ٣٥٣٤ من حديث جابر.

وعبادة بدنية: تكون العبادة على الجوارح مثل الركوع والسجود والجهاد في سبيل الله والجهاد بالنفس والهجرة، كل هذه عبادات بدنية، والصيام عبادة بدنية تظهر على الجوارح.

العبادة البدنية : هي الثلاثة الأنواع التي قلنا، تكون على اللسان وعلى الجوارح وعلى القلب.

وتكون مالية : مثل إخراج الزكاة ، مثل الإنفاق في سبيل الله ، وهو الإنفاق في الجهاد قال الله تعالى : ﴿ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ (التوبة : ٢٠) . قدم الأموال على الأنفس، فالجهاد بالمال عبادة مالية، الحج يتكون من عبادة بدنية وعبادة مالية، فأداء المناسك: الطواف والسعي ورمي الجمار والوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة عبادة بدنية، أما الإنفاق فيه فهو عبادة مالية؛ لأن الحج يحتاج إلى نفقة.

مقام العبودية عند النبي ﷺ (١)

تعدّدت المقامات الدالة على اصطفاء الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ في منزلته ومكانته ، وفي خصائصه وفضائله ، وفي شمائله وصفاته، واليوم

(١) www.islamweb.net

نقف مع أعلى تلك المقامات وأرفعها ، وهو مقام عبوديته[1] ﷺ لله جلّ وعلا .

ومما يدلّ على عظم ذلك المقام، وكون النبي ﷺ في أعلى مراتبه ، وصف الله تعالى لنبيه بالعبودية في مواطن التحدّي والمعجزة ، قال تعالى : ﴿**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله**﴾ (البقرة: ٢٣)، وفي التشريف بالإسراء يقول الله عز وجل: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**﴾ (الإسراء : ١)، وعند ذكر نزول القرآن يقول الله: ﴿**هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور**﴾ (الحديد : ٩)، وفي مقام الدعوة يقول الله: ﴿**وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا**﴾ (الجن: ١٩).

بل كانت عبوديّته عليه الصلاة والسلام أكمل من عبودية من قبله من الأنبياء، فهو خير العابدين لله سبحانه وتعالى ، وسيرته العطرة ، توضح ذلك وتبينه خير بيان، وبذلك استحقّ شرف الوسيلة والشفاعة يوم القيامة دون من سواه.

---

(١) وعبادة رسول الله ﷺ مستمرة ومتواصلة، فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها " كان عمل رسول الله ﷺ ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق " ومعنى قولها ديمة أي يداوم عليه ، بل لو فاته شيء من النوافل قضاه"

ورحلة النبي ﷺ مع العبودية بدأت مبكرًا حينما كان يمضي إلى غار حراء يتحنث فيها الليالي العديدة، مستجيبا لكوامن النفس ودوافع الفطرة، في تعظيم الخالق سبحانه وتعالى ومناجاته، وقد أجاد الشاعر حين قال:

ولقد تفرّغ للعبـــادة قبل أن يُؤمر بها في شامخ الصخرات
وغدا يناجي ربّه ويريـــد منه هـــداية للخير والحســنات
حتى استجاب له الإله وجاءه جبريـل بالبشرى وبالآيات

وببعثته ﷺ صارت عبوديّته لربّه أكثر شمولا وتنوّعا، فلم تقتصر على مجرّد الشعائر التعبدية الظاهرة المعروفة، بل امتدّت لتشمل كل ما يحبّه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

فصلاته بين يدي ربه هي العجب العجاب، إذ كانت صلاته تفيض بأنوار السكينة والطمأنينة، في مناجاة للخالق وتذللٍ بين يديه، على نحوٍ يجلّ عن المثيل والنظير، حتى صارت الصلاة أنيسه وقرّة عينه : " **وجعلت قرة عيني في الصلاة**"، وغدت دواءً لأحزانه وكربه : " **كان إذا حزبه أمر صلّى**".

ولعل خير من يصوّر لنا صلاة النبي ﷺ، عوف بن مالك رضي الله عنه، حينما قال: " قمت مع رسول الله ﷺ فبدأ واستاك وتوضأ، وقام فصلى، فاستفتح بالبقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا

وقف وتعوذ . ثم ركع فمكث راكعاً بقدر قيامه ، يقول في ركوعه: **سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة،** ثم سجد بقدر ركوعه يقول في سجوده: **سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة،** ثم قرأ آل عمران ثم سورة، ففعل مثل ذلك".

وهذا المغيرة بن شعبة يصف لنا اجتهاده في ذلك فيقول: "**قام النبي ﷺ حتى ورمت قدماه**"، وقد أُثر عنه قيامه الليل كلّه بآية من القرآن الكريم ، ويطيل بالقراءة أحيانا أخرى، فإذا سُئل عن ذلك كان يقول: **"أفلا أكون عبدا شكورا ؟".**

وفيما يتعلّق بصيامه عليه الصلاة والسلام، قالت زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، فما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان" [متفق عليه] واللفظ للبخاري، وأشارت روايات أخرى أنه كان يُكثر من صيام الاثنين والخميس وثلاثة أيام من غرّة كل شهر.

ومن العبادات التي كان يداوم عليها النبي ﷺ، عبادة الاعتكاف في المسجد، إذ كان يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، يمكث فيه للصلاة

وقراءة القرآن وتقوية الصلة بالله عز وجل، والتفرغ لذلك ، فقد ذكرت عائشة رضي الله عنها "أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده" متفق عليه واللفظ للبخاري.

أما في مجال الصدقة، والمبادرة إليها، والمسارعة نحوها ، فقد كان ﷺ صاحب عبادة عظيمة، ومسارعة عجيبة ، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، يُرشد لذلك تلك الحادثة التي يرويها الصحابي الجليل عقبة بن الحارث رضي الله عنه، حيث قال: " صليت مع النبي ﷺ العصر ، فلما سلم قام سريعاً، فدخل على بعض نسائه، ثم خرج ورأى ما في وجوه القوم من تعجبهم لسرعته، فقال ذكرت وأنا في الصلاة تبراً- أي ذهباً- عندنا، فكرهت أن يمسي أو يبيت عندنا، فأمرت بقسمته " رواه البخاري.

وفي ذكره لله عز وجل خير أسوة لنا ، فقد كان ﷺ دائم الذكر لربّه في مختلف الأحوال وجميع الأوقات، فكان يذكره في قيامه وقعوده ، وأفراحه وأحزانه، وطعامه وشرابه ، وصباحه ومسائه، حتى إن العلماء قديماً وحديثاً عنوا بجمع ما كان يقوله عليه الصلاة والسلام من أوراد وأذكار مختلفة.

أما عبادته ﷺ القلبية، والتي يقصد بها الأعمال التي ترتبط بالقلب ارتباطاً مباشراً من محبةٍ لله وتوكّل عليه ، وخوف منه ورجاء له، ورضاء بقضائه وقدره، وغيرها من أفعال القلوب، فالنبي ﷺ قد بلغ في تلك الأحوال أعلى الدرجات، شأنه في ذلك شأن من سبقه من الأنبياء، فنلمس توكّله على الله عز وجل في قصة هجرته وقوله لأبي بكر: "ما ظنك باثنين، الله ثالثهما؟"، ونلمس بوضوح محبّته لربه في قوله عن المطر: "إنه حديث عهد بربه".

وأما خشيته لله وخوفه منه، فتظهران من خلال ما نجده من رقّة قلبه وسرعة دمعته ، وخشوع طرفه وانكسار قلبه عند ذكره لله عز وجل ووقوفه بين يدي مولاه ، كما وصفه أبو مطرف قائلاً: " **أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء**"، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً و لبكيتم كثيراً**. وفي رواية الترمذي : " **إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحُقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً و لبكيتم كثيراً ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله** " فكان بذلك أنموذجاً تحتذي به نفوس الصالحين.

لقد كانت حياته ﷺ كلها عبادة ، وكذلك كانت وفاته ، حتى كان أعظم وأكمل من حقّق قوله تعالى: ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**﴾ (الأنعام : ١٦٢)، فهنيئا لمن سلك سبيل العبودية، واقتدى فيه بأكمل الخلق ﷺ .

هدي الحبيب ﷺ في رمضان

لم يكن حال النبي ﷺ في رمضان كحاله في غيره من الشهور، فقد كان يومه وشهره مليئا بالطاعات، وذلك لعلمه بما لهذا الشهر من فضل خصه الله به، فهو شهر يُنادَى فيه: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر.. وفيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران.. ومن ثم علينا أن نقف مع هديه - ﷺ- في شهر رمضان، حتى نقتدي به .

فالمسلم - بوجه عام - عليه أن يتعلم هدي النبي - ﷺ- في كل عمل، حتى لا يقع في ما يبطله أو يُخِل به.. فصلاح أي عمل متوقف على شرطين، هما: إخلاص النية لله تعالى، وموافقة هدي النبي - ﷺ .

ومن هذه الأعمال والعبادات، أعمال شهر رمضان، من الصيام والقيام والقراءة والاعتكاف، وغيرها من الأعمال الصالحات. وقد جاءت أحاديث كثيرة، تبين لنا هدي النبي - ﷺ- في هذا الشهر المبارك. من ذلك :

هديه - ﷺ - في الصيام

كان من هديه ﷺ تعجيل الفطر وتأخير السحور، وأمر أمته بذلك.

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: " تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة، قلت: كم كان قدر ما بينهما؟ قال: خمسين آية " أخرجه البخاري.

قال ابن حجر في الفتح : "قال المهلب وغيره: " كانت العرب تقدر الأوقات بالأعمال، كقولهم: قدر حلب شاة، وقدر نحر جزور، فعَدَل زيد بن ثابت عن ذلك إلى التقدير بالقراءة، إشارة إلى أن ذلك الوقت كان وقت العبادة بالتلاوة".

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **"تسحروا فإن في السحور بركة"** أخرجه البخاري.

وكان ﷺ يعجل الفطر بعد غروب الشمس مباشرة، وكان يفطر قبل صلاة المغرب، وكان يفطر على رطب، فإن لم يجد فعلى تمر، فإن لم يجد حسى حسوات من ماء.

قال ابن عبد البر :

" أحاديث تعجيل الإفطار وتأخير السحور صحاح متواترة ".

ومن هذه الأحاديث ما رواه مالك بن عامر قال: "دخلت أنا ومسروق على عائشة، فقال لها مسروق: رجلان من أصحاب محمد ﷺ كلاهما لا يألوا عن الخير، أحدهما يعجل المغرب والإفطار، والآخر يؤخر المغرب والإفطار، فقالت: من يعجل المغرب والإفطار؟ قال: عبدالله، قالت: هكذا كان رسول الله ﷺ يصنع" أخرجه البخاري.

وعبد الله هو ابن مسعود. رضي الله عنه وكان ﷺ يقول إذا أفطر: "ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى" أخرجه أبوداود.

وكان يدعو عند فطره بخيري الدنيا والآخرة.

وكان - ﷺ- إذا أفطر عند قوم دعا لهم وقال: "أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة" أخرجه أحمد.

هديه ﷺ في قيام رمضان

قيام الليل من السنن والطاعات التي تتأكد في رمضان، فقد قال - ﷺ- : "من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه " أخرجه البخاري.

وقد أخبر النبي - ﷺ- بأنه من قام فيه مع الإمام حتى ينصرف من صلاته كُتِب له قيام ليلة كاملة، لقوله ﷺ: "إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة" أخرجه أحمد.

والشاهد من الحديث قوله : " من قام مع الإمام "، فإنه ظاهر الدلالة على فضيلة صلاة القيام (التراويح) في رمضان مع الإمام .

ويؤيد هذا ما ذكره أبو داود ، قال: سمعت أحمد يقول:" يعجبني أن يُصَلى مع الإمام ويوتر معه"، قال النبي ﷺ: "إن الرجل إذا قام مع الإمام حتى ينصرف كتب الله له بقية ليلته".

وكان - ﷺ- يصلي إحدى عشرة ركعة، يطيل القراءة فيها جدا، كما ثبت من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة .رضي الله عنها.: "كيف كانت صلاة رسول الله - ﷺ- في رمضان؟ فقالت: ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثا، فقلت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟، قال: يا عائشة، إن عيني تنامان، ولا ينام قلبي " مسلم.

هديه في العشر الأواخر من رمضان

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدَّ وشدَّ المئزر" أخرجه البخاري.

قولها: إذا دخل العشر: أي العشر الأواخر من رمضان، وقولها: (أحيا الليل) أي: سهره فأحياه بالطاعة، وقولها: (وأيقظ أهله) أي: للصلاة بالليل، وقولها: "وشد مئزره" أي: اعتزل النساء ليتفرغ للعبادة صلوات الله وسلامه عليه .

وعنها أيضا قالت: " كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره " أخرجه البخاري.

هديه ﷺ في الاعتكاف

عن ابن عمر رضي الله عنهما: " أن رسول الله - ﷺ- كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان" أخرجه البخاري.

وكان من أسباب اعتكافه - ﷺ- طلب ليلة القدر، كما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله - ﷺ- يقول: "تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان" أخرجه البخاري.

وكان يرغب في قيام ليلة القدر فيقول: " من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه " أخرجه البخاري.

هديه ﷺ في زكاة الفطر

مما أمر به النبي - ﷺ- وفرضه في رمضان زكاة الفطر، وأمر بإخراجها قبل صلاة العيد، كما ثبت من حديث ابن عمر . رضي الله عنهما . قال: "فرض

رسول الله – ﷺ– زكاة الفطر صاعا من تمر، أو صاعا من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير، من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة" أخرجه البخاري .

وقد بين ابن عباس . رضي الله عنهما . الحكمة من مشروعية زكاة الفطر، فقال: " فرض رسول الله – ﷺ– صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات " أخرجه أبو داود.

وكان من هديه ﷺ في رمضان

قراءة القرآن ومدارسته، والجود والإنفاق في سبيل الله، وذلك لقول ابن عباس . رضي الله عنهما . قال: "كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة" أخرجه البخاري.

فدل هذا الحديث على زيادة جود النبي ﷺ في رمضان عن غيره من الأزمان، فرسول الله ﷺ هو أجود الناس، ولكن أعلى مراتب جوده كانت في رمضان..

وكان جوده ﷺ شاملاً لجميع أنوع الجود، من بذل العلم والمال، وبذل النفس لله تعالى، في إظهار الدين وهداية العباد، وإيصال النفع إليهم بكل طريق وسبيل، من إطعام الجائع، ووعظ الجاهل، وقضاء الحوائج.

فكان من هديه ﷺ في رمضان الازدياد من أنواع العبادات والطاعات عن بقية الشهور، خاصة في القرآن والصدقات..

وكان - ﷺ- ربما خرج للجهاد في شهر رمضان، إذا دعت الحاجة إلى ذلك، فكان لا يشتغل بالصيام عن واجباته الأخرى.

ومن غزواته ﷺ التي كانت في رمضان: غزوتي بدر وفتح مكة، حتى سمي رمضان شهر الجهاد .

وكان يصوم في سفره تارة ويفطر أخرى، ويُخيِّرُ أصحابه بين الأمرين، وكان يأمرهم بالفطر إذا دنوا من عدوهم ليتقووا على قتاله .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "كنا في سفر في يوم شديد الحر، وما فينا صائم إلا رسول الله وعبد الله بن رواحة" أخرجه مسلم.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: " أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في شهر رمضان، فصام حتى بلغ كُراع الغميم (موضع بين مكة والمدينة)، فصام الناس، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه، ثم

شرب، فقيل له بعد ذلك: إن بعض الناس قد صام، فقال: أولئك العصاة أولئك العصاة" أخرجه مسلم .

وكان من عموم هدي النبي ﷺ في رمضان رحمته بأمته وشفقته عليهم، ومحبة الخير لهم، وتوجيههم إلى كل ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة، وحثهم على استغلال الأوقات الفاضلة -كليلة القدر- للوصول إلى عفو الله ومغفرته وجنته..

هذا بعض من هديه ﷺ في رمضان.

فما أحوجنا إلى الاقتداء بنبينا وحبيبنا -ﷺ، فالنجاة والسعادة في اتباع هديه وسنته في حياتنا كلها، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب:٢١).

العبودية عند السلف

قصة لابن أبي ذئب رحمه الله:

ذكر الذهبي في ترجمة ابن أبي ذئب أن المهدي الخليفة العباسي دخل المسجد النبوي والناس جلوس وطلبة العلم في حلقاتهم، فلما رأوا الخليفة قاموا إلا ابن أبي ذئب لم يقم من مكانه، فقال المهدي للعالم ابن أبي ذئب : أما عرفتني؟ لِمَ لَمْ تقم لي؟ فقال ابن أبي ذئب : والله لقد هممت أن أقوم لك، فتذكرت قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين:٦) فتركت القيام لذاك

اليوم. فهؤلاء أناس عرفوا مقام العبودية. .

قصة عبد الله بن وهب المصري رحمه الله: يروي الذهبي في المجلد الثامن من سير أعلام النبلاء في قصة عبد الله بن وهب المصري العالم الكبير الزاهد أنه ألف كتاب أهوال يوم القيامة فقال له أصحابه: اقرأ علينا الكتاب، قال: أما أنا فوالله لا أستطيع أن أقرأ الكتاب، لكن مروا أحدَكم أن يقرأه، قالوا: ابنك يقرأ علينا الكتاب، فبدأ ابنه يقرأ الكتاب الذي ما سمع الناس بمثله في بابه، فأُغْشِي على عبد الله بن وهب، قال الذهبي : وبقي ثلاثة أيام مغمىً عليه، ومات في اليوم الرابع، واقرءوا ترجمته، فهو عالم مصر محدثها وزاهدها، أُغْمِي عليه ثلاثة أيام لما قرئ عليه كتابه الذي ألفه، وفي اليوم الرابع فارق الحياة.

صور من عمل الأخفياء

أمير المؤمنين عمر في ظلمة الليل: خرج عمر بن الخطاب يوماً في سواد الليل وحيداً حتى لا يراه أحد، ودخل بيتاً، ثم دخل بيتاً آخر، ورآه رجل لم يعلم عمر أن هذا الرجل رآه، رآه طلحة رضي الله تعالى عنه وأرضاه، فظن أن في الأمر شيئاً، أوجس طلحة في نفسه، لماذا دخل عمر هذا البيت؟! ولماذا وحده؟! ولماذا في الليل؟! ولماذا يتسلل؟! ولماذا لا يريد أن يراه

أحد؟! ارتاب طلحة في الأمر، والأمر عند طلحة يدعو للريبة. ولما كان الصباح، ذهب طلحة فدخل ذلك البيت، فلم يجد إلا عجوزاً عمياء مقعدة، فسألها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟! وكانت المرأة لا تعرف أن الرجل الذي يأتيها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، قالت العجوز العمياء المقعدة: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا بما يصلحني ويخرج الأذى عن بيتي. أي يكنس بيتها ويقوم بحالها ويرعاها عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه. ولا نعجب! لا نعجب أن رئيس الدولة وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب يفعل ذلك، فكم من المرات فعل ذلك عمر رضي الله تعالى عن، فهذه المواقف ليست عجباً في حياة عمر ، ولكننا نعجب من شدة إخفاء عمر لهذا العمل حتى لا يراه أحد، وفي الليل، في سواد الليل، ويمشي لواذاً خشية أن يراه أحد فيفسد عليه عمله الذي هو سر بينه وبين الله.

زين العابدين وصدقة السر :-

ومثل ذلك سار عليه أيضاً زين العابدين رضي الله تعالى عنه وأرضاه، علي بن الحسين ، فقد ذكر الذهبي في السير وابن الجوزي في صفة الصفوة :

أن علي بن الحسين كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل، فيتصدق به ويقول: "إن صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل"[1].

وعن عمرو بن ثابت قال: لما مات علي بن الحسين فغسلوه، جعلوا ينظرون إلى آثار سواد في ظهره، فقالوا: ما هذا؟! قالوا: كان يحمل جرب الدقيق - يعني: أكياس الدقيق- ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة . وذكر ابن عائشة قال: قال أبي: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

ابن المبارك يفك أسر صاحبه :-

وعن محمد بن عيسى قال: كان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس، وكان ينزل الرقة في خان -يعني في فندق- فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث، قال: فقدم عبد الله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب، وكان مستعجلاً -أي عبد الله بن المبارك - فخرج في النفير -أي: في الجهاد- فلما قفل من غزوته ورجع إلى الرقة سأل عن الشاب فقالوا: إنه محبوس لدين ركبه، فقال عبد الله : وكم مبلغ دينه؟ فقالوا: عشرة

(١) هذا الحديث مرفوع إلى النبي ﷺ من طرق كثيرة لا تخلو أسانيدها من مقال، ولكنها بمجموع الطرق صحيحة، وقد صحح ذلك الألباني رحمه الله في الصحيحة .

آلاف درهم، فلم يزل يستقصي حتى دل على صاحب المال فدعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم وحلفه أن لا يخبر أحداً ما دام عبد الله حياً، وقال: إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس، وأدلج عبد الله -أي: سار في آخر الليل- وأخرج الفتى من الحبس، وقيل له: عبد الله بن المبارك كان هاهنا وكان يذكرك وقد خرج، فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة، فقال عبد الله بن المبارك للفتى: أين كنت؟! لم أرك في الخان! -انظر عبد الله يتصانع رضي الله عنه أنه ما علم عن حال الفتى- قال: نعم. يا أبا عبد الرحمن ! كنت محبوساً بدين، قال: وكيف كان سبب خلاصك؟! قال: جاء رجل وقضى ديني ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس، فقال له عبد الله : يا فتى! احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك. فلم يخبر ذلك الرجل أحداً إلا بعد موت عبد الله .

الأخفياء والصلاة

الأخفياء والصلاة ففي الصلاة مثلا: قالت امرأة حسان بن سنان : كان يجيء فيدخل معي فراشي ثم يخادعني كما تخادع المرأة صبيها، فإذا علم أني نمت، سل نفسه فخرج ثم يقوم يصلي، قالت: فقلت له: يا أبا عبد الله ! كم

تعذب نفسك، ارفق بنفسك! فقال: اسكتي ويحك! فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زماناً. وعن بكر بن ماعز قال: ما رئي الربيع متطوعاً في مسجد قومه قط إلا مرة واحدة.

الأخفياء والصيام: من أعجب المواقف ما ذكره الذهبي في السير قال: قال الفلاس: سمعت ابن أبي عدي يقول: صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله، كان خزازاً يحمل معه غداءه فيتصدق به في الطريق.

وكان بعضهم إذا أصبح صائماً ادهن ومسح شفتيه من دهنه حتى ينظر إليه الناظر فلا يرى أنه صائم.

الأخفياء وقراءة القرآن:

ذكر ابن الجوزي في "صفة الصفوة" : عن سفيان قال: أخبرتني امرأة الربيع بن خثيم قالت: كان عمل الربيع كله سراً، إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه. أي: إذا قدم الرجل على الربيع قام الربيع فغطى المصحف بثوبه حتى لا يرى الرجل أنه يقرأ القرآن.

أما الأخفياء والبكاء : فقال محمد بن واسع : لقد أدركت رجالا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة، قد بلَّ ما تحت خده من

دموعه لا تشعر امرأته.

يقول رحمه الله تعالى :

إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته لا تعلم ، ولقد أدركت رجال يقوم أحدهم في الصف ، فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي إلى جنبه.

والله من وراء القصد

اغتنام العشر الأواخر من رمضان

أبو عاصم البركاني المصري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

أخرج الإمام أحمد والنسائي وغيرهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ».

وأخرج البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلكَ كُلُّ لَيْلَةٍ ".

وبخصوص العشر الأواخر من رمضان التي هي أفضل الشهر فقد ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره" رواه مسلم.

وعن عائشة -رضي الله عنها- كذلك: "كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ، إذَا دَخَلَ العَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَرَ".

وبخصوص إحياء الليل بالأهل عموما إذ فيه من الخير ودفع الشر؛ قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا . وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (الإسراء : ٧٨ ـ ٧٩).

وقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه :١٣٢)؛ وقد أخرج البخاري عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخَزَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ»

قال ابن حجر العسقلاني: وَفِي الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ الْإِسْرَاعِ إِلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ خَشْيَةِ الشَّرِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصبرِ وَالصَّلَاةِ﴾ وَكَانَ ﷺ إِذا حزبِهِ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلَاةِ ؛ وَأَمَرَ مَنْ رَأَى فِي مَنَامِهِ مَا يَكْرَهُ أَنْ يُصَلِّيَ؛ .... وَفِيهِ التَّسْبِيحُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْأَشْيَاءِ الْمَهُولَةِ؛ وَفِيهِ تَحْذِيرُ الْعَالِمِ مَنْ يَأْخُذُ عَنْهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَتَوَقَّعُ حُصُولُهُ، وَالْإِرْشَادُ إِلَى مَا يَدْفَعُ ذَلِكَ الْمَحْذُورَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. [فتح الباري(١/ ٢١١)]

وفي الحديث عن عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ قال: قُمْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَبَدَأَ فَاسْتَاكَ وَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى فَبَدَأَ فَاسْتَفْتَحَ مِنَ الْبَقَرَةِ لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ يَتَعَوَّذُ، ثُمَّ رَكَعَ فَمَكَثَ رَاكِعًا بِقَدْرِ قِيَامِهِ، يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ، وَالْمَلَكُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالْعَظَمَةِ»، ثُمَّ سَجَدَ بِقَدْرِ رُكُوعِهِ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ " سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ، وَالْمَلَكُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالْعَظَمَةِ" ثُمَّ قَرَأَ آيَ آلَ عِمْرَانَ، ثُمَّ سُورَةً سُورَةً فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.

وعن حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ - ثَلَاثًا - ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا

مِنْ رُكُوعِهِ، يَقُولُ: لِرَبِّيَ الْحَمْدُ، ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، فَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، وَكَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَقَرَأَ فِيهِنَّ الْبَقَرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، أَوِ الْأَنْعَامَ.

وفي لفظ الإمام مسلم في صحيحه عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ.

وأخرج مالك في "الموطأ" (٢/ ١٥٨) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ، عنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ؛ أَنَّهُ قَالَ: أَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ وَتَمِيماً الدَّيْرِيَّ أَنْ يَقُومَا لِلنَّاسِ بِإِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً.

قَالَ: وَقَدْ كَانَ الْقَارِئُ يَقْرَأُ بِالْمِئِينَ، حَتَّى كُنَّا نَعْتَمِدُ عَلَى الْعِصِيِّ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ. وَمَا كُنَّا نَنْصَرِفُ إِلاَّ فِي فُرُوعِ الْفَجْرِ.

وأخرج مالك في "الموطأ" (٢ /١٥٩) عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ؛ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فِي رَمَضَانَ، بِثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ رَكْعَةً.

وأخرج ابن أبي شيبة في "المصنف"(٢/ ١٦٢)(٧٦٧١) عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: «دَعَا عُمَرُ الْقُرَّاءَ فِي رَمَضَانَ، فَأَمَرَ أَسْرَعَهُمْ قِرَاءَةً أَنْ يَقْرَأَ ثَلَاثِينَ آيَةً، وَالْوَسَطَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ آيَةً، وَالْبَطِيءَ عِشْرِينَ آيَةً»

وأخرج ابن أبي شيبة في "المصنف" (٢/ ١٦٢)(٧٦٧٤) عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ، يَقُولُ: " كُنْتُ أَقُومُ بِالنَّاسِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَأَقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ وَنَحْوَهَا، وَمَا يَبْلُغُنِي أَنَّ أَحَدًا يَسْتَثْقِلُ ذَلِكَ ".

الاعتكاف في المسجد اقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام

قال تعالى : ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (البقرة : ١٢٥)

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ

عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الحج :٢٥) وقال : ﴿ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ (البقرة :١٨٧).

وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ».

وفي الصحيحين كذلك عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، - زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ -: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ»

وأخرج البخاري (٨١٣) من حديث أبي سعيد الخدري اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ الأُوَلِ مِنْ رَمَضَانَ وَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَاعْتَكَفَ العَشْرَ الأَوْسَطَ، فَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ خَطِيبًا صَبِيحَةَ عِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلْيَرْجِعْ، فَإِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، وَإِنِّي نُسِّيتُهَا، وَإِنَّهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، فِي وِتْرٍ، وَإِنِّي رَأَيْتُ كَأَنِّي أَسْجُدُ فِي طِينٍ وَمَاءٍ» وَكَانَ سَقْفُ المَسْجِدِ جَرِيدَ النَّخْلِ، وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ شَيْئًا، فَجَاءَتْ قَزَعَةٌ، فَأُمْطِرْنَا، فَصَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ وَالمَاءِ عَلَى جَبْهَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَرْنَبَتِهِ تَصْدِيقَ رُؤْيَاهُ.

إحياء الليل وتحري قيام ليلة القدر .

قال تعالى :﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ .

وقوله: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: أَيِ الْعَمَلُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَاخْتَارَ هَذَا الْفَرَّاءُ وَالزَّجَّاجُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَوْقَاتَ إِنَّمَا يُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ بِمَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالنَّفْعِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ فِي لَيْلَةٍ كَانَتْ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ لَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ. وَقِيلَ: أَرَادَ بِقَوْلِهِ: أَلْفِ شَهْرٍ جَمِيعَ الدَّهْرِ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَذْكُرُ الْأَلْفَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ عَلَى طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ.

وَقِيلَ: وَجْهُ ذِكْرِ الْأَلْفِ الشَّهْرِ:

أَنَّ الْعَابِدَ كَانَ فِيمَا مَضَى لَا يُسَمَّى عَابِدًا حَتَّى يَعْبُدَ اللَّهَ أَلْفَ شَهْرٍ، وَذَلِكَ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، فَجَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ عِبَادَةَ لَيْلَةٍ خَيْرًا مِنْ عِبَادَةِ أَلْفِ شَهْرٍ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا. وَقِيلَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى أَعْمَارَ أُمَّتِهِ

قَصِيرَةً، فَخَافَ أَنْ لَا يَبْلُغُوا مِنَ الْعَمَلِ مِثْلَ مَا بَلَغَ غَيْرُهُمْ فِي طُولِ الْعُمُرِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَجَعَلَهَا خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ لِسَائِرِ الْأُمَمِ[1]. انتهى

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ وَالضَّمِيرُ فِي أَنْزَلْنَاهُ رَاجِعٌ إِلَى الْكِتَابِ الْمُبِينِ وَهُوَ الْقُرْآنُ. وَاللَّيْلَةُ الْمُبَارَكَةُ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَكْتُبُ فِيهَا مَا يَكُونُ فِي السنة من حياة وموت وبسط وَخَيْرٍ وَشَرٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وفي الصحيحين عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أُرُوا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي المَنَامِ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ».

وفي الصحيحين كذلك عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوِتْرِ، مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»

---

(١) فتح القدير الشوكاني(٥/٥٧٦) .

وأخرج البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «التَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ القَدْرِ، فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى»

وأخرج البخاري كذلك عن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، هِيَ فِي تِسْعٍ يَمْضِينَ، أَوْ فِي سَبْعٍ يَبْقَيْنَ».

وأخرج البخاري عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ القَدْرِ فَتَلاَحَى رَجُلاَنِ مِنَ المُسْلِمِينَ فَقَالَ: «خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالخَامِسَةِ».

الاجتهاد والإلحاح في الدعاء.

والدعاء الثابت في هذه ليلة القدر الليلة المباركة، ما ورد عن السيدة عَائِشَةَ رضي الله تعالى عنها، قَالَت: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قُولِي: "اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ، تُحِبُّ الْعَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي."

من أسماء الله تعالى "العَفُوُّ"، وهو صفة من صفاته سبحانه، ففي القرآن الكريم: "وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً"، لذا جاء في دعاء ليلة القدر.

العفو بمعنى المحو والإزالة، يعني يمحو الذنوب من الصحف بعد التجاوز عنها والمغفرة

استحباب الصدقة في رمضان لا سيما في آخره:

وفي الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَلْقَاهُ، فِي كُلِّ سَنَةٍ، فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»

والله من وراء القصد

خطبة بعنوان

ماذا بعد رمضان ؟؟

أبو عاصم البركاتي المصري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

قال تعالى :﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ولعلكم تشكرون الله بطاعته والمداومة عليها؛ والأيامُ خزائنُ حافظةٌ لأعمالكم، تُدعَون بها يوم القيامة؛ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وفي الحديث القدسي : "يا عبادي، إنَّما هي أعمالُكم أُحصيها لكم، ثم أوفِّيكم إيَّاها، فمَن وجد خيرًا فليحمدِ الله، ومَن وجد غيرَ ذلك، فلا يلومنَّ إلاَّ نفسَه" رواه مسلم.

الخوف من عدم القبول شعار الصالحين

فرمضانُ سوقٌ قام ثم انفضَّ، رَبِح فيه مَن ربح، وخَسِر فيه مَن خسر، فمَن كان محسنًا، فليحمدِ لله، وليسألِ الله القَبولَ، فإنَّ الله - جلَّ وعلا - لا يُضِيع

أَجْرَ مَن أحسن عملاً، ومَن كان مسيئًا فليتبْ إلى الله؛ فإن الله يتوب على من تاب.

وعلى المرء ألا يغتر بعمله وليسأل الله القبول؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة:٢٧)

وقال جل شأنه : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (فاطر: ١٠)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٢– ٤).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف:١٠٣–١٠٤)

وهذا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- يرفع قواعد البيت ـ كعبة الله المشرفة ـ ويدعو ويرجو القبول ؛ قال تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة:١٢٧)

وكان بعض السلف لما قرأ هذه الآية جعل يبكي ويقول: ما بالُ خليل الله يرفع قواعد البيت ويخاف ألا يُقبل منه اهـ.

وفي باب الدعاء والعبادة، كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ (إبراهيم:٤٠)

وأخبر عن امرأة عمران فقال سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

ورسول الله ﷺ لما أراد أن يضحي قال :" بسم الله، اللّهم تقبل من محمد ومن أمة محمد ثم ضحى "رواه مسلم

قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾

ورد في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما عنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أَهُوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: «لَا، يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ»

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ كَالْوِعَاءِ، إِذَا طَابَ أَسْفَلُهُ، طَابَ أَعْلَاهُ، وَإِذَا فَسَدَ أَسْفَلُهُ، فَسَدَ أَعْلَاهُ».

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا».

وأخرج البخاري عَنْ أُمِّ العَلاَءِ رضي الله عنها- وهي امرأة - بَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: طَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فِي السُّكْنَى، حِينَ اقْتَرَعَتْ الأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى المُهَاجِرِينَ، فَاشْتَكَى فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى تُوُفِّيَ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، قَالَ: «وَمَا يُدْرِيكِ» قُلْتُ: لاَ أَدْرِي وَاللَّهِ، قَالَ: «أَمَّا

هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ اليَقِينُ، إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي - وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ - مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ» قَالَتْ أُمُّ العَلاَءِ: فَوَاللَّهِ لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ، قَالَتْ: وَرَأَيْتُ لِعُثْمَانَ فِي النَّوْمِ عَيْنًا تَجْرِي، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «ذَاكِ عَمَلُهُ يَجْرِي لَهُ».

وأخرج مسلم قول عائشة رضي الله عنها في جنازة صبي صغير: طوبى له عصفورٌ من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدرك، قال ﷺ : أو غير ذلك يا عائشة" .

قال النووي : "نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل ." انتهى.

وعقد البخاري في صحيحه : "باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر"، وأورد قول إبراهيم التيمي" :ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذِبًا".

وقول ابن أبي مليكة :"أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله - ﷺ - كلهم يخاف على نفسه النفاق، ما منهم أحدٌ يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل."

وَيُذْكَرُ عَنِ الحَسَنِ البصري قوله في النفاق: " مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلاَ أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ.

وكان الحسن البصري -رحمه الله- يقول: "وددت أني أعلم أن الله قبل لي سجدة واحدة"، بل قال: "نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا وقال: لا أقبل منكم شيئًا."

وهذا أبو بكر -رضي الله عنه- يقول: "إن لله عملًا بالنهار لا يقبله بالليل، وعمل بالليل لا يقبله بالنهار". وكان يخاف ألا يُتقبل منه يوم الحساب!!

وعمر -رضي الله عنه- يقول : "وَيْلِ عمر، ووَيْلٌ لأُمِّي إِنْ لَمْ يَرْحَمْنِي رَبِّي".

وكان علي -رضي الله عنه- يقول: "كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمع الله يقول : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة:٢٧).

وأبو ذر -رضي الله عنه- كان يقول" :لأن أستيقن أن الله قد تقبل لي صلاة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها".

وجاء سائل إلى ابن عمر رضي الله عنهما فقال لابنه: «أعطه دينارا، فلما انصرف، قال له ابنه: تقبل الله منك يا ابتاه، فقال: لو علمت أن الله تعالى يقبل مني سجدة واحدة، وصدقة درهم؛ لم يكن غائب أحب إلي من الموت، أتدري ممن يتقبل؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

وهذا فَضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه يقول : "لَأَنْ أعلم أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي مِثْقَالَ حَبَّةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا"؛ لِأَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَقُولُ : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

وبكى عامر بن عبد القيس في مرضه بكاءً شديدًا، فقيل له" :ما يبكيك؟ قال آية في كتاب الله :﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾.

و يقول يونس بن عبيد رحمه الله: "والله ما أراه يُتقبل مني شيء وقد خشيت أن أكون من أهل النار" .

قال مالك بن دينار رحمه الله : "الخوف على العمل ألا يُقبل أشد من العمل"

وقال عطاء -رحمه الله :- "الحذر الاتقاء على العمل ألا يكون لله."

وقال ابن أبي رواد رحمه الله : "أدركتهم يجتهدون في العمل فإذا فعلوه وقع عليهم أن يقبل منهم أم لا" .

وقَالَ أبو الليث السمرقندي رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَنْ عَمِلَ الْحَسَنَةَ يَحْتَاجُ إِلَى خَوْفِ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ:

أَوَّلُهَا: خَوْفُ الْقَبُولِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وَالثَّانِي: خَوْفُ الرِّيَاءِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وَالثَّالِثُ: خَوْفُ التَّسْلِيمِ وَالْحِفْظِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فَاشْتَرَطَ الْمَجِيءَ بِهَا إِلَى دَارِ الْآخِرَةِ.

وَالرَّابِعُ: خَوْفُ الْخِذْلَانِ فِي الطَّاعَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي هَلْ يُوَفَّقُ لَهَا أَمْ لَا؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]

الخطبة الثانية : مداومة الطاعة بعد رمضان

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾

وقال تعالى : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾

وأخرج مسلم عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ».

وأخرج البخاري ومسلم عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنَ الْأَيَّامِ؟ قَالَتْ: «لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتَطِيعُ».

وأخرج مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ، وَكَانَ إِذَا نَامَ مِنَ اللَّيْلِ، أَوْ مَرِضَ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً».

التطوع بالصيام بعد رمضان

وبخصوص مواصلة الطاعة بالصيام بعد رمضان قال ﷺ: "من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كمن صام الدهر كله" رواه مسلم.

وأخرج ابن ماجه (١٧١٥) والنسائي في السنن الكبرى(٢٨٧٣) عَنْ ثَوْبَانَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ صَامَ سِتَّةَ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ كَانَ تَمَامَ السَّنَةِ، مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا».

وأخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلاَثٍ: «صِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ».

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»

وأخرج النسائي عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَاعَدَ اللَّهُ مِنْهُ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ».

وأخرج الترمذي وغيره عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ».

استحباب صيام يوم عاشوراء

وقد ثبت في الصحيحين من حديث مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَوْمَ عَاشُورَاءَ عَامَ حَجَّ عَلَى المِنْبَرِ قال : يَا أَهْلَ المَدِينَةِ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «هَذَا يَوْمُ عَاشُورَاءَ وَلَمْ يَكْتُبِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، وَأَنَا صَائِمٌ، فَمَنْ شَاءَ، فَلْيَصُمْ وَمَنْ شَاءَ، فَلْيُفْطِرْ».

استحباب صيام يوم عرفة ويوم عاشوراء وبيان فضل صيامهما

فقد أخرج مسلم من حديث أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ».

****

استحباب صيام الاثنين والخميس

أخرج مسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الِاثْنَيْنِ؟ فَقَالَ: «فِيهِ وُلِدْتُ وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ»

وأخرج أبو داود عَنْ حَفْصَةَ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ، وَالِاثْنَيْنِ مِنَ الْجُمْعَةِ الْأُخْرَى».

وأخرج الترمذي عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَحَرَّى صَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ».

وأخرج الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»

وأخرجه الإمام أحمد كذلك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ أَكْثَرَ مَا يَصُومُ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: " إِنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ كُلَّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ - أَوْ: كُلَّ يَوْمِ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ - فَيَغْفِرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ - أَوْ: لِكُلِّ مُؤْمِنٍ - إِلَّا الْمُتَهَاجِرَيْنِ، فَيَقُولُ: أَخِّرْهُمَا ".

استحباب الصيام في شعبان

أخرج النسائي وغيره من حديث أُسَامَة بن زَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: «ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ

النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ».

وأخرج البخاري ومسلم واللفظ له عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عَنْ صِيَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: " كَانَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: قَدْ صَامَ وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: قَدْ أَفْطَرَ، وَلَمْ أَرَهُ صَائِمًا مِنْ شَهْرٍ قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ صِيَامِهِ مِنْ شَعْبَانَ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا " .

مواصلة قيام الليل بعد رمضان

وبخصوص قيام الليل بعد رمضان أخرج البخاري عن عَبْد اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَا عَبْدَ اللَّهِ، لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ».

وهذا حديث يبين فضل المحافظة على الصلاة بالليل؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه رقم (٧٠٢٨) بسنده عن نَافِعٌ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، قَالَ: إِنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانُوا يَرَوْنَ الرُّؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُصُّونَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَأَنَا غُلاَمٌ حَدِيثُ السِّنِّ، وَبَيْتِي المَسْجِدُ قَبْلَ أَنْ أَنْكِحَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَرَأَيْتَ مِثْلَ مَا يَرَى هَؤُلاَءِ، فَلَمَّا اضْطَجَعْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِيَّ خَيْرًا فَأَرِنِي رُؤْيَا، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَنِي مَلَكَانِ، فِي يَدِ كُلِّ

وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، يُقْبِلَانِ بِي إِلَى جَهَنَّمَ، وَأَنَا بَيْنَهُمَا أَدْعُو اللَّهَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهَنَّمَ، ثُمَّ أُرَانِي لَقِيَنِي مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ: لَنْ تُرَاعَ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَنْتَ، لَوْ كُنْتَ تُكْثِرُ الصَّلَاةَ. فَانْطَلَقُوا بِي حَتَّى وَقَفُوا بِي عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ البِئْرِ، لَهُ قُرُونٌ كَقَرْنِ البِئْرِ، بَيْنَ كُلِّ قَرْنَيْنِ مَلَكٌ بِيَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَأَرَى فِيهَا رِجَالًا مُعَلَّقِينَ بِالسَّلَاسِلِ، رُءُوسُهُمْ أَسْفَلَهُمْ، عَرَفْتُ فِيهَا رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَانْصَرَفُوا بِي عَنْ ذَاتِ اليَمِينِ.

فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» فَقَالَ نَافِعٌ: «فَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْثِرُ الصَّلَاةَ».

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»[1]

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٢٧٨)، وحسّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب. (٩٢٩) وقد حسّنه العراقي. كما في كشف الخفا (٢/٧٧)،. وانظر الفوائد المجموعة (ص٣٤).

قصة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

أخرج البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا، فتقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فقَالَ: «الْقَنِي بِهِ»، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فقَالَ: «كَيْفَ تَصُومُ؟» قَالَ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: «وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟»، قَالَ: كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: «صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثَةً، واقرأ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ»، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ»، قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا» قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً» فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَاكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالنَّهَارِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ، لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَحْصَى، وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا، فَارَقَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْهِ ".

******

الثبات حتى الممات

قصة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أخرج البخاري عن علي رضي الله عنه حديث التسبيح عند النوم : "سبحان الله ثلاثا وثلاثين، والحمد لله ثلاثا وثلاثين، والله أكبر أربعا وثلاثين"، قال: "ما تركته منذ سمعته من رسول الله ﷺ قيل: ولا يوم صفين، قال: ولا يوم صفين" .

قصة إبراهيم بن هانئ رحمه الله

أخرج ابن الجوزي في "الثبات حتى الممات ص١٦٨ " بسنده قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ النَّيْسَابُورِيَّ يَقُولُ: حَضَرْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ هَانِئٍ يَوْمَ وَفَاتِهِ فَدَعَا ابْنَهُ إِسْحَاقَ فَقَالَ : هَلْ غَرُبَتِ الشَّمْسُ؟ قَالَ: لَا ثُمَّ ؛ قَالَ: يَا أَبَتِ قَدْ رُخِّصَ لَكَ فِي الإِفْطَارِ فِي الْفَرْضِ وَأَنْتَ مُتَطَوِّعٌ، قَالَ: أَمْهِلْ ثُمَّ قَالَ: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فليعمل الْعَامِلُونَ﴾.

قصة الْجُنَيْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ٢٩٧ هـ

قال أَبو بَكْرٍ الْعَطَّار : حَضَرْتُ الْجُنَيْدَ عِنْدَ الْمَوْتِ فِي جَمَاعَةٍ لأَصْحَابِنَا فَكَانَ قَاعِدًا يُصَلِّي وَيَثْنِي رِجْلَيْهِ كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى خَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ رِجْلِهِ فَثَقُلَ عَلَيْهِ حَرَكَتُهَا فَمَدَّ رِجْلَيْهِ وَقَدْ تَوَرَّمَتَا فَرَآهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا أَبَا الْقَاسِمِ؟!!! قَالَ: هَذِهِ نِعَمُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَلَمَّا فَرِغَ مِنْ

صَلاتِهِ قَالَ لَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيُّ: لَوِ اضْطَجَعْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ؛ قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ هَذَا وَقْتٌ يُؤْخَذُ مِنْهُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ حَالُهُ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فصل ثَابِتُ الْبُنَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ ٤١ / ١٢٧ هـ

قال مُحَمَّدُ بْنُ ثَابِتٍ الْبُنَانِيُّ : ذَهَبْتُ أُلَقِّنُ أَبِي وَهُوَ فِي الْمَوْت فقلت يَا أَبَة قَلْ: لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَقَالَ يَا بُنَيَّ خَلِّ عَنِّي فَإِنِّي فِي وِرْدِيَ السَّادِسِ أَوِ السَّابِعِ.

هذا ما تيسر والله وحده من وراء القصد

أبو عاصم البركاتي المصري

١٤٤٢ هـ

فتح الولي المغني بشرح حديث

" من رغب عن سنتي فليس مني"

أبو عاصم البركاتي المصري

أخرج البخاري ومسلم وللفظ للبخاري عن أنَس بن مَالِكٍ، رَضِي الله عَنهُ، قال: جاءَ ثلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أزْوَاجِ النبيِّ ﷺ ، يَسألُونَ عن عِبَادَةِ النبيِّ ﷺ ، فلَمَّا أُخبِرُوا كأنَّهُمْ تقالُّوها، فقالُوا: وَأيْنَ نَحْنُ مِنَ النبيِّ ﷺ ؟ قَدْ غُفِرَ له مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تأخَّرَ. قَالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنا فإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أبدا، وَقالَ آخَرُ: أَنا أصومُ الدَّهْرَ وَلاَ أفْطِرُ، وَقالَ آخرُ: أنا أعْتَزِلُ النِّساءَ فَلاَ أتَزَوَّجَ أبدا، فَجاءَ رسولُ الله ﷺ فَقَالَ: أنْتُمُ الَّذين قُلتُمْ كَذَا وكَذَا؟ أما وَالله إنِّي لأَخْشاكُمْ لِلَّهِ، وأتْقاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أصُومُ وأفْطِرُ وأصَلِّي وأرْقُدُ وأتَزَوَّجُ النِّساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عنْ سُنَّتي فَليْسَ مِنِّي.

ولفظ مسلم : عَنْ أنَسٍ، أنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

معاني المفردات:

الرهط: الجماعة من ثلاثة إلى عشرة، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، والنفر: من ثلاثة إلى تسعة.

أزواج النبي : أمهات المؤمنين.

تقالوها: رأوا أنها قليلة.

أخشاكم : الخشية خوف مع تعظيم.

أتقاكم: التقوى الخوف من الله بمجانبة ما نهى عنه وفعل ما أمر به.

رغب عن : أي أعرض عن؛ وأبى وكره.

سنتي: السنة الطريقة والهدي.

ليس مني: أي ليس على هداي، وعاند سنتي.

فوائد الحديث

الفائدة الأولى: الثلاثة رهط الذين في الحديث قيل هم: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمرو، وعثمان بن مظعون رضي الله عنهم ["فتح الباري" لابن حجر (٩/١٤)].

الفائدة الثانية: حرص الصحابة على التأسي برسول الله ﷺ بدليل سؤالهم عن عبادته؛ رجاء مقاربته في الجنة؛ قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ

اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب :٢١).

الفائدة الثالثة : أحب الأعمال أدومها وإن قل.

فالنبي ﷺ كان عمله ديمة؛ وقليل يدوم خير من كثير ينقطع.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» متفق عليه.

قال ابن الجوزي: قَوله: " فَإِن أحب الْأَعْمَال إِلَى الله أدومها وَإِن قل " إِنَّمَا أحب الدَّائِم لمعنيين:

أَحدهمَا: أَن الْمقبل على الله عز وَجل بِالْعَمَلِ إِذا تَركه من غير عذر كَانَ كالمعرض بعد الْوَصْل، فَهُوَ معرض للذم، وَلِهَذَا ورد الْوَعيد فِي حق من حفظ آيَة ثمَّ نَسِيَهَا، وَإِن كَانَ قبل حفظهَا لَا يتَعَيَّن عَلَيْهِ الْحِفْظ، وَلكنه أعرض بعد المواصلة، فلاق بِهِ الْوَعيد، وَكَذَلِكَ يكره أَن يُؤثر الْإِنْسَان بمكانه من الصَّفّ الأول لِأَنَّهُ كالراغب عَن الْقرب إِلَى الله عز وَجل، وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام لعبد الله بن عَمْرو: " لَا تكونن مثل فلَان، كَانَ يقوم اللَّيْل فَترك قيام اللَّيْل " .

وَالثَّانِي: أَن مداوم الْخَيْر ملازم للْخدمَة، فَكَأَنَّهُ يتَرَدَّد إِلَى بَاب الطَّاعَة كل وَقت، فَلَا ينسى من الْبر لتردده، وَلَيْسَ كمن لَازم الْبَاب يَوْمًا دَائِما ثمَّ انْقَطع شهرا كَامِلا[1].

الفائدة الرابعة: القصد والوسطية في العبادة هدي رسول الله ﷺ.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿طه . مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾.

قال مجاهد: هي كقوله: ﴿فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل (٢٠)].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة (١٨٥)].

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج (٧٨)].

وعن أَبي عبد الله جابر بن سمرة رضي الله عنهما، قَالَ: "كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ النَّبيِّ ﷺ الصَّلَوَاتِ، فَكَانتْ صَلاتُهُ قَصْداً وَخُطْبَتُهُ قَصْداً". رواه مسلم.

قوله: «قَصْداً»: أي بين الطولِ والقِصرِ.

الفائدة الخامسة: هلك المتنطعون.

والمتنطعون: المتعمقون المتشددون في غير موضِعِ التشديدِ؛ وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيّ - ﷺ- دخل عَلَيْهَا وعِندها امرأةٌ، قَالَ: «مَنْ هذِهِ؟»

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٢٧٨).

قَالَتْ: هذِهِ فُلاَنَةٌ تَذْكُرُ مِنْ صَلاتِهَا. قَالَ: «مهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَواللهِ لا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا» وكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه –: أنّ النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ» . قالها ثَلاثاً. رواه مسلم.

وعن أَبي هريرةَ – رضي الله عنه – عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّيْنُ إلا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ» رواه البخاري.

وفي رواية لَهُ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، القَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا» .

وعن أنس – رضي الله عنه – قَالَ: دَخَلَ النَّبيُّ ﷺ المَسْجِدَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الحَبْلُ؟» قالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ. فَقَالَ النَّبيُّ – ﷺ –: «حُلُّوهُ، لِيُصلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ» . مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وعن أَبي جُحَيْفَةَ وَهْب بنِ عبد اللهِ – رضي الله عنه – قَالَ: آخَى النَّبيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبي الدَّرْداءِ، فزارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرداءِ فَرَأى أُمَّ الدَّرداءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ: مَا شَأنُكِ؟ قَالَتْ: أخُوكَ أَبُو الدَّردَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ في الدُّنْيَا، فَجاءَ أَبُو

الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَاماً، فقَالَ لَهُ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أنا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ فأكل، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرداءِ يَقُومُ فقَالَ لَهُ: نَمْ، فنام، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ لَهُ: نَمْ. فَلَمَّا كَانَ من آخِرِ اللَّيلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُم الآن، فَصَلَّيَا جَمِيعاً فقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيك حَقّاً، وَلأَهْلِك عَلَيك حَقّاً، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتى النَّبيَّ -ﷺ- فَذَكَرَ ذلِكَ لَهُ فقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ» . رواه البخاري.

الفائدة السادسة: النكاح من سنن الإسلام، وأنه لا رهبانية في الإسلام.

قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾

وعن عبد الله بن مسعود قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» متفق عليه.

وأخرج البخاري حديث سعد بن أبي وقاص، قال: "رد رسول الله ﷺ على عثمان ابن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا".

ومن مقاصد الزواج:

(١) تلبية مطلب الغريزة الجنسية بطريقة شرعية.

(٢) وحماية للمجتمع من مشاكل الزنا، والأولاد اللقطاء .

(٣) استمرار النوع الإنساني بالتناسل عن طريق الزواج.

(٤) حفظ الأنساب التي بها تقوم حقوق الميراث وصلة الرحم والبر.

(٥) ترابط الأسر بالمصاهرة.

(٦) الحماية من الأمراض التي تنشأ عن العلاقات الجنسية غير الشرعية كالزِهري، وفقد المناعة.

(٧) استقرار الحياة الزوجية في ظروف هادئة مناسبة.

الفائدة السابعة: لا صام من صام الأبد .

أخرج البخاري عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، أَنِّي أَسْرُدُ الصَّوْمَ، وَأُصَلِّي اللَّيْلَ، فَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيَّ وَإِمَّا لَقِيتُهُ، فَقَالَ: «أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ وَلاَ تُفْطِرُ، وَتُصَلِّي؟ فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَظًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ وَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَظًّا»، قَالَ: إِنِّي لَأَقْوَى لِذَلِكَ، قَالَ: «فَصُمْ صِيَامَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ» قَالَ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: «كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلاَ يَفِرُّ إِذَا لاَقَى»، قَالَ: مَنْ لِي بِهَذِهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ - قَالَ عَطَاءٌ: لاَ أَدْرِي كَيْفَ ذَكَرَ صِيَامَ الأَبَدِ - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ صَامَ مَنْ صَامَ الأَبَدَ» مَرَّتَيْنِ.

وأخرجه مسلم عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ أَنِّي أَصُومُ أَسْرُدُ، وَأُصَلِّي اللَّيْلَ، فَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيَّ وَإِمَّا لَقِيتُهُ، فَقَالَ:

«أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ وَلَا تُفْطِرُ، وَتُصَلِّي اللَّيْلَ؟ فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لِعَيْنِكَ حَظًّا، وَلِنَفْسِكَ حَظًّا، وَلِأَهْلِكَ حَظًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ، وَصُمْ مِنْ كُلِّ عَشَرَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا، وَلَكَ أَجْرُ تِسْعَةٍ» قَالَ: إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، يَا نَبِيَّ اللهِ، قَالَ: «فَصُمْ صِيَامَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ» قَالَ: وَكَيْفَ كَانَ دَاوُدُ يَصُومُ؟ يَا نَبِيَّ اللهِ، قَالَ: «كَانَ يَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى» قَالَ: مَنْ لِي بِهَذِهِ؟ يَا نَبِيَّ اللهِ، - قَالَ عَطَاءٌ: فَلَا أَدْرِي كَيْفَ ذَكَرَ صِيَامَ الْأَبَدِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ، لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ، لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ»

الفائدة الثامنة: العلم التام يستلزم الخشية .

قال ابن رجب في "فتح الباري" (١/ ٩٠) : فلما زادت معرفة الرسول بربه زادت خشيته له وتقواه، فإن العلم التام يستلزم الخشية كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] فمن كان بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه أعلم كان له أخشى وأتقى، إنما تنقص الخشية والتقوى بحسب نقص المعرفة بالله. وقد أخرج البخاري في آخر " صحيحه " عن مسروق قال: قالت عائشة: صنع النبي ﷺ شيئا ترخص فيه وتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد الله ثم قال: " ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟! فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم خشية".

*****

الفائدة التاسعة: النبي ﷺ أفضل الخلق فلا يسبقه في الخير إنسان في عمل ولا قربى.

أخرج الإمام أحمد (٣٦٠٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: " إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ.

الفائدة العاشرة: رسول الله لا يكتم شيئا مما أمر بتبليغه وبيانه.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢]

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]

وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ".

الفائدة الحادية عشر: رحمة النبي وشفقته بالأمة.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وعن معاذ بن جبل وأبي بردة - رضي الله عنهم - قال لهما رسول الله ﷺ: لما بعثهما إلى اليمن: "يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا" متفق عليه.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: " ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؟ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ».

وعن عائشة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَصَلَّى فِي المَسْجِدِ، فَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلاَتِهِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ، فَتَحَدَّثُوا، فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ، فَصَلَّوْا مَعَهُ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ، فَتَحَدَّثُوا، فَكَثُرَ أَهْلُ المَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَصَلَّوْا بِصَلاَتِهِ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ المَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ حَتَّى خَرَجَ لِصَلاَةِ الصُّبْحِ، فَلَمَّا قَضَى الفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ، لَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ، فَتَعْجِزُوا عَنْهَا» متفق عليه

****

الفائدة الثانية عشر: استحباب إخفاء العبادة لمن لا يُقتدى به .

قال تعالى : ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(البقرة :٢٧١)

وَأخرج البُخَارِيّ وَمُسلم وَالنَّسَائِيّ عَن أبي هُرَيْرَة قَالَ سَمِعت رَسُول الله ﷺ يَقُول: "سَبْعَة يظلهم الله فِي ظله يَوْم لَا ظلّ إِلَّا ظله ؛ إِمَام عَادل وشاب نَشأ فِي عبَادَة الله عز وَجل وَرجل قلبه مُعَلّق بالمساجد ورجلان تحابا فِي الله اجْتمعَا على ذَلِك وتفرقا عَلَيْهِ وَرجل دَعَتْهُ امْرَأَة ذَات منصب وجمال فَقَالَ إِنِّي أَخَاف الله وَرجل تصدق بِصَدقَة فأخفاها حَتَّى لَا تعلم شِمَاله مَا تنْفق يَمِينه وَرجل ذكر الله خَالِيا فَفَاضَتْ عَيناهُ".

وَأخرج الطَّبَرَانِيّ عَن مُعَاوِيَة بن حيدة عَن النَّبِي ﷺ قَالَ: " إِن صَدَقَة السِّرّ تطفئ غضب الرب".

وَأخرج الطَّبَرَانِيّ عَن أبي أُمَامَة قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : "صنائع الْمَعْرُوف تَقِيّ مصَارِع السوء وَصدقَة السِّرّ تطفئ غضب الرب وصلَة الرَّحِم تزيد فِي الْعُمر".

*****

الفائدة الثالثة عشر: لا بأس بإظهار العبادة عند أمن الرياء.

أخرج الإمام احمد وأبو داود والترمذي عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ، كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ، كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ»

وأخرج البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي سُورَةٍ بِاللَّيْلِ، فَقَالَ: «يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا، آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا» .

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي مُوسَى: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ» متفق عليه.

وأخرج مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ».

الفائدة الرابعة عشر: فيه الرد عَلَى مَنْ مَنَعَ اسْتِعْمَالَ الْحَلَالِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ وَالْمَلَابِسِ وَآثَرَ غَلِيظَ الثِّيَابِ وَخَشِنَ الْمَأْكَلِ.

قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣١/ ٣٢)

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا﴾ (المائدة: ٨٧) .

وليس من الورع ترك المباح ؛ لأن الورع مندوب إليه، وهذه المباحات قد سوّى الله بين فعلها وتركها، والندب مع التسوية لا يستقيم.

الفائدة الخامسة عشر : سماحة الإسلام ويسر شريعته.

قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْراً لأَنْفُسِكُمْ﴾ (التغابن:١٦).

وقال ﷺ: "إذا أمَرْتُكم بأمْر فأْتُوا منه ما استطعتم. وما نَهَيْتُكم عنه فانتهوا" رواه البخاري.

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: بينما النبي -ﷺ- يخطب، إذ هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل، نذَر أن يقوم في الشمس ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلّم، ويصوم. فقال النبي -ﷺ-: "مُروه فلْيتكلّمْ، ولْيستظلّ، ولْيقعدْ، وليتمّ صومه"، رواه البخاري.

******

الفائدة السادسة عشر : التحذير من حبوط العبادة .

وذلك مستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام " فمن رغب عن سنتي فليس مني" فليحذر من شرع لنفسه ؛ ورسم طريقة يحذوها في الأصل والحقيقة أو في الصفة من حبوط العبادة؛ قال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ (الشورى:٢١)

وقد صح عنه – ﷺ –: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " متفق عليه ،

وفي لفظ آخر: " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد " متفق عليه.

الفائدة السابعة عشر : وجوب الاقتداء برسول الله.

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران : ٣١ ـ ٣٢)

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء :٥٩).

ومن حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ » رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» رواه البخاري.

الفائدة الثامنة عشر: إزالة الشبهات عن المجتهدين، وإثبات الأحكام المحكمة والحكيمة.

وذلك مستفاد من قوله ﷺ : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؛ ثم بين لهم الصواب والحق؛ قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]. وقال سبحانه : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾.

وقال تبارك وَتَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

وأخرج مسلم قوله ﷺ :"إن الله لم يبعثني معنتًا، ولا متعنتًا، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا ".

الفائدة التاسعة عشر: سنة النبي -ﷺ- تشريع إلهي من الله عز وجل لأمته؛ قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ ؛ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥] وقال سبحانه: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]، فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، والحكمة سنة رسول الله ﷺ .

الفائدة العشرون: الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة بامتثال هدي النبي ﷺ.

قال تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾

وأخرج الحاكم في "المستدرك " رقم (٢٠٧) عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَأَتَوْا عَلَى مَخَاضَةٍ وَعُمَرُ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ فَنَزَلَ عَنْهَا وَخَلَعَ خُفَّيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَأَخَذَ بِزِمَامِ

نَاقَتِهِ فَخَاضَ بِهَا الْمَخَاضَةَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا، تَخْلَعُ خُفَّيْكَ وَتَضَعُهُمَا عَلَى عَاتِقِكَ، وَتَأْخُذُ بِزِمَامِ نَاقَتِكَ، وَتَخُوضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ؟ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ، فَقَالَ عُمَرُ: «أَوَّهْ لَمْ يَقُلْ ذَا غَيْرُكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتُهُ نَكَالًا لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ».

وقال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: " ... فَعَلَيْكَ بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَرَفَ مَا فِي خِلَافِهَا مِنَ الْخَطَأِ، وَالزَّلَلِ، وَالْحُمْقِ، وَالتَّعَمُّقِ، فَارْضَ لِنَفْسِكَ بِمَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ، فَإِنَّهُمْ عَلَى عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ قَدْ كَفُّوا، وَهُمْ كَانُوا عَلَى كَشْفِ الْأُمُورِ أَقْوَى، فَقَدْ تَكَلَّمُوا مِنْهُ مَا يَكْفِي، وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، وَإِنَّهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ -أَيْ: الْمُقَصِّرِينَ وَالْغُلَاةِ- لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ" [الاعتصام (١/ ٥٠)]

الفائدة الحادية والعشرون: الرتب العالية لا تنال إلا باتباع رسول الله ﷺ.

قال تعالى :﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

وأخرج البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ : مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا» قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاَةٍ وَلاَ صَوْمٍ وَلاَ صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

وأخرج والبخاري في "الأدب المفرد" (٣٥١) ، وأبو داود (٥١٢٦) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ كَعَمَلِهِمْ، قَالَ: «أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»، قَالَ: فَإِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ، وَرَسُولَهُ، قَالَ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ: فَأَعَادَهَا أَبُو ذَرٍّ فَأَعَادَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

قال ابن القيم: يَعْنِي مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا بِالْإِخْلَاصِ يَكُونُ مِنْ زُمْرَتِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ عَمَلَهُمْ لِثُبُوتِ التَّقَارُبِ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَرُبَّمَا تُؤَدِّي تِلْكَ الْمَحَبَّةُ إِلَى مُوَافَقَتِهِمْ وَفِيهِ حَثٌّ عَلَى مَحَبَّةِ الصُّلَحَاءِ وَالْأَخْيَارِ رَجَاءَ اللَّحَاقِ بِهِمْ وَالْخَلَاصِ مِنَ النَّارِ(١).

الفائدة الثانية والعشرون: التحذير من مخالفة أمر النبي ﷺ.

قال تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور :٦٣]

(١) حاشيته ابن القيم على سنن أبي داود (٢٥/١٤).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

قال أبو بكر - رضي الله عنه -: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله - ﷺ- يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ . [متفق عليه]

وعن ابن عباس رضي الله عنه: إنما هو كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فمن قال بعد ذلك برأيه؛ فلا أدري أفي حسناته يجد ذلك، أم في سيئاته(١)

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: من ترك السنة كفر.

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ.

موقف حصل يوم أحد

وانظروا يوم غزوة أحد يوم اختار النبي ﷺ جيشا من الرماة ؛ والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من حديث البراء قال: لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النبي ﷺ جيشا من الرماة، وأمّر عليهم عبد الله بن جبير،

(١) إعلام الموقعين لابن القيم.

وقال: «لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا»، فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا، فلا تعينونا» .

وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار، فانهزم عدو الله وولّوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم، فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه، وقالوا: يا قوم، الغنيمة، فذكرهم أميرهم عهد رسول الله ﷺ ، فلم يسمعوا، وظنوا أن ليس للمشركين رجعة، فذهبوا في طلب الغنيمة، وأخلوا الثغرة، وكرّ فرسان المشركين فوجدوا الثغر خاليا، قد خلا من الرماة، فجازوا منه فتمكنوا حتى أقيل آخرهم، فأحاطوا بالمسلمين، فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة، وهم سبعون، وتولى الصحابة وخلص المشركون إلى رسول الله ﷺ فجرحوا وجهه، وكسروا رباعيته اليمنى، وكانت السفلى، وهشموا البيض على رأسه، ورموه بالحجارة حتى وقع على شقه، وسقط في حفرة من الحفر التي كان أبوعامر الفاسق يكيد بها المسلمين، فأخذ عليّ بيده، واحتضنه طلحة بن عبيد الله، وكان الذي تولى أذاه ﷺ عمرو بن قمئة، وعتبة بن أبي وقّاص. وقيل إن عبد الله بن شهاب الزهيري عم محمد بن مسلم ابن شهاب الزهيري هو الذي شجّه.

وقتل مصعب بن عمير بين يديه، فدفع اللواء لعلي بن أبي طالب، ونشبت خلقتان من خلق المغفر في وجهه فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح، وعضّ عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه، وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته، وأدرك المشركون يريدون ما الله حائل بينهم وبينه، فحال دونه نفر من المسلمين نحو عشرة حتى قتلوا، ثم جادلهم طلحة حتى أجهضهم عنه، وترّس أبو دجانة عليه بظهره والنبل يقع فيه، وهو لا يتحرك وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان، فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فردها عليه بيده، وكانت أصح عينيه وأحسنها، وصرخ الشيطان بأعلى صوته: إن محمدا قتل ووقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين، وفرّ أكثرهم، وكان أمر الله قدرا مقدورا.(١)

والله من وراء القصد

(١) راجع غزوات النبي ﷺ للسيد الجميلي ص٤٨ ـ ٥٠.

خطبة بعنوان

أحكام الأيمان

تأليف

أبو عاصم البركاتي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الخلق لعبادته ،وفطر الناس على توحيده وطاعته، وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين من عصيانه ومحادته ،وداعين إلى الاستقامة على شرعته ، محذرين من عصى من عقابه تعالى وشدة أخذته ، ومبشرين من أطاعه برضوانه ورحمته وجنته ، فنسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل مودته.

وأشهد أن لا إله إلا الله ، شهادة أحيا بها عمري وألقى بها ربي وأدخل بها قبري وأبعث عليها يوم حشري ، سبحانه لا شريك له ، ولا ند ولا شبيه ولا مثيل ولا نظير ولا كفء له ، متفرد في ألوهيته ، متفرد في ربوبيته ، متفرد في أسمائه وصفاته ،﴿ ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(الشورى: ١١)

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ختم الله به الرسل والنبيين ، وهدى به إلى الصراط المستقيم ، فصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين .

وبعد : فإن الناس في حاجة ماسة إلى من يعلمهم الدين مسألة بعد أخرى، سيما المسائل التي يحتاجون إليها في حياتهم ويكثر السؤال فيها، ومن هذه المسائل مسالة الأيمان، وهذه المقالة خطبة خطبتها في عدد من المساجد

ورأيت أن أكتبها لعل الله أن ينفع بها فأُحَصِّلُ من وراء ذلك أجراً ، والله الموفق إلى الهدى والصراط المستقيم.

كتب ذلك| أبو عاصم البركاتي

الشحات شعبان محمود

تعريف الأيمان

الْأَيْمَانُ جَمْعُ يَمِينٍ وَهُوَ الْقَسَمُ وَالْيَمِينُ الْيَدُ الْيُمْنَى وَكَانُوا إذَا تَحَالَفُوا تَصَافَحُوا بِالْأَيْمَانِ تَأْكِيدًا لِمَا عَقَدُوا فَسُمِّيَ الْقَسَمُ يَمِينًا لِاسْتِعْمَالِ الْيَمِينِ فِيهِ ، وَالْيَمِينُ أَيْضًا الْقُوَّةُ ، وَسُمِّيَ الْقَسَمُ يَمِينًا لِأَنَّ الْحَالِفَ يَتَقَوَّى بِيَمِينِهِ عَلَى تَحْقِيقِ مَا قَرَنَهُ بِهَا مِنْ تَحْصِيلٍ أَوْ امْتِنَاعٍ ، وَقِيلَ فِي تَفْسِيرِ قَوْله تَعَالَى: ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ أَيْ لَأَخَذْنَا يَدَهُ الْيُمْنَى فَمَنَعْنَاهُ عَنْ التَّصَرُّفِ ، وَقِيلَ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ أَقَاوِيلُ ثَلَاثَةٌ :أَحَدُهَا ضَرْبًا بِيَدِهِ الْيُمْنَى ، وَالثَّانِي ضَرْبًا بِالْقُوَّةِ ، وَالثَّالِثُ ضَرْبًا بِقَسَمِهِ الَّذِي قَالَ: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾[1].

واليمين شرعاً

توكيد أمر بذكر معظم على وجه مخصوص

وقيل : هو عقد يقصد منه تقوية عزم الحالف على الفعل أو الترك .

مشروعية اليمين: ذهب فريق من العلماء إلى أن الأيمان كلها مكروهة ، لقول الله تعالى: ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ﴾ [البقرة :٢١٥]

---

(١) طلبة الطلبة (٢/٢٦٨)

وذهب الأكثرون إلى جواز اليمين بغير كراهة ،والأدلة على ذلك كثيرة ومشهورة ، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (يونس:٥٣)

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ (سبأ: ٣)

وقال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (التغابن:٧)

ومن السنة : قوله ﷺ : ﴿ وَإِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا ﴾[1].

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما قال: كانت يمين النبي ﷺ: "لا، ومقلب القلوب".

وكان كثيراً ما يقسم النبي ﷺ بقوله " والذي نفسي بيده "

---

(١) أخرجه : البخاري (٣١٣٣)(٥٥١٨) (٦٦٤٩) ومسلم (١٦٤٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ويجاب عن أدلة الذين قالوا بكراهة الأيمان بأن الأيمان تكره إذا اقترنت بسبب من أسباب الكراهة ، وقد تحرم إذا اقترنت بما يوجب حرمتها ، والله يقول: ﴿ واحفظوا أيمانكم ﴾

قال الشيخ ابن عثيمين :

الأصل عدم الإكثار من اليمين لقوله تعالى ﴿ واحفظوا أيمانكم﴾ ولا شك أن هذا أولى وأسلم للإنسان ، وأبرأ لذمته ، ولكن قد تكون اليمين مع ذلك واجبة، أو مستحبة ، أو مكروهة أو محرمة أو مباحة أ هـ [(١)]

واليمين الواجبة : مثل اليمين عند الحاكم ليدفع الظلم عن شخص معين ، وقد تكون محرمة إذا كانت على فعل محرم أو ترك واجب .

إخوتي وأحبتي في الله : بأي شيء يكون اليمين ؟

يكون اليمين بالله أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته .

فلو قال الحالف والله، أو بالله، أو تالله، أو قال: والحي القيوم أو والقدوس أو ومالك الملك أو قال أقسم بعزة الله أو أقسم بقدرة الله أو بعظمة الله فهذه كلها أيمان صحيحة .

---

(١) الشرح الممتع (١١/٣٦٥)

وجمهور العلماء يرون القسم بصفات الله تعالى ، ولكن لا يقسم بالصفات الخبرية كاليد والإصبع والقدم وغيرها .

وكذا لو قال وأيم الله وعمر الله وأقسمت عليك فإنها قسم، وأيم الله يمين، لأنها بمعنى: والله – أو: وحق الله.

وكلمة أقسمت عليك – وأقسمت بالله، يرى بعض العلماء أنه يكون يميناً مطلقاً، ويرى أكثرهم أنه لا يكون يميناً إلا بالنية.

وذهبت الشافعية إلى أن ما ذكر فيه اسم الله يكون يميناً.

وأن ما لم يذكر فيه اسم الله لا يكون يميناً، وإن نوى اليمين.

وقال مالك، رضي الله عنه: إن قال الحالف: أقسمت بالله كان يميناً، وإن قال: أقسمت أو أقسمت عليك، فإنه في هذه الصورة لا يكون يميناً إلا بالنية.

أما الحلف بغير الله ، فحرام وشرك لأن الحلف تعظيم ، والتعظيم لا يكون إلا لله وحده لأنه عبادة ، قَالَ الْعُلَمَاء : الْحِكْمَة فِي النَّهْي عَنْ الْحَلِف بِغَيْرِ اللَّه تَعَالَى أَنَّ الْحَلِف يَقْتَضِي تَعْظِيم الْمَحْلُوف بِهِ ، وَحَقِيقَة الْعَظَمَة مُخْتَصَّة بِاَللَّهِ تَعَالَى ، فَلَا يُضَاهِي بِهِ غَيْره ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ اِبْن عَبَّاس -: لَأَنْ أَحْلِف بِاَللَّهِ مِائَة مَرَّة فَآثَم خَيْر مِنْ أَن أَحْلِف بِغَيْرِهِ فَأَبَرّ[1] .

---

(١) شرح النووي على مسلم (١١٨/٦) ط١ دار الحديث ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .

روى أبو داود والترمذي وأحمد عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ رَجُلًا يَحْلِفُ لَا وَالْكَعْبَةِ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ (١)

وروى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ فَقَالَ :أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ (٢).

وروى مسلم عن ابْنَ عُمَرَ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا فَقَالَ لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ

وروى مسلم عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي وَلَا بِآبَائِكُمْ" .

وروى أبو داود ، والنسائي وصححه الألباني في الإرواء (٢٦٩٨)، وفي صحيح الجامع (٧٢٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال : قال رسولُ الله - ﷺ- :"لا تَحلِفوا بآبائكم ، ولا بأمهاتكم ، ولا بالأنداد. ولا تحلفوا إِلا بالله ولا تحلفوا بالله عز وجل إِلا وأنتم صادقون " .

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد.

(٢) متفق عليه البخاري (٦١٠٨) ومسلم(١٦٤٦).

وروى أبو داود عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا.(١)

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى فَلْيَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ تَعَالَ أُقَامِرْكَ فَلْيَتَصَدَّقْ .

فمن حلف بغير الله فأقسم بالنبي أو الولي أو الأب أو الكعبة أو ما شابه ذلك، فإن يمينه لا تنعقد، ولا كفارة عليه إذا حنث، ولكن عليه أن يسارع إلى قول (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لأن الحلف بغير الله شرك ، فيسارع الحالف إلى كلمة التوحيد.

والشرك من أعظم الذنوب ،والحلف بغير الله من الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة ، وعلى صاحبه التوبة والإقلاع عنه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾ (النساء: ٤٨)

(١) أخرجه أحمد (٢٢٤٧١) وأبو داود (٣٢٥٣) وصححه الألباني، انظر حديث رقم : ٦٢٠٣ في صحيح الجامع .

وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ (النساء:١١٦)

وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢)

وقال: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج: ٣١)

تحذير من قول غلاة الصوفية

ذهب أكثر المتصوفة إلى جواز بل استحباب القسم بغير الله وذلك ليمرروا عند عامة المسلمين مذهبهم من الغلو في المشايخ والطرقيين والأولياء بزعمهم، ومن جملة ما لبسوا به على الناس استدلالهم بقسم الله تعالى في القرآن بالكثير من المخلوقات ، فقد اقسم الله بالشمس وبالضحى وبالليل وبالنهار وبحياة النبي ﷺ، "وَالصَّافَّاتِ"؛ "وَالذَّارِيَاتِ"؛ " وَالطُّورِ" ؛ "والنجم"؛ وقالوا إن الرسول ﷺ للأعرابي: "أفلح وأبيه" [1]. وهنا قسم بوالد هذا الأعرابي. وغير ذلك .

---

(١) أخرج : مسلم (١١) وأبو داود(٣٢٥٢) والدارمي (١٥٧٨) عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن أعرابيًا جاء النبي ﷺ يسأل عن الإسلام فأخبره النبي ﷺ عن فرائض

والجواب : قسم الله بالمخلوقات :

أَنَّ اللَّه تَعَالَى يُقْسِم بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاته تَنْبِيهًا عَلَى شَرَفه ، ولكن نهانا الله عز وجل على لسان نبيه ﷺ عن الحلف والقسم بغيره ، وكان العرب يهتمون بالكلام المبدوء بالقسم فيلقون إليه السمع مصغين، لأنهم يرون أن قسم المتكلم دليل على عظم الاهتمام بما يريد أن يتكلم به، وأنه أقسم ليؤكد كلامه.

أما عن قسم النبي ﷺ بوالد ذاك الأعرابي

قال البيهقي:

إن ذلك كان يقع من العرب ويجري على ألسنتهم من دون قصد.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم(١/ ٢٠٠) :

قَوْله ﷺ : " أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ " هَذَا مِمَّا جَرَتْ عَادَتُهُمْ أَنْ يَسْأَلُوا عَنْ الْجَوَاب عَنْهُ مَعَ قَوْله ﷺ: " مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاَللَّهِ " وَقَوْله ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ " وَجَوَابه أَنَّ قَوْله ﷺ: " أَفْلَحَ وَأَبِيهِ " لَيْسَ هُوَ حَلِفًا إِنَّمَا هُوَ كَلِمَة جَرَتْ عَادَة الْعَرَب أَنْ تُدْخِلَهَا فِي كَلَامها غَيْرَ قَاصِدَةٍ بِهَا حَقِيقَةَ الْحَلِفِ . وَالنَّهْي إِنَّمَا وَرَدَ فِيمَنْ قَصَدَ حَقِيقَة الْحَلِف لِمَا فِيهِ مِنْ إِعْظَام

الإسلام من الصلاة والصوم والزكاة ، فقال الرجل : لا أزيد على هذا ولا أنقص ، فقال النبي ﷺ: أفلح وأبيه إن صدق . والحديث في البخاري بغير لفظ (وأبيه) .

الْمَحْلُوفِ بِهِ وَمُضَاهَاتِهِ بِهِ اللَّهَ سُبْحَانه وَتَعَالَى . فَهَذَا هُوَ الْجَوَاب الْمَرْضِيُّ . وَقِيلَ : يُحْتَمَل أَنْ يَكُون هَذَا قَبْل النَّهْي عَنْ الْحَلِف بِغَيْرِ اللَّه - تَعَالَى - وَاَللَّه أَعْلَمُ . اهـ

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١/١٣٢ ـ ١٣٣) :

وَقَعَ عِنْد مُسْلِم مِنْ رِوَايَة إِسْمَاعِيل بْن جَعْفَر الْمَذْكُورَة " أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ " أَوْ " دَخَلَ الْجَنَّة وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ " . وَلِأَبِي دَاوُدَ مِثْله لَكِنْ بِحَذْفِ " أَوْ " . فَإِنْ قِيلَ : مَا الْجَامِع بَيْن هَذَا وَبَيْن النَّهْي عَنْ الْحَلِف بِالْآبَاءِ ؟ أُجِيبَ بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْل النَّهْي ، أَوْ بِأَنَّهَا كَلِمَة جَارِيَة عَلَى اللِّسَان لَا يُقْصَد بِهَا الْحَلِف، كَمَا جَرَى عَلَى لِسَانهمْ عَقْرَى ، حَلْقَى وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، أَوْ فِيهِ إِضْمَار اِسْم الرَّبّ كَأَنَّهُ قَالَ: وَرَبّ أَبِيهِ ، وَقِيلَ: هُوَ خَاصّ وَيَحْتَاج إِلَى دَلِيل، وَحَكَى السُّهَيْلِيّ عَنْ بَعْض مَشَايِخه أَنَّهُ قَالَ: هُوَ تَصْحِيف، وَإِنَّمَا كَانَ وَاَللَّه ، فَقُصِّرَتْ اللَّامَانِ. وَاسْتَنْكَرَ الْقُرْطُبِيّ هَذَا وَقَالَ: إِنَّهُ يَجْزِم الثِّقَة بِالرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَة. وَغَفَلَ الْقَرَافِيّ فَادَّعَى أَنَّ الرِّوَايَة بِلَفْظِ: وَأَبِيهِ لَمْ تَصِحّ ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ فِي الْمُوَطَّأ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَرْتَضِ الْجَوَاب فَعَدَلَ إِلَى رَدّ الْخَبَر، وَهُوَ صَحِيح لَا مِرْيَة فِيهِ، وَأَقْوَى الْأَجْوِبَة الْأَوَّلَانِ [١].اهـ

---

(١) فتح الباري (١/ ١٣٢، ١٣٣) ط١ دار الريان١٤٠٧ هـ ١٩٨٦م

وقال السيوطي :

قيل كيف حلف ﷺ بأبيه مع النهي عنه بقوله إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم وأجيب بأوجه منها أن يكون هذا صدر قبل النهي ومنها أنه ليس حلفا وإنما هي كلمة جرت عادة العرب أن تدخلها في كلامها غير قاصدة بها حقيقة الحلف كقولهم تربت يداه وقاتله الله [1].

أنواع الأيمان والأقسام.

أولاً لغو اليمين أو [يمين اللغو] :

وهو الحلف الذي يجري على اللسان دون قصد القلب له ،روى البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قوله تعالى :﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٢٥)

قَالَ قَالَتْ : أُنْزِلَتْ فِي قَوْلِهِ لَا وَاللَّهِ ، بَلَى وَاللَّهِ.

وحكم هذا اليمين: أنه لا كفارة فيه، ولا مؤاخذة عليه.

(١) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٨٤٩ – ٩١١ هـ حقق أصله ، وعلق عليه شيخنا أبو اسحق الحويني الأثري دار ابن عفان .

لقوله سبحانه: ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ أي: لا يعاقبكم ولا يلزمكم بما صدر منكم من الأيمان اللاغية، وهي التي لا يقصدها الحالف، بل تجري على لسانه عادة من غير تعقيد ولا تأكيد ؛ وألحق بعض العلماء الحلف في حال الغضب وهي الحال التي ما يدري فيها الإنسان ما يقول، وروى ابن أبي حاتم والطبري في التفسير(٢/٤٠٩) والبيهقي في الكبرى(١٩٧٢٣) عن ابن عباس قال: لغو اليمين أن تحلف وأنت غضبان.

وَرَوَى عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي لَغْوِ الْيَمِينِ : " أَنْ يَحْلِفَ عَلَى الْأَمْرِ يَرَاهُ كَذَلِكَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ "[(١)].

وقال مالك[(٢)]، رحمه الله، والأحناف، والليث، والأوزاعي: لغو اليمين أن يحلف على شيء يظن صدقه، فيظهر خلافه، فهو من باب الخطأ. وعند أحمد روايتان.

ثانياً اليمين الغموس

قيل سمي غموساً لأنه يغمس صاحبه في النار إن لم يتب منه، وهو أن يحاف الحالف على شيء حدث في الماضي وهو فيه كاذب.

---

(١) أحكام القرآن للجصاص(٤/١١١).

(٢) الموطأ(٢/٤٧٧) رقم(١٠١٥).

يقول الله سبحانه:﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم. فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ﴾ [النحل: ٩٤].

قال ابن عباس: ﴿الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾ الشرك. وكذا قال مجاهد، وعِكْرِمَة، والضحاك، وقتادة، والسُّدِّيّ، وغيرهم.

وقال الشعبي: هو اليمين الغموس.

وروى مسلم، وأهل السنن عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ : "ثَلاثَة لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" قلت: يا رسول الله، من هم؟ خابوا وخسروا. قال: وأعاده رسول الله ﷺ ثلاث مرات قال: "الْمُسْبِل، والْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ، والمنانُ".

وقال ﷺ : " اليمين الكاذبة تذر الديار بلاقع "(١)

(١) أخرجه ابن حبان في "الثقات(٨/٤٠٠)، والدولابي في " الكنى "(٢/١٦٥)، والكلاباذى في "مفتاح المعاني " (ق ٢٢٣/١-٢) ، والخطيب في " التلخيص " (٢/٧٠٢-٧٠٣) وحسنه شيخنا الحويني .

وروى البخاري عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا[1] .

وَرَوَى البخاري ومسلم عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : من حَلَفَ يَمِينَ صَبْرٍ لِيَقْتَطِعَ بها مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهْوَ عليه غَضْبَانُ فَأَنْزَلَ الله تَصْدِيقَ ذلك ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لهم في الْآخِرَةِ ﴾ إلى آخِرِ الْآيَةِ قال فَدَخَلَ الْأَشْعَثُ بن قَيْسٍ وقال ما يُحَدِّثُكُمْ أبو عبد الرحمن قُلْنَا كَذَا وَكَذَا قال: فِيَّ أُنْزِلَتْ؛ كانت لي بِئْرٌ في أَرْضِ بن عَمٍّ لي؛ قال النبي ﷺ : بَيِّنَتُكَ أو يَمِينُهُ، فقلت إِذًا يَحْلِفَ يا رَسُولَ اللَّهِ، فقال النبي ﷺ: "من حَلَفَ على يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بها مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ وَهْوَ فيها فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَهْوَ عليه غَضْبَانٌ "[2]

---

(١) أخرجه البخاري(٢٥٣٤)(٦٥٦٦)(٦٧٤٨)وابن الجارود في المنتقى (٩٩٩) والنسائي في الكبرى(٥٩٤٣)وأبو داود(٣٥٨٣) وابن ماجه (٢٣١٧).

(٢) أخرجه البخاري(٤٢٧٥)(٦٢٩٩)(٦٧٦١) ومسلم (١٣٨)

وروى مسلم وغيره عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: « من اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ الله له النَّارَ وَحَرَّمَ عليه الْجَنَّةَ فقال له رَجُلٌ وَإِنْ كان شيئا يَسِيرًا يا رَسُولَ اللَّهِ قال وَإِنْ قَضِيبًا من أَرَاكٍ »(١).

وروى البخاري وغيره عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ الْكَبَائِرُ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ (٢)

وروى البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْكَبَائِرُ قَالَ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ ثُمَّ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ الْيَمِينُ الْغَمُوسُ قُلْتُ وَمَا الْيَمِينُ الْغَمُوسُ قَالَ الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ (٣)

وَرَوَى النسائي وابن ماجه عن جَابِرٌ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " مَنْ حَلَفَ عَلَى مِنْبَرِي هَذَا بِيَمِينٍ آثِمَةٍ .تَبَوَّأَ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ "(٤) .

---

(١) أخرجه مسلم(١٣٧)

(٢) البخاري(٦٦٧٥)(٦٨٧٠) والترمذي (٣٠٢١) والنسائي(٤٠١١) (٤٨٦٨) وأحمد(٦٨٤٥) وله شاهد عند البخاري وأحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه

(٣) أخرجه البخاري(٦٩٠٢)

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (٦٠١٨)وابن ماجه(٢٣٢٥)

وروى الترمذي وأبو داود والنسائي وغيرهم عن ثابت بن الضحاك - رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَنْ حَلَفَ بملّة غير الإِسلام كاذبا فهو كما قال»[1].

وروى أحمد وأبو داود وغيرهما عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - : قال: قال رسولُ الله - ﷺ-: «مَنْ حَلَفَ على يمين مَصْبورة كاذبا. فَلْيَتَبَوَّأْ بوجهه مَقْعده من النار»[2].

وروى البخاري ومسلم وغيرهما عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ لَا يَسْكُتُ" [3].

---

(١) أخرجه الترمذي، وأبو داود ، والنسائي. وهو طرف من حديث طويل أخرجه البخاري، والترمذي، وأبو داود.

(٢) أخرجه أبو داود(٣٢٤٢) وأحمد(١٩٤١١) والحاكم في المستدرك(٧٨٠٢).

(٣) أخرجه البخاري(٢٦٤٥) (٦٢٧٣) (١٩١٩) (٥٩٧٦) ومسلم(٨٧)والترمذي(١٩٠١) (٢٣٠١) (٣٠١٩) وأحمد (١٩٨٧٢)

هل اليمين الغموس فيه كفارة ؟

ذهب مَالِكٌ وَاللَّيْثُ فِي الْغَمُوسِ أَنَّهُ لَا كَفَّارَةَ فِيهَا ،وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَالشَّافِعِيُّ : " فِي الْغَمُوسِ الْكَفَّارَةُ " [(١)].

والصواب أنه لا كفارة فيه.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْغَمُوسَ لَا كَفَّارَةَ فِيهَا قَوْله تَعَالَى : ﴿ إنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ فَذَكَرَ الْوَعِيدَ فِيهَا وَلَمْ يَذْكُرْ الْكَفَّارَةَ ، فَلَوْ أَوْجَبْنَا فِيهَا الْكَفَّارَةَ كَانَ زِيَادَةً فِي النَّصِّ وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ إلَّا بِنَصٍّ مِثْلِهِ .

ما الواجب على من وقع في يمين غموس ؟

يجب على مرتكب اليمين الغموس أن يبادر بالتوبة ، وأن يرد الحقوق إلى أصحابها ،أخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ[(٢)]

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٤/١١٢)

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٤)(٢٤٤٩) وأحمد(٩٣٣٢)(١٠١٩٥)

وروى مسلم وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ[1].

ثالثاً :اليمين المنعقد

وهو أن يحلف الحالف على سيحدث في المستقبل وهو قاصد لليمين بقلبه غير مستثني أي لم يقل أن شاء الله، وهذا اليمين هو الذي فيه الكفارة باتفاق.

كأن يقول والله لا أكلم فلاناً أبداً ، أو والله لا أدخل دار فلان أبداً أو والله لأفعلن كذا أو والله لا أفعل كذا ، فهذه أيمان منعقدة ،لأن الحالف قصدها بقلبه وهو عالم ولم يستثن ، لأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَنْ حَلَفَ فَقَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَحْنَثْ [2].

---

(١) مسلم(٢٥٨١)الترمذي (٣٤١٨) وأحمد(٧٩٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي(١٥٣٢) وابن ماجة (٢١٠٤) والدارمي وصححه الألباني في الإرواء (٢٥٧٠)

ولهذا من فوائد الاستثناء:

١ـ أنه يفيد عدم لزوم اليمين.

٢ـ عدم وجوب الكفارة .

٣ـ خروجه من الكذب .

والحالف مطالب بعدم نقض يمينه ما استطاع ، إلا إذا كان الخير في غيرها ، قال سبحانه:﴿ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ (النحل: ٩١)

وروى البخاري عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لَا تَسْأَلْ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا وَإِنْ أُوتِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ وَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ".

وقوله ﷺ : " وَإِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا "(١).

وروى البخاري(٦٢٥١) عن أبي هُرَيْرَةَ قال : قال رسول اللَّهِ من اسْتَلَجَّ في أَهْلِهِ بِيَمِينٍ فَهُوَ أَعْظَمُ إِثْمًا لِيَبَرَّ ، يَعْنِي الْكَفَّارَةَ.

---

(١) أخرجه : البخاري (٣١٣٣)(٥٥١٨) (٦٦٤٩)ومسلم (١٦٤٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وقول اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ الْآيَةَ ؛ رُوِيَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي شَأْنِ مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ حِينَ حَلَفَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ لَا يُنْفِقَ عَلَيْهِ لِمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ الْخَوْضِ فِي أَمْرِ عَائِشَةَ ، وَقَدْ كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَكَانَ ذَا قَرَابَةٍ مِنْهُ ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْحِنْثِ فِي يَمِينِهِ وَالرُّجُوعِ إلَى الْإِنْفَاقِ عَلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ.

وإن كان الحلف على فعل محرم فاليمين غير منعقد ، روى ابن جرير عن وسعيد ابن المسيب، وعروة بن الزبير أنهم قالوا: لا يمين في معصية، ولا كفارة عليها[1] .

وورد هذا في حديث أخرجه الطبراني في معجمه الكبير(١٣٣٩) عن ثَابِتِ بن الضَّحَّاكِ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ : "لا يَمِينَ في مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلا فِيمَا لا يَمْلِكُ بن آدَمَ"

وقال ﷺ : "لا نذر و لا يمين فيما لا يملك ابن آدم و لا في معصية الله و لا في قطيعة رحم "[2]

*****

(١) تفسير الطبري (٢/٤١٠)

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم : ٧٥٤٩

كفارة اليمين :

كفارة اليمين واجبة ، قال تعالى: ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (التحريم :٢)

ما هي كفارة اليمين ؟

هي ما ذكرها الله في كتابه فقال سبحانه :﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[المائدة :٨٩]

إذن فكفارة اليمين إطعام عشرة مساكين من أوسط طعام الإنسان ، أو كسوتهم أو عتق رقبة فهؤلاء على التخيير أيتها فعل فقد تحلل من يمينه.

فإن كان غير قادر أو غير واجد فيتعين عليه أن يصوم ثلاثة أيام ، إما متتابعات وهو الأفضل وإما متفرقات.

ما يجزئ من الإطعام .

أولاً يطعم فقراء المسلمين :

اشترط الفقهاء أن يكون العشرة المساكين من المسلمين إلا أبا حنيفة، فإنه جوز دفعها إلى فقراء أهل الذمة.

ثانياً ما المقدار الواجب إعطاؤه للمسكين ؟

رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ وَعُمَرَ وَعَائِشَةَ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُجَاهِدٍ وَالْحَسَنِ فِي كَفَّارَةِ الْيَمِينِ : " كُلُّ مِسْكِينٍ نِصْفَ صَاعٍ مِنْ بُرٍّ " ؛ وَقَالَ عُمَرُ وَعَائِشَةُ : " أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ " إِذَا أَعْطَاهُمْ الطَّعَامَ تَمْلِيكًا .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عُمَرَ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَطَاءٌ فِي آخَرِينَ : مُدٌّ مِنْ بُرٍّ لِكُلِّ مِسْكِينٍ " وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ .

والأفضل أن يملك الطعام للمسكين يأكل في داره ، أما إن أعد الحالف الطعام ودعا العشرة إلى تناوله فيجزئه.

دفع القيمة : ذهب الشافعي وأحمد إلى عدم جواز دفعها وهو قول ابن عمر وابن عباس وعطاء ومجاهد وسعيد وغيرهم لقوله تعالى ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ وهو الصواب.

وذهب أبو حنيفة إلى جواز دفع القيمة مستدلا بأن ذلك فيه رفق بالفقير ومصلحة يتمكن بواسطتها من شراء الطعام الذي اعتاد التغذي عليه.

وتردد قول مالك بين القولين السابقين.

والراجح القول الأول لأنه اتباع للنص ، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾ (مريم: ٦٤)

يجوز دفع القيمة إلى من ينوب عنك في إخراجها طعاماً شريطة أن تكون نية الحالف الإطعام لا دفع الأموال لأن هذا من العبادات المالية التي تجوز فيها الإنابة والوكالة والله أعلم

والله وحده من وراء القصد

فضل التسبيح

أبو عاصم البركاتي المصري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن الله تبارك وتعالى موصوف بصفات الكمال والجلال والجمال؛ ومنزه عن كل صفات النقائص والمعايب؛ قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات ١٨٠ - ١٨٢].

وقال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (النحل :٦٠) ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى﴾ أَيِ الْوَصْفُ الْأَعْلَى.

قال ابن كثير في تفسيره(٤ /٥٧٨): ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأعْلَى﴾ أَيِ: الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ اهـ

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٠)

وكل اسم لله تعالى يتضمن صفة من صفات الله تعالى.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك:

ووَصَفَ أسماءه بأنها حسنى؛ ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولا تكون كذلك إلا إذا تضمنت صفات كمال، ولو كانت ألفاظًا لا تدل على

معان لما كانت حسنى، ولو دلت على صفات نقص لما كانت حسنى، وحسنى أفعل تفضيل ، فله – تعالى – الوصف الأكمل، وله من كل صفة غايتها ، وهو منزه عن كل نقص. [التعليق على القواعد المثلى ص ٦٣]

تعريف التسبيح:

هو تنزيه الله عن كل ما لا يليق به.

وجوب تنزيه الله تعالى عما لا يليق

قال تعالى: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (الأعلى: ١).

وقال تعالى ناهيا عن وصفه بما لا يليق: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ﴾

قال القرطبي: أَيِ الْأَمْثَالَ الَّتِي تُوجِبُ الْأَشْبَاهَ وَالنَّقَائِصَ، أَيْ لَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ مَثَلًا يَقْتَضِي نَقْصًا وَتَشْبِيهًا بِالْخَلْقِ. وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى وَصْفُهُ بِمَا لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، جَلَّ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاحِدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. [تفسير القرطبي (١٠/ ١١٩)]

صفات الله كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه

قال الشيخ ابن عثيمين في "القواعد المثلى" ص ٦٠ :

إذا كانت الصفة نقصًا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله – تعالى – كالموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم ونحوها؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقوله عن موسى:

﴿فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢]، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤].

وقوله: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقال النبي ﷺ في الدجال: " إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور " (١). وقال: "أيها الناس، اِرْبَعُوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ، ولا غائبًا "(٢).

وقد عاقب الله تعالى الواصفين له بالنقص، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقوله: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

ونَزَّهَ نفسه عما يصفونه به من النقائص، فقال سبحانه: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات ١٨٠ - ١٨٢]، وقال تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣) من حديث أنس - رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه.

مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وإذا كانت الصفة كمالًا في حال، ونقصًا في حال، لم تكن جائزة في حق الله ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تُثْبَتُ له إثباتًا مطلقًا، ولا تنفى عنه نفيًا مطلقًا؛ بل لابد من التفصيل: فتجوز في الحال التي تكون كمالًا، وتمتنع في الحال التي تكون نقصًا وذلك كالمكر، والكيد، والخداع ونحوها ؛ فهذه الصفات تكون كمالًا إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها؛ لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد، وتكون نقصًا في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله – تعالى – من صفاته على سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة مَنْ يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقوله: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً. وَأَكِيدُ كَيْداً ﴾ [الطارق: ١٥- ١٦]، وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ. وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [القلم: ٤٤ – ٤٥]، وقوله: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقوله: ﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٤- ١٥].

ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه فقال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧١]، فقال: ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾، ولم يقل: فخانهم؛ لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان، وهي صفة ذَمٍّ مطلقًا.

وبذا عُرِفَ أَنَّ قولَ بعض العوام: " خان الله مَنْ يخون " منكرٌ فاحشٌ، يجب النهي عنه. انتهى

اقتران التسبيح بالحمد

وذلك لأنَّ الحَمْد إثبات الكمالات، والتَّسْبيحَ يتضمن التنزيه وهو نَفْي ما يناقض تلك الكمالات.

التسبيح في القرآن

ورد التسبيح في القرآن بلفظ الماضي " سَبَّحَ " وبلفظ الأمر مثل: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ؛ وبلفظ المضارع " يُسَبِّحُ" في آيات؛ وبلفظ " تُسَبِّحُ " في موضع واحد قال تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء :٤٤] .

وورد بلفظ المصدر " سُبْحَانَ"

وبلفظ " سُبْحَانَهُ " ؛ وبلفظ " سُبْحَانَكَ " في تسعة مواضع.

وبلفظ " فَسُبْحَانَ " في ثلاثة مواضع.

اسم الله السبوح:

قال ابن منظور : التسبيح : تعظيم الله وتنزيهه من كل سوء .

قال أبو إسحاق : السُبُّوح : الذي ينزه عن كل سوء .

قال ابن سيده : سبوح لأنه يُسَبَّح

والسبوح: هو الذي يسبحه، ويقدسه، وينزهه كل من في السماوات والأرض، كما قال تبارك وتعالى : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١]، ويقول سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤] .انتهى [بدائع الفوائد (٢/ ٣٦٦)].

ومما ورد في ثبوت اسم السبوح ما روته عَائِشَة رضي الله عنها ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»

[مسلم (٤٨٧) وأبو داود (٨٧٢)].

قال السيوطي : سبوح قدوس بِضَم أَولهمَا وفتحه وَالضَّم أفْصح وَأكْثر ومعناهما مسبح مقدس والمسبح المبرأ من النقائص وَالشَّرِيك وكل مَا يَلِيق بالإلٰهية والمقدس المطهر من كل مَا لَا يَلِيق بالخالق.(١) انتهى

تسبيح الملائكة

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ (الأعراف ٢٠٦). وقال: ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ . يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ (الأنبياء ١٩ – ٢٠) وقال: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشورى: ٥)

وقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (غافر: ٧) ،

وقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي

---

(١) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٢ /١٧٩).

أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠)، وقال ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الزمر: ٧٥) .

تسبيح الكائنات

قال تعالي: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٤٤).

وقال تعالي: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاء ﴾ (الحج: ١٨)

وقوله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

وفي حديث ابن مسعود : " وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ "

وفي حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : "تناول رسول الله ﷺ سبع حصيات فسَبَّحن، في يده حتى سمعت لهن حنينا ، ثم وَضَعهُنّ في يد أبى بكر فسبَّحن ، ثم وَضَعهُنّ في يد عمر فسبَّحن ، ثم وَضَعهُنّ في يد عثمان فسبَّحن " .

****

إطلاق التسبيح على الصلاة

وذلك من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل؛ فالتسبيح من أذكار الصلاة؛ ولأن عموم العبادات من باب تقديس الله وتعظيمه وتنزيهه؛ إذ الصلاة حق الله تعالى العظيم السبوح القدوس.

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ. وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ (ق: ٣٩-٤٠)

قال ابن الجوزي في "زاد المسير"(٤ / ١٦٥): ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: صَلِّ بالثَّناء على ربِّك والتنزيه له ممَّا يقول المُبْطِلون قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وهي صلاة الفجر. وَقَبْلَ الْغُرُوبِ فيها قولان:

أحدهما: صلاة الظهر والعصر، قاله ابن عباس. والثاني: صلاة العصر، قاله قتادة.

وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث جرير بن عبد الله، قال: كُنَّا عند رسول الله ﷺ ليلة البدر، فقال: «إنَّكم سَتَرُونَ ربَّكم عِيانا كما ترون هذا القمر، لا تُضَامُّونَ في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغْلَبوا على صلاةٍ قَبْلَ طُلوع الشمس وقبل الغُروب فافعلوا» وقرأ: «فسبِّح بحمد ربِّك قبل طُلوع الشمس وقبل الغروب».

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها صلاة الليل كلِّه، أيَّ وقت صلّى منه، قاله مجاهد. والثاني: صلاة العشاء، قاله ابن زيد. والثالث: صلاة المغرب والعشاء، قاله مقاتل. انتهى

ومما ورد في السنة ما أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدَعُ العَمَلَ، وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ، فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ، وَمَا سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا»[البخاري (١١٢٨) ومسلم (٧١٨)]

وفي الصحيحين أيضا واللفظ لمسلم من حديث أَبِي مُرَّةَ، مَوْلَى عَقِيلٍ، أَنَّ أُمَّ هَانِئٍ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ عَامُ الْفَتْحِ. أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ «قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى غُسْلِهِ، فَسَتَرَتْ عَلَيْهِ فَاطِمَةُ ثُمَّ أَخَذَ ثَوْبَهُ فَالْتَحَفَ بِهِ، ثُمَّ صَلَّى ثَمَانَ رَكَعَاتٍ سُبْحَةَ الضُّحَى» [البخاري (٢٨٠) ومسلم(٣٣٦)]

وأخرج البخاري (١١٠١) عن ابْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " صَحِبْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمْ أَرَهُ يُسَبِّحُ فِي السَّفَرِ، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ "

والمعنى كان لا يصلي نفلاً في السفر - في الغالب - ؛ ولكنه ﷺ كان يحافظ على ركعتي الغداة وركعة الوتر؛ وقد ثبت صلاته للنفل أحيانًا فعن أَنَّ عَامِرِ بْنَ رَبِيعَةَ رضي الله عنه قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الرَّاحِلَةِ يُسَبِّحُ، يُومِئُ بِرَأْسِهِ قِبَلَ أَيِّ وَجْهٍ تَوَجَّهَ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي الصَّلاَةِ المَكْتُوبَةِ».

فضائل التسبيح

(١) التسبيح سبب في تفريج الكروب

ودليل ذلك ما حكاه الله تعالى عن يونس بن متى عليه السلام ؛ قال تعالى : ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ –٨٨].

وقال تعالى : ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ . فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ . فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ . فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ. وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ . وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ . فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [الصافات : ١٣٩ – ١٤٨].

قال ابن الجوزي في "زاد المسير" (٣ / ٢١٠): قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ﴾ يعني: يونس بن متّى. والنون: السمكة أُضيف إِليها لابتلاعها إِياه. اهـ

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾.

وفي الحديث روى سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إِلا فرج الله عنه، كلمة أخي يونس: فنادى في الظلمات أن لا إِله إِلا أنتَ، سُبْحانَكَ إِني كُنْتُ من الظالمين»[١]. قال الحسن: وهذا اعتراف من يونس بذنْبه وتوبة من خطيئته. انتهى

وورد مرفوعا عن سعد بن أبي وقاص أيضا بلفظ : "دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ "[٢].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ: " مَا كَرَبَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ إِلا اسْتَغَاثَ بِالتَّسْبِيحِ "[٣].

---

(١) معجم أبي يعلى (٢٦٣) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٤٣).

(٢) الترمذي (٣٥٠٥) والنسائي في الكبرى (١٠٤١٦) وأحمد (١٤٦٢) .

(٣) أمالي ابن سمعون برقم (١٦٢).

(٢) التسبيح سبب لتكفير الذنوب:

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ " [البخاري (٦٤٠٥)].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَا عَلَى الْأَرْضِ رَجُلٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ " [الترمذي (٣٤٦٠) والنسائي في الكبرى (١٠٥٨٩) وأحمد(٦٤٧٩) وصححه الألباني].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ " [مسلم (٥٩٧)].

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله تعالى اصطفى من الكلام أربعًا: سبحان الله، والحمد لله، ولا

إله إلا الله، والله أكبر، فمَن قال: سبحان الله، كتبت له عشرون حسنة، وحُطَّت عنه عشرون سيئة، ومن قال: الله أكبر، مثل ذلك، ومن قال: لا إله إلا الله، مثل ذلك، ومن قال: الحمد لله رب العالمين، من قبل نفسه، كُتبت له ثلاثون حسنة، وحُطَّ عنه ثلاثون خطيئة" [صححه الألباني في صحيح الجامع].

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: " إن سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر: تنفض الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها" [صححه الألباني].

(٣) التسبيح سبب لرفعة الدرجات وتحصيل حسنات.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، فَقَالَ: «مَاذَا تَقُولُ يَا أَبَا أُمَامَةَ؟» قَالَ: أَذْكُرُ رَبِّي قَالَ: " أَفَلَا أُخْبِرُكَ بِأَكْثَرَ - أَوْ أَفْضَلَ - مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلَ مَعَ النَّهَارِ، وَالنَّهَارَ مَعَ اللَّيْلِ؟ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولُ الْحَمْدُ مِثْلَ ذَلِكَ "[النسائي في الكبرى (٩٩٢١) وأحمد (٢٢١٤٤) صححه الألباني].

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "مَن قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأتِ أحد يومَ القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال، أو زاد عليه"؛ [مسلم].

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "لأَنْ أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر - أحَبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس"؛ [مسلم].

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وقاص قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :" أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ ؟ قَالَ : يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ ".

(٤) التسبيح أفضل الكلام

عن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله تعالى أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: " مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ " [مسلم (٢٧٣١)]

(٥) التسبيح أحب الكلام إلى الله. عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله تعالى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ

أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ، فَقَالَ: " إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ " [مسلم (٢٧٣١)]

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ "

(٦) التسبيح يعدل الصدقة بالمال.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله تعالى ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى» [مسلم (٧٢٠)]

(٧) التسبيح والباقيات الصالحات.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "خذوا جُنَّتكم من النار؛ قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة مُقدِّمات ومُعقِّبات ومُجنِّبات، وهن الباقيات الصالحات"؛ [صححه الألباني في صحيح الجامع].

(٨) التسبيح وغراس الجنة: عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لقيتُ إبراهيمَ ليلة أُسرِيَ بي، فقال: يا محمد، أقرِئْ

أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التُّربة، عَذْبة الماء، وأنها قِيعان، وأن غراسَها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر"؛ [الترمذي، وصححه الألباني].

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أدلُّك على غراسٍ هو خير من هذا؟ تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ يُغرَس لك بكل كلمة منها شجرة في الجنة"؛ [صححه الألباني في صحيح الجامع].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَن قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة"؛ [الترمذي، وصححه الألباني].

(٩) التسبيح وكفارة المجلس

عن جُبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من قال: سبحان الله وبحمده، سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، فقالها في مجلس ذكر، كان كالطابع يطبع عليه، ومَن قالها في مجلس لغو، كان كفارة له"؛ صححه الألباني.

(١٠) التسبيح وتثقيل موازين الحسنات

عن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرةً حين صلَّى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: "ما زلتِ على الحال التي فارقتُك عليها؟"، قالت: نعم، قال النبي ﷺ: "لقد قلتُ بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وُزِنَتْ بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزِنة عرشه، ومداد كلماته"[مسلم].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : " كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ " البخاري.

(١١) التسبيح يعدل الصدقة وقيام الليل

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " مَن هاله الليل أن يُكابده، أو بخِل بالمال أن ينفقه، أو جبن عن العدو أن يُقاتِلَه، فليُكثر من (سبحان الله وبحمده)؛ فإنها أحبُّ إلى الله من جبل ذهب ينفقه في سبيل الله عز وجل" .

(١٢) التسبيح وأذكار الصلاة : عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك

اللّهم وبحمدك، اللّهم اغفر لي"؛ يتأول القرآن؛ [ابن ماجه، وصححه الألباني] .

ولما نزل قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة ٧٤ ، ٩٦] . قال " اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ " ولما نزل ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ قال: "اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ" وثبت عنه أنه كان يَقُولُ في ركوعه : سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وفي سَجَودِه "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى "

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان إذا افتتح الصلاة قال: "سبحانك اللّهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدُّك، ولا إله غيرك "[1]

(١٣) التسبيح إذا كثر العمل وقل الجهد

عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: إن فاطمةَ أتَتِ النبيَّ ﷺ تسأله خادمًا، فقال: "ألا أخبرُك ما هو خيرٌ لك منه؟ تُسبِّحين الله عند منامك ثلاثًا وثلاثين، وتحمدين الله ثلاثًا وثلاثين، وتُكبِّرين الله أربعًا وثلاثين" – ثم قال سفيان: إحداهن أربع وثلاثون – فما تركتُها بعد، قيل: ولا ليلةَ صِفِّينَ؟ قال: ولا ليلةَ صِفِّينَ"؛ البخاري.

---

(١) ابن ماجه، وصححه الألباني.

(١٤) التسبيح دبر الصلوات المكتوبات: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو ذر: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور؛ يصلُّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضول أموال يتصدَّقون بها، وليس لنا مال نتصدق به!

فقال رسول الله ﷺ : "يا أبا ذرٍّ، ألا أعلمُك كلمات تُدرِكُ بهن مَن سَبَقك، ولا يلحقك مَن خلفك، إلا من أخذ بمثل عملك؟ تُكبِّر اللهَ دبرَ كلِّ صلاة ثلاثًا وثلاثين، وتحمده ثلاثًا وثلاثين، وتسبِّحه ثلاثًا وثلاثين، وتختمها بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير" وزاد في آخره: "غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر"؛ صححه الألباني.

وعن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله تعالى عنه: "أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور؛ يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون بفضول أموالهم! قال: " أوَليس قد جعل الله لكم ما تَصدَّقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكلِّ تحميدة صدقة، وكلِّ تهليلة صدقةٌ، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بُضْع أحدكم صدقة"، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا

شهوته ويكون له فيها أجر؟! قال: "أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر"[مسلم].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "خصلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة، وهما يسير، ومن يعمل بهما قليل؛ يسبح الله في دبر كل صلاة عشرًا، ويُكبِّر عشرًا، ويحمد عشرًا" - فرأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده - فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، وإذا أوى إلى فراشه سبَّح وحمد وكبر مائة، فتلك مائة باللسان، وألف في الميزان، فأيُّكم يعمل في اليوم ألفين وخمسمائة سيئة؟"، قالوا: وكيف لا يحصيهما؟ قال: "يأتي أحدكم الشيطان وهو في الصلاة فيقول: اذكر كذا وكذا؛ حتى ينفكَّ العبد لا يعقل، ويأتيه وهو في مضجعه فلا يزال يُنوِّمه حتى ينام"[ابن ماجه؛ وصححه الألباني].

(١٥) التسبيح يجلب الرزق

عن رجل من الأنصار رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال نوح لابنه: إني موصيك بوصيةٍ، وقاصرها لكي لا تنساها: أوصيك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين: أما اللتان أوصيك بهما، فيستبشر الله بهما وصالح خلقه، وهما يكثران الولوج على الله: أوصيك بـ (لا إله إلا الله)؛ فإن

السموات والأرض لو كانتا حلقةً قصمتهما، ولو كانتا في كفة وزنتهما، وأوصيك بـ (سبحان الله وبحمده)؛ فإنهما صلاة الخلق، وبهما يُرزَقُ الخلق، وإن من شيء إلا يُسبِّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفورًا، وأما اللتان أنهاك عنهما، فيحتجب الله منهما وصالح خلقه: أنهاك عن الشِّرك، والكِبر" [صححه الألباني في صحيح الترغيب].

(١٦) التسبيح وأذكار النوم

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "خصلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة، وهما يسير، ومن يعمل بهما قليل؛ يسبح الله في دبر كل صلاة عشرًا، ويُكبِّر عشرًا، ويحمد عشرًا" - فرأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده - فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، وإذا أوى إلى فراشه سبَّح وحمد وكبر مائة، فتلك مائة باللسان، وألف في الميزان، فأيُّكم يعمل في اليوم ألفين وخمسمائة سيئة؟"، قالوا: وكيف لا يحصيهما؟ قال: "يأتي أحدكم الشيطان وهو في الصلاة فيقول: اذكر كذا وكذا؛ حتى ينفكَّ العبد لا يعقل، ويأتيه وهو في مضجعه فلا يزال يُنوِّمه حتى ينام"؛ ابن ماجه؛ وصححه الألباني.

(١٧) التسبيح في السفر: في السنن عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :" كُنَّا مع رسول الله ﷺ إِذَا صَعِدْنَا (علونا) كَبَّرْنَا وَإِذَا نَزَلْنَا (هبطا) سَبَّحْنَا".

والله من وراء القصد

التــوبة

أعده /أبو عاصم البركاتي المصري

الشحات شعبان محمود

٠١٠٦٤٧٦٣١٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾، ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾.

أما بعد، فان أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾(الحديد : ١٦) .

فأنت أيها المسلم الغيور تتميز عن غيرك من الناس بسمات الشرف والكرامة والغيرةِ على نفسك وعلى إخوتك المسلمين ، فاحرص كل الحرص على أنْ لا تفوتك فرصة كسب الثواب من الله بنشر ما يرضيه سبحانه ، واعلم أخي الكريم : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (الإسراء : ٣٦).

أخي الكريم: إنَّ رحمة الله لا تنال بالأماني ولا بالأنساب ولا بالوظائف ولا بالأموال ، إنما تنال بطاعة الله ورسوله واتباع شريعته وذلك يكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلنحذر جميعاً كل ما يغضب الله ولنمض إلى الله قدماً بلا تردد بتوبة صادقة قبل فوات الأوان ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور : ٦٣)، واعلم أنَّ الله خلق لكل إنسان أنفاساً معدودة وساعات محدودة ، عند انقضائها تقف دقات قلبه، ويطوى سجله ، ويحال بينه وبين هذه الدار، إما إلى دار أنس وبهجة، وإما إلى دار شقاء ووحشة، فمن زرع كلمات طيبة وأعمالاً صالحة أدخله الله الجنة ونعّمه بالنعيم المقيم، ومن زرع أعمالاً سيئة وكلمات قبيحة دخل النار، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً ﴾ (الكهف : ٢٩) وتذكّر قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ (الزلزلة : ٧-٨) فكل ما

تعمله في هذه الدنيا الفانية تنال جزاءه إن خيراً فخير وإن شراً فشرٌ ، وتذكّر دائماً أنَّ الحياة نفس يذهب ولا يرجع ، ولا ينفع الندم بعدها فاعمل لنفسك ولا تقدّم ما يفنى على ما يبقى.

أخي الكريم : إنَّ أجمل سعادة وأعظم لذة يجدها الإنسان في هذه الحياة الفانية هي طاعة الله ومحبته والقرب إليه وكثرة الدعاء وقد صرّح تائبون كثيرون بأنّهم وجدوا أعظم متعة تمتعوها هي القرب إلى الله تعالى وحسن الظن به وكثرة مراقبته ، وأكثِرْ من الدعاء والذكر والاستغفار فلك في كل تسبيحة عشر حسنات، حاولْ أنْ لا تجعل وقتك يذهب سدى، أكثرْ من قراءة القرآن فلك في كل حرف عشر حسنات، اقرأْ كتب العلم والأحاديث النبوية، فَقِّه نفسك بأمور دينك، عليك بكثرة التطوع والإكثار من صلاة النافلة ، وقد قال النبي - ﷺ - : "إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك بها درجة وحط عنك بها خطيئة[1] ".كُنْ داعياً إلى الله تعالى ، كُنْ آمراً للناس بالمعروف وناهياً لهم عن المنكر ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت: ٣٣).

(١) جزء من حديث رواه مسلم من حديث ثوبان مولى رسول الله.

إياك وأعراض الناس لا تذكر أحداً بسوء، ولا تغتب أحداً ، ولا تؤذي أحداً، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده [1]"، وقال أيضاً: "كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله[2] " ، وهذا نبينا الكريم قد حذرنا من احتقار المسلمين فقال: " بحسب امرئ من الشر أنْ يحقر أخاه المسلم[3] " فإذا كان استحقاره عظيماً عند الله فكيف بإنزال الضُّرِّ به.

كُنْ رقيباً على نفسك ولسانك فكل كلام تنطقه تحاسب عليه إنْ كان خيراً فخيرٌ وإنْ كان شراً فشرٌ، وقد قال النَّبيُّ ﷺ : " إنَّك لم تزل سالماً ما سكت، فإذا تكلمت كتب لك أو عليك[4]"، وقال أيضاً: "رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت عن شر فسلم[5]" حافِظْ على نظرك فلا تنظر إلى

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) أخرجه : مسلم من حديث أبي هريرة.

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة

(٤) المعجم الكبير للطبراني ٧٣/٢٠ (١٣٧) من حديث عبد الرحمان بن غنم ، قال الهيثمي في المجمع ٣٠٠/١٠ : " رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات " .

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٨٥٥) ، وقال الشيخ الألباني رحمه الله : (الحديث عندي حسن بمجموع هذه الطرق) .

محرّم، وحافظ على سمعك فلا تسمع محرّماً، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦) . حافظ على جوارحك فلا تفعل محرّماً. ولا تنظر إلى صغر المعصية وتحسب الأمر هيناً، ولكن انظر إلى من تعصي.

الزم هذا الدعاء : " اللّهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة [١] ".

الدعوة إلى التوبة من الذنوب

قال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١).

وقال تعالى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (هود:٣).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التحريم: ٨).

---

(١) مقدمة الدكتور ماهر ياسين الفحل لتحقيقه لكتاب رياض الصالحين للنووي ص ٤ .٧.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا . وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣).

وقال النبي ﷺ: « يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مئة مرة » رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: « إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » رواه البخاري.

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١).

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٦) والترمذي (٣٤٣٤) وابن ماجه (٣٨١٤).

وسئل العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله: هل الزيادة في الاستغفار في اليوم عن سبعين أو مائة مرة جائز ؟

وهل الزيادة في ذكر سبحان الله وبحمده عن مائة مرة جائز، حيث إني ما زلت أذكر الله وأستغفره أي وقت في ذلك ؟ لعل الله أن يقبل توبتي.

فكان جوابه : هذا مستحب ولو سبحت ألف مرة أو ألفين أو عشرة آلاف ، لكن النبي ﷺ بين للأمة قال : « من قال حين يمسي وحين يصبح سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر »[1] يعني إذا لم يصر على الكبائر فهذه من أسباب المغفرة ، ويسبح الله مائة مرة في السماء ومائة مرة في الصباح ، هذه من أسباب المغفرة لمن وفقه الله لترك الكبائر ، وهكذا قال ﷺ: « من قال في يوم لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير مائة مرة كانت له عدل عشرة رقاب، وكتب الله له مائة حسنة، ومحي عنه مائة سيئة، وكان في حرز من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب فضل التسبيح برقم ٦٤٠٥، ومسلم في كتاب الذكر ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء برقم ٢٦٩١.

عمل أكثر من عمله »[1] أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين ، وهذا يدل على أن من زاد فلا بأس ، أو يذكر الله مائتين أو ألف مرة كله خير له مزيد من الأجر والخير ، المقصود أن التسبيح لا حد له ، والذكر لا حد له يكثر من ذكر الله وتسبيحه في اليوم والليلة ما يسر الله له[2]. انتهى

فضل الاستغفار

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ آل عمران : ١٣٥ - ١٣٦ .

وأخرج البخاري رقم ٧٠٦٨ ومسلم في التوبة باب قبول التوبة من الذنوب رقم ٢٧٥٨ عن أبي هريرة قال سمعت النبي ﷺ قال : " إن عبداً أصاب ذنباً وربما قال أذنب ذنبًا فقال رب أذنبت وربما قال أصبت فاغفر لي فقال ربه أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده برقم ٣٢٩٣ ، ومسلم في كتاب الذكر ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء برقم ٢٦٩١.

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله (٢٦ / ٩١).

الله ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً فقال رب أذنبت - أو أصبت - آخر فاغفره ، فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا وربما قال: أصاب ذنبا قال : قال: رب أصبت - أو قال أذنبت - آخر فاغفره لي فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء " .

وفي سنن ابن ماجه بسند جيد عن النبي ﷺ أنه قال: "طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا " .

بالاستغفار يدفع العذاب؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال:٣٣).

وبالاستغفار يغفر الله السيئات ففي الحديث القدسي يقول الله تعالى: "يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم"(١).

وفي الحديث: "قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك" .

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم، حديث (٢٥٧٧).

وعن زيد مولى رسول الله ﷺ قال: " من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه. غفر له وإن كان فرّ من الزحف [1] " .

بالاستغفار تتنزل الرحمات: ﴿لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النمل:٤٦).

وبالاستغفار تحقق الرغبات وتعطى الحاجات ؛ اسمعوا إلى مناشدة نوح عليه السلام قومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح:١٠-١٢).

وقال عن هود عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ (هود:٥٢).

مواطن للاستغفار

قال الشيخ صالح الفوزان : الاستغفار مشروع في كل وقت، وهناك أوقات وأحوال مخصوصة يكون للاستغفار فيها مزيد فضل، فيستحب الاستغفار بعد الفراغ من أداء العبادات؛ ليكون كفارة لما يقع فيها من خلل أو تقصير، كما شرع بعد الفراغ من الصلوات الخمس، فقد كان النبي إذا سلم من الصلاة

(١) رواه أبو داود والترمذي وجوّد إسناده المنذري في الترغيب.

المفروضة يستغفر الله ثلاثا؛ لأن العبد عرضة لأن يقع منه نقص في صلاته بسبب غفلة أو سهو.

كما شرع الاستغفار في ختام صلاة الليل، قال تعالى عن المتقين: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون﴾ (الذاريات:١٧-١٨). وقال تعالى: ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾.

وشرع الاستغفار بعد الإفاضة من عرفة والفراغ من الوقوف بها قال تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾ (البقرة:١٩٩).

وشرع الاستغفار في ختم المجالس حيث أمر النبي ﷺ عندما يقوم الإنسان من المجلس أن يقول: " سبحانك اللّهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك " ، فإن كان مجلس خير كان كالطابع عليه، وإن كان غير ذلك كان كفارة له.

وشرع الاستغفار في ختام العمر، وفي حالة الكبر، فقد قال الله تعالى لنبيه عند اقتراب أجله: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾ (سورة النصر).

فقد جعل الله فتح مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجا، علامة على قرب نهاية أجل النبي ، وأمره عند ذلك بالاستغفار، فينبغي لكم أيها المسلمون ملازمة الاستغفار في كل وقت، والإكثار منه في هذه الأوقات والأحوال

المذكورة، لتحوزوا هذه الفضائل، وتنالوا هذه الخيرات، فقد كان نبينا يكثر من الاستغفار.

صيغ الاستغفار

هناك ألفاظ للاستغفار وردت عن النبي ينبغي للمسلم أن يقولها، منها: قوله : " رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم "، وقوله: "أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه "، وقال : " سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللّٰهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة. ومن قالها من الليل وهو موقن به فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة " رواه البخاري.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾ ، إلى قوله: ﴿ونعم أجر العاملين﴾ (آل عمران:١٣٣-١٣٦).

إحسان الظن بالله

روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: " أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي وَاللَّهِ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ

أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ".

وروى مسلم عَنْ أَبِي أَيُّوبَ أَنَّهُ قَالَ حِينَ **حضرته** الْوَفَاةُ كُنْتُ كَتَمْتُ عَنْكُمْ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ يَغْفِرُ لَهُمْ".

وروى مسلم عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لَوْ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ ذُنُوبٌ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَكُمْ لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ لَهُمْ ذُنُوبٌ يَغْفِرُهَا لَهُمْ".

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ".

وعن أنس قال :قال رسول الله ﷺ: "كل بني آدم خطاء . وخير الخطائين التوابون (١)".

وروى مسلم (٢٧٤٧) عن أنس بن مالك قال :قال رسول الله ﷺ: لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٤٢٥١ والدارمي ٢٧٢٧ وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم : ٤٥١٥.

فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللّهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح .

وروى الترمذي(٣٥٤٠) عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة .

صلاة التوبة

وَهِي رَكْعَتَانِ، ويشرع للتائب أَن يُصليهَا مُنْفَردا، لِأَنَّهَا من النَّوَافِل الَّتِي لَا تشرع لَهَا صَلَاة الْجَمَاعَة، وَينْدب لَهَا بعْدهَا أَن يسْتَغْفر الله تَعَالَى، ويستدل لها بما ثَبت عَن أَمِير الْمُؤمنِينَ عَليّ ابْن أبي طَالب رَضِي الله عَنهُ- قَالَ: "كنت إِذا سَمِعت من رَسُول الله ﷺ حَدِيثا نَفَعَنِي الله مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَن يَنْفَعنِي، وَإِذا حَدثنِي أحد من الصَّحَابَة اسْتَحْلَفته فَإِذا حلف لي صدقته، قَالَ: وحَدثني أَبُو بكر وَصدق أَبُو بكر- رَضِي الله عَنهُ- أَنه قَالَ: "سَمِعت رَسُول الله ﷺ يَقُول: " مَا من عبد يُذنب ذَنبا فيُحسِنُ الطّهُور ثمَّ يقوم فَيصَلي رَكْعَتَيْنِ ثمَّ

يسْتَغْفر الله إِلَّا غفر الله لَهُ " ثمَّ قَرَأَ هَذِه الْآيَة ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ (آل عمرَان: ١٣٥) إِلَى آخر الْآيَة[١].

وَمِمَّا يشْهد لصِحَّة هَذَا الحَدِيث مَا رَوَاهُ مُسلم فِي صَحِيحه عَن أَمِير الْمُؤمنِينَ عمر بن الْخطاب- رَضِي الله عَنهُ- عَن النَّبِي ﷺ قَالَ: "مَا مِنْكُم من أحد يتَوَضَّأ فَيبلغ- أَو فيسبغ- الْوضُوء، ثمَّ يَقُول: أشهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ، وَأشْهد أنّ مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله، إِلَّا فتحت لَهُ أَبْوَاب الْجنَّة الثَّمَانِية، يدْخل من أَيهَا شَاءَ[٢]".

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَن أَمِير الْمُؤمنِينَ عُثْمَان بن عَفَّان رَضِي الله عَنهُ أَنه تَوَضَّأ لَهُم وضوء النَّبِي ﷺ ثمَّ قَالَ: سَمِعت رَسُول الله يَقُول: "من تَوَضَّأ نَحْو وضوئي هَذَا ثمَّ صلى رَكْعَتَيْنِ لَا يحدث فيهمَا نَفسه غفر لَهُ مَا تقدم من ذَنبه[٣]".

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد(٤٧) والْحميدِي فِي مُسْنده رقم (١، ٤)، وَأَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ فِي مُسْنده ص (٢، ٣)، وَأَبُو دَاوُد فِي سنَنه رقم (١٥٢١)، وَالتِّرْمِذِيّ فِي سنَنه رقم (٤٠٦)، وَالنَّسَائِيّ فِي تَفْسِيره ١/ ٣٣٠، رقم (٩٨)، وَفِي سنَنه الْكُبْرَى، وَابْن مَاجَه حَدِيث (١٢٩٥).

(٢) صَحِيح مُسلم حَدِيث (٢٣٤).

(٣) صَحِيح البُخَارِيّ (فتح الْبَارِي ١/ ٢٦٦، حَدِيث ١٦٤، وصحيح مُسلم حَدِيث (٢٢٦).

قَالَ ابْن الْعَرَبِيّ عِنْد كَلَامه على حَدِيث أبي بكر فِي صَلَاة التَّوْبَة، قَالَ: "وَفِيه اسْتِيفَاء وُجُوه الطَّاعَة فِي التَّوْبَة، لِأَنَّهُ نَدم فطهر بَاطِنه، ثمَّ تَوَضَّأ، ثمَّ صلى، ثمَّ اسْتغْفر "[1].

وَقَالَ الشَّيْخ عبد الرَّحْمَن بن قَاسم رَحمَه الله عِنْد شَرحه لحَدِيث أبي بكر أَيْضا، قَالَ: "وَفِيه اسْتِيفَاء، وُجُوه الطَّاعَة فِي التَّوْبَة، لِأَنَّهُ نَدم، فَتطهر، ثمَّ صلى، ثمَّ اسْتغْفر، وَإِذا أَتَى بذلك على أكمل الْوُجُوه غفر الله لَهُ بوعده الصَّادِق "[2].

متى تنقطع التوبة؟

تنقطع توبة كل عبد خاصة إذا وصلت الروح الحلقوم عند موته وهي ساعة الغرغرة، روى الترمذي(٣٥٣٧) وغيره عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر [3]".

وتنقطع التوبة للناس كافة إذا طلعت الشمس من مغربها، فقد روى أبو داود(٢٤٧٩) وغيره عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله

---

(١) عارضة الأحوذي ٢/١٩٧.

(٢) الإحكام شرح أصُول الْأَحْكَام ١/٢٢١.

(٣) أخرجه: ابن ماجه (٢٢٦)، والترمذي (٣٥٣٥)، والنسائي ١/٨٣ -٩٨.

ﷺ يقول: " لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها " .

وروى مسلم (٢٧٥٩) عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا.

التحذير من صغائر الذنوب قبل كبارها.

وقد قال العلماء أن الصغائر تصير كبائر بخمسة أشياء هي:

١ - الإصرار على الذنب .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها[١] " .

*****

(١) أخرجه البخاري (٦١١٨)(٣٢٤٤) ومسلم رقم(٢٢٨٤).

٢ – الفرح بالذنب .

والفرح بالذنب عياذاً بالله معصية كبيرة ،وهذا قارون لما فرح بما هو عليه من كثرة المال وبخل بحق الله تعالى قال الله عنه ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ . وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ . قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ . فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ . فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ . وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا

يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ . تِلْكَ الدَّارُ الآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ القصص (٧٦ – ٨٣).

٣ – التهاون بالذنب .

كحال هؤلاء الذين تكلموا في حق الصحابة فأنزل الله تعالى قوله ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ. لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (التوبة:٦٥ –٦٦).

وروى البخاري وأحمد عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ الشَّعَرِ إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ الْمُوبِقَاتِ.
قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ: يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ.

وروى البخاري ومسلم والترمذي وأحمد عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال :إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا .

وقال بلال بن سعد : لا تنظر إلى صغر الخطيئة ،ولكن انظر إلى عظمة من عصيت .

٤ – المجاهرة بالذنب .

في الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : "كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ[١]" .

٥ – أن تخرج الصغيرة من عالم أو ممن يقتدى به.

أخرج مسلم (١٠١٧) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ.

وأخرج مسلم(٢٦٧٤) والدارمي(٥١٣) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ– قَالَ :« مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ لاَ

(١) أخرجه البخاري (٥٧٢١) مسلم رقم(٢٩٩٠).

يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنِ اتَّبَعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً ».

وروى مسلم (١٦٧٧) عن عبد الله قال :قال رسول الله ﷺ : " لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل " .

شروط التوبة

قال النووي في رياض الصالحين (ص ٢١-٢٢):

قال العلماء: التوبة واجبةٌ من كل ذنبٍ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدميٍ؛ فلها ثلاثة شروطٍ: أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدميٍ فشروطها أربعةٌ: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها؛ فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذفٍ ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبةً استحله منها. ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي. انتهى

صور لتوبة بعض التائبين

عن أبي سعيدٍ سعد بن مالك بن سنانٍ الخدري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعةً وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهبٍ، فأتاه فقال: إنه قتل تسعةً وتسعين نفساً، فهل له من توبةٍ ؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائةً، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجلٍ عالمٍ فقال: إنه قتل مائة نفسٍ فهل له من توبةٍ ؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوءٍ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملكٌ في صورة آدميٍ فجعلوه بينهم – أي حكماً – فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة. متفقٌ عليه.

وفي روايةٍ في الصحيح: فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبرٍ، فجعل من أهلها، وفي رواية في الصحيح: فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي، وإلى

هذه أن تقربي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبرٍ فغفر له، وفي روايةٍ: فنأى بصدره نحوها.

قصة المرأة الجهنية

وعن أبي نجيدٍ - بضم النون وفتح الجيم - عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنهما أن امرأةً من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهي حبلى من الزنا، فقالت: يا رسول الله أصبت حداً فأقمه علي، فدعا نبي الله ﷺ وليها فقال: أحسن إليها، فإذا وضعت فأئتني، ففعل فأمر بها نبي الله ﷺ ، فشدت عليها ثيابها؟ ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها. فقال له عمر: تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت؟ قال: لقد تابت توبةً لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل؟!

رواه مسلم.

موانع قبول التوبة

١، ٢ - الشرك والتشاحن:

فعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ[1] .

---

(١) أخرجه ابن ماجه وأحمد وقال شعيب الأرناؤوط : صحيح بشواهده.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا إلا امرؤ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول اتركوا هذين حتى يصطلحا[1].

وفي رواية لمسلم أن رسول الله ﷺ قال: تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجل كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا.

٣ – البدعة .

إن من شؤم البدعة على صاحبها أنه لا يتوب منها بمعنى أنه قلما يتوب لأن الشيطان زين له بدعته فنظر إليها على أنها طاعة وقربة، ولم ينظر إليها على أنها معصية. ومن كانت هذه حاله فقل أن يتوب إلا من يتداركه الله برحمته. وعلى هذا المعنى تحمل الأحاديث والآثار الواردة في هذا الباب. من ذلك ما أخرجه ابن أبي عاصم بسنده عن أنس رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه مالك ومسلم واللفظ له وأبو داود والترمذي وابن ماجه بنحوه.

« إن الله حجز – أو قال حجب – التوبة عن كل صاحب بدعة » [1].

وقال سفيان الثوري : إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها [2].

٤ – عدم التحلل من حقوق العباد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه. رواه البخاري.

وأخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أتدرون من المفلس؟ قالوا :المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا

---

(١) أخرجه : البيهقي في شعب الإيمان (٩١٣٧) وابن أبي عاصم في كتاب السنة ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة . محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ، ١ / ١٢ . قال الشيخ الألباني : حديث صحيح بشواهده.

(٢) البيهقي في شعب الإيمان (٩١٣٥).

من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار.

حال المؤمن التائب إلى الله

يجمع بين الخوف والرجاء، الخوف ألا يتاب عليه وألا يقبل منه، والرجاء في مغفرة الله ورحمته، وعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال : لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات[١].

وقال الحسن :إن المؤمن جمع إحساناً وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمناً.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اطْحَنُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ

(١) أخرجه الترمذي(٣١٧٥) وابن ماجه (٤١٩٨).

ذَلِكَ فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ فَفَعَلَتْ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ فَغَفَرَ لَهُ(١).

أما الرجاء حتى لا ييأس من رحمة الله عز وجل قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣).

والله من وراء القصد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)(٧٠٦٧) ومسلم رقم (٢٧٥٦).

روائع الكلمات

بشرح حديث

" لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ "

أعده

أبو عاصم البركاتي المصري

متن الحديث

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ؛ قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ؛ وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؛ فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ؛ فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحَيْ الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ؛ فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ: فَإِنِّي أَرَى شَيْئًا مِنْ هَذَا عَلَى امْرَأَتِكَ الْآنَ؛ قَالَ: اذْهَبِي فَانْظُرِي قَالَ: فَدَخَلَتْ عَلَى امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا فَجَاءَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا فَقَالَ: أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نُجَامِعْهَا.

تخريج الحديث: أخرجه البخاري في "صحيحه" فتح الباري (٨/ ٦٣٠)، كتاب التفسير، حديث رقم (٤٨٨٦) . ومسلم في "صحيحه" شرح النووي (١٤/ ١٠٥ – ١٠٧) كتاب اللباس والزينة.

معاني المفردات:

لعن: اللعن هو الطرد والأبعاد من الْخَيْر فَهُوَ مَلْعُون؛ والجمع ملاعين؛ وَرجل لعين وَامْرَأَة لعين. [1]

الواشمات والمستوشمات: الوشم: أن يُغرز الجلد بإبرة، ثم يحشى بكحل أو نيل، فيزرق أثره، أو يخضر. [2]

- المتنمصات: النامصة: التي تنتف الشعر من وجهها، والمتنمصة: التي تأمر من يفعل بها ذلك. [3]

- المتفلجات: الفلج: فرجة ما بين الثنايا والرباعيات، والمتفلجات: النساء اللاتي يفعلن ذلك بأسنانهن رغبة في التحسين. [4]

- لم نجامعها: نطلقها ولم نصاحبها.

صحابي الحديث:

عبد الله بن مسعود بن غافل الصحابي القارئ الملقَن، والغلام المعلَم، والفقيه المفهَم، كنيته أبو عبد الرحمن، وأم عبد الله بن مسعود هي أم عبد بنت عبد ود

---

(١) المعجم الوسيط (٢/٨٢٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٨٩) .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١١٩) .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٤٦٨) .

أسلمت ولها صحبة. وكان صاحب سر رسول الله ﷺ وسواكه وسواده ونعله وطهوره وكان رجلاً نحيفًا قصيراً شديد الأدمة، ومات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين فدفن بالبقيع، وكان يوم توفي فيما قيل: ابن بضع وستين سنة، كان إسلامه قديماً في أول الإسلام في حين أسلم سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب قبل إسلام عمر بزمان، وكان سبب إسلامه أنه كان يرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط فمر به رسول الله ﷺ وأخذ شاة حائلاً من تلك الغنم فدرت عليه لبناً غزيراً.

فوائد الحديث

فائدة (١) : السنة وحي من الله لرسوله ﷺ، وحكم رسول الله هو حكم الله.

ودليله أن ابن مسعود رضي الله عنه صدر كلامه بقوله: "لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ" ثم قوله رضي الله عنه " وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ " وليس هذا في كتاب الله وإنما هو من كلام رسول الله ﷺ ؛ وبذلك يؤكد ابن مسعود رضي الله عنه على أن السنة هي وحي من الله تعالى لرسوله ﷺ.

ومن الأدلة على ذلك : قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: ٣ – ٤).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأنعام:٥٠)

وقوله سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل:٤٤)

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩).

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ (آل عمران : ٣٢) .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر : ٧)

وقوله تعالى:﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ (المائدة : ٩٢) .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء : ٥٩).

ويقول تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران : ٣١)

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء : ٦٥) .

وروى أبو داود وأحمد عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوه أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنْ السَّبُعِ وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ" .

فائدة (٢) : شدة اتباع ابن مسعود رضي الله عنه لرسول الله ﷺ وجهاده للبدع وأصحابها وتقريره للسنة وتعظيمها.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إنها ستكون أمور مشتبهات، فعليكم بالتؤدة، فإن الرجل يكون تابعاً في الخير، خير من أن يكون رأساً في الضلالة"[١] .

وقال ابن مسعود أيضاً: "إنكم أصبحتم على الفطرة، وإنكم ستحدثون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهدي الأول".[٢]

وقال أيضاً: "إياكم وما يحدث الناس من البدع، فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرّة، ولكن الشيطان يحدث له بدعاً، حتى يخرج الإيمان من قلبه، ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في الصلاة والصيام والحلال والحرام، ويتكلمون في ربهم عز وجل، فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب"،

---

(١) "الإبانة الكبرى " لابن بطة (١٨٤ ، ١٨٥).

(٢) "الإبانة" لابن بطة (١٨٨) و"السنة" لمحمد بن نصر (٦٥).

قيل: يا أبا عبد الرحمن، فإلى أين؟ قال: إلى لا أين، قال: يهرب بقلبه ودينه، لا يجالس أحداً من أهل البدع.[1]

وعنه أيضاً قال: "اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة"[2]

وقال أيضاً: « إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وإنما توعدون لآت، وما أنتم بمعجزين »[3] .

وعن عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بن عمرو بن سلمة الهمداني قَالَ سَمِعْتُ أَبِى يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَبْلَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِىُّ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُوعَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ؟ قُلْنَا: لاَ، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعاً، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ إِنِّي رَأَيْتُ فِى الْمَسْجِدِ آنِفاً أَمْراً

---

(١) "اعتقاد أهل السنة" للالكائي (١٩٦).

(٢) أخرجه : الطبراني في "الكبير" (٨٦٨٢) والدارمي في "السنن" (٢٠٥) وابن بطة في "الإبانة" (١٨٢، ١٨٣).

(٣) رواه البخاري (٧٢٧٧) والدرامي (٢٠٧).

أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلاَّ خَيْراً. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ - قَالَ - رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْماً حِلَقاً جُلُوساً يَنْتَظِرُونَ الصَّلاَةَ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِى أَيْدِيهِمْ حَصًى فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً. قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئاً انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتِظَارَ أَمْرِكَ. قَالَ: أَفَلاَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ. ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شيء، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ، هَؤُلاَءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ -ﷺ- مُتَوَافِرُونَ وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ ، وَالَّذِي نَفْسِي فِى يَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِي أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَتِحِي بَابِ ضَلاَلَةٍ. قَالُوا : وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلاَّ الْخَيْرَ. قَالَ : وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْماً يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَأَيْمُ اللَّهِ مَا أَدْرِى لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ. ثُمَّ

تَوَلَّى عَنْهُمْ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلِمَةَ : رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ. [1]

فائدة (٣) : أدب المرأة مع ابن مسعود رضي الله عنه وذلك حينما جاءته مستفهمة ولم تسارع إلى تغليطه أو تخطئته.

وهذا هو الواجب مع العلماء والمشايخ فلا ينبغي المسارعة إلى تغليطهم إذا أشكل علينا بعض كلامهم بل نأتيهم متعلمين مستفهمين.

قال طاووس بن كيسان: "من السنَّة أن يوقَّر العالِم "[2]

وقال عامرٌ الشَّعبي: أمسَك ابنُ عباسٍ بركاب زيد بن ثابتٍ، فقال: "أتمسِك لي وأنت ابن عم رسول الله ﷺ؟، قال: "إنَّا هكذا نصنع بالعلماء"[3] .

ولنا أسوة حسنة في رسول الله موسى عليه السلام حينما قال للعبد الصالح : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (الكهف:٦٦).

---

(١) أخرجه : الدارمي (٢١٠) وصححه الألباني في" السلسلة الصحيحة" (٢٠٠٥).

(٢) جامع بيان العلم – لابن عبد البر (١ / ٥١٩).

(٣) "الجامع لأخلاق الراوي" للخطيب البغدادي(١ /١٠٨).

فائدة (٤): قال ابن حجر العسقلاني: أُمُّ يَعْقُوبَ الْمَذْكُورَةُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَا يُعْرَفُ اسْمُهَا وَهِيَ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ وَلَمْ أَقِفْ لَهَا عَلَى تَرْجَمَة ومراجعتها بن مَسْعُودٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهَا إِدْرَاكًا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلم بِالصَّوَابِ.[1]

فائدة (٥): ابن مسعود رضي الله عنه يعلمنا أصول الاستدلال على الأحكام في الإسلام.

وأصول الأحكام لدى أهل السنة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما تفرع عنهما من إجماع أو قياس معتبر ؛ وانظروا إلى فعل الشافعي رحمه الله ودقة فهمه واستنباطه للأحكام؛ فقد ورد في السنن الكبرى للبيهقي (٥ /٣٤٧) برقم (١٠٠٥٥) بسنده إلى عُبَيْد اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ الْفِرْيَابِيُّ ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ بِمَكَّةَ، يَقُولُ: " سَلُونِي مَا شِئْتُمْ أُجِبْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ"، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَصْلَحَكَ اللهُ مَا تَقُولُ فِي الْمُحْرِمِ يَقْتُلُ زُنْبُورًا؟ ، قَالَ: " نَعَمْ ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (الحشر: ٧)" وحَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ رِبْعِيٍّ ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ "

---

(١) فتح الباري (٨/ ٦٣٠).

وَحَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ مِسْعَرٍ ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ " أَنَّهُ أَمَرَ الْمُحْرِمَ بِقَتْلِ الزُّنْبُورِ "

ورد في "تفسير القرطبي" (١٨/ ص١٧):

قال علماؤنا: وهذا جواب في نهاية الحسن، أفتى بجواز قتل الزنبور في الإحرام، وبين أنه يقتدي فيه بعمر، وأن النبي ﷺ أمر بالاقتداء به، وأن الله سبحانه أمر بقبول ما يقوله النبي ﷺ، فجواز قتله مستنبط من الكتاب والسنة.

فائدة(٦) : ذهب ابن حجر العسقلاني كما في "الفتح" (١٠ /٣٧٣) إلى: جَوَازِ نِسْبَةِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الِاسْتِنْبَاطُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ نِسْبَةً قَوْلِيَّةً فَكَمَا جَازَ نِسْبَةُ لَعْنِ الْوَاشِمَةِ إِلَى كَوْنِهِ فِي الْقُرْآنِ لِعُمُومِ قَوْله تَعَالَى ﴿وَمَا آتَاكُم الرَّسُول فَخُذُوهُ﴾ مَعَ ثُبُوتِ لَعْنِهِ ﷺ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ يَجُوزُ نِسْبَةُ مَنْ فَعَلَ أَمْرًا يَنْدَرِجُ فِي عُمُومِ خَبَرٍ نَبَوِيٍّ مَا يَدُلُّ عَلَى مَنْعِهِ إِلَى الْقُرْآنِ فَيَقُولُ الْقَائِلُ مَثَلًا لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ فِي الْقُرْآنِ وَيُسْتَنَدُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ ﷺ لَعَنَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ.

******

فائدة (٧): التحذير من أسباب اللعن والعياذ بالله.

وكل ذنب ختم بلعن أو ترتب عليه لعن فهو من الكبائر؛ لذا يجب الحذر من أسباب اللعن؛ فقد ورد في الكتاب والسنة ذنوب وأوزار ترتب عليها اللعن؛

قال تعالى : ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٨٩).

وقوله تعالى :﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (هود: ١٨ – ١٩).

وقوله تعالى في شأن قوم فرعون : ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً ﴾ (هود: ٩٩).

وقوله ﷺ لَعَنَ اللَّهِ السَّارِقُ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ، فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ، فَتُقْطَعُ يَدُهُ"(١)

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: "لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ". [مسلم (١٥٩٨)].

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ" [البخاري (٥٨٨٥)].

---

(١) البخاري(٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرفعه " : لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ " [مسلم (١٩٧٨)]

وقوله اللَّهِ ﷺ : "لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ انْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ " متفق عليه.

وثمة ذنوب أخرى تجر على صاحبها اللعنة والعياذ بالله وليس المقام هٰهنا محل بحث واستقصاء.

فائدة(٨): التحذير من لعن من لا يستحق اللعن.

فقد نهى النبي ﷺ عن لعن المعين بل نهى عن لعن الدواب والبهائم ؛ وفي الحديث عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رضي الله عنها، قَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا، صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالاً، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا، رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلاً، وَإِلاَّ رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا " [١].

---

(١) أبو داود (٤٩٠٥)، وحسنه الألباني رحمه الله في " صحيح الجامع " (١٦٧٢).

وقال الإمام النووي: اعلم أنَّ لعن المسلم المصون حرامٌ بإجماع العلماء.[1]

وقال ابن تيمية: الإجماع منعقدٌ على تحريم لعنة المعيَّن من أهل الفضل.[2]

قال الإمام النووي- رحمه الله- في شرحه لصحيح مسلم:

قوله ﷺ لا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُون لَعَّانًا، وَلا يَكُون اللَّعَّانُونَ شُهَدَاء وَلا شُفَعَاء يَوْم الْقِيَامَة " فِيهِ الزَّجْر عَنْ اللَّعْن، وَأَنَّ مَنْ تَخَلَّقَ بِهِ لا يَكُون فِيهِ هَذِهِ الصِّفَات الْجَمِيلَة، لأَنَّ اللَّعْنَة فِي الدُّعَاء يُرَاد بِهَا الإِبْعَاد مِنْ رَحْمَة اللَّه تَعَالَى، وَلَيْسَ الدُّعَاء بِهَذَا مِنْ أَخْلاَق الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ اللَّه تَعَالَى بِالرَّحْمَةِ بَيْنهمْ وَالتَّعَاوُن عَلَى الْبِرّ وَالتَّقْوَى، وَجَعَلَهُمْ كَالْبُنْيَانِ يَشُدّ بَعْضه بَعْضًا، وَكَالْجَسَدِ الْوَاحِد، وَأَنَّ الْمُؤْمِن يُحِبّ لأَخِيهِ مَا يُحِبّ لِنَفْسِهِ، فَمَنْ دَعَا عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِم بِاللَّعْنَةِ، وَهِيَ الإِبْعَاد مِنْ رَحْمَة اللَّه تَعَالَى. فَهُوَ مِنْ نِهَايَة الْمُقَاطَعَة وَالتَّدَابُر، وَهَذَا غَايَة مَا يَوَدّهُ الْمُسْلِم لِلْكَافِرِ، وَيَدْعُو عَلَيْهِ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيث الصَّحِيح: " لَعْن الْمُؤْمِن كَقَتْلِهِ " لأَنَّ الْقَاتِل يَقْطَعهُ عَنْ مَنَافِع الدُّنْيَا، وَهَذَا يَقْطَعهُ عَنْ نَعِيم الآخِرَة وَرَحْمَة اللَّه تَعَالَى. وَقِيلَ: مَعْنَى " لَعْن الْمُؤْمِن كَقَتْلِهِ " فِي الإِثْم، وَهَذَا أَظْهَر " انتهى.

---

(١) "الأذكار" للنووي (ص: ٥٠٦).

(٢) مجموع الفتاوى" لابن تيمية (١٥٨/٢٠).

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ " :لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الفَاحِشِ وَلاَ البَذِيءِ.[1]

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [2].

فائدة (٩): على الداعية أن يبدأ بنفسه، ويلتزم بما يدعو الناس إليه.

ظهر ذلك من ابن مسعود رضي الله عنه حين: قَالَتْ الْمَرْأَةُ فَإِنِّي أَرَى شَيْئًا مِنْ هَذَا عَلَى امْرَأَتِكَ الْآنَ قَالَ اذْهَبِي فَانْظُرِي قَالَ فَدَخَلَتْ عَلَى امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا فَجَاءَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا فَقَالَ أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نُجَامِعْهَا.

قال الله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة .

وقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف .

---

(١) أحمد (٣٩٤٨) والبخاري في " الأدب المفرد (٣١٢)، والترمذي(١٩٧٧) .

(٢) مسلم (٢٥٨٩)، وأحمد في "المسند" (٢٧٥٦٩)، والبخاري في " الأدب المفرد (٣١٦) وأبو داود (٤٩٠٧).

وقول الله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾

وقد ذم الله تعالى أقواما تعلموا العلم ولم يعملوا به ، فقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الجمعة: ٥)؛ قال المفسرون : ﴿ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ﴾ هم بنو إسرائيل الأحبار المعاصرون لرسول الله ﷺ، و﴿حملوا﴾ معناه: كلفوا القيام بأوامرها ونواهيها، فهذا كمال حمل الإنسان الأمانة، وليس ذلك من الحمل على الظهر، وإن كان مشتقاً منه ، وذكر تعالى أنهم ﴿لم يحملوها ﴾، أي لم يطيعوا أمرها، ويقفوا عند حدها حين كذبوا بمحمد عليه الصلاة والسلام، و﴿التوراة﴾ تنطق بنبوته ، فكان كل حبر لم ينتفع بها حمل كمثل حمار عليه أسفار.

وقال الحسن البصري – رحمه الله –: " العالم الذي وافق علمه عمله، ومن خالف علمه عمله فذلك راوية سمع شيئاً فقاله" .

وقال الثوري: "العلماء إذا علموا عملوا ، فإذا عملوا شُغِلوا " .

****

فائدة(١٠): تحريم الوشم في أي موضع من مواضع البدن.

وهو مستفاد من الحديث من قوله ﷺ: " لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ"؛ وفي الصحيحين أيضا عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ «لَعَنَ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ».

قال السيوطي في "الديباج على صحيح مسلم" (٥ / ١٦٠): والواشمة هِيَ فاعلة الوشم بالشين الْمُعْجَمَة وَهِي أَن تغرز إبرة وَنَحْوهَا فِي شَيْء من بدن الْمَرْأَة حَتَّى يسيل الدَّم ثمَّ تحشو ذَلِك الْموضع بكحل أَو نورة فيخضر والمستوشمة هِيَ الَّتِي تطلب فعل ذَلِك بهَا.

وقال النووي في "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"(١٤ /١٠٦) عن الوشم : هوَ حَرَامٌ عَلَى الْفَاعِلَةِ وَالْمَفْعُولِ بِهَا بِاخْتِيَارِهَا وَالطَّالِبَةِ لَهُ وَقَدْ يُفْعَلُ بِالْبِنْتِ وَهِيَ طِفْلَةٌ فَتَأْثَمُ الفاعلة ولا تأثم الْبِنْتُ لِعَدَمِ تَكْلِيفِهَا حِينَئِذٍ قَالَ أَصْحَابُنَا هَذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي وُشِمَ يَصِيرُ نَجِسًا فَإِنْ أَمْكَنَ إِزَالَتُهُ بِالْعِلَاجِ وَجَبَتْ إِزَالَتُهُ وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ الا بالجرح فَإِنْ خَافَ مِنْهُ التَّلَفَ أَوْ فَوَاتَ عُضْوٍ أو منفعة عُضْوٍ أَوْ شَيْئًا فَاحِشًا فِي عُضْوٍ ظَاهِرٍ لَمْ تَجِبْ إِزَالَتُهُ فَإِذَا بَانَ لَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ إِثْمٌ وَإِنْ لَمْ يَخَفْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَنَحْوِهِ لَزِمَهُ إِزَالَتُهُ وَيَعْصِي بِتَأْخِيرِهِ وَسَوَاءٌ فِي هَذَا كُلِّهِ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فائدة (١١) : تحريم النمص.

والنامصات جمع متنمصة؛ والمتنمصات بتقديم التاء على النون وروى بتقديم النون على التاء التي تطلب إزالة شعر الوجه والحواجب بالمنماص وهو حديدة يؤخذ بها الشعر.

وقال أبو داود "صاحب السنن" رحمه الله في سننه (٤ / ٧٨): "والنامصة التي تنقش الحاجب حتى ترقه" .

قال ابن الأثير في "جامع الأصول" (٤ /٧٧٩) :

النمص ترقيق الحواجب وتدقيقها طلباً لتحسينها، والنامصة التي تصنع ذلك بالمرأة، والمتنمصة التي تأمر من يفعل ذلك بها، والمنماص المنقاش. اهـ

ونقل الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (١٠/ ٣٧٧) عن الطبري قوله : "لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها، بزيادة أو نقص التماس الحسن، لا للزوج ولا لغيره كمن تكون مقرونة الحاجبين فتزيل ما بينهما، توهم البلج، وعكسه".

وقد خص بعض أهل العلم التحريم إذا كان من باب التدليس، أو إنه محمول على ذوات الريب وهن الفواجر، أما للزوج فيحمل النهي على التنزيه.

قال القرطبي:

وهذه الأمور كلها قد شهدت الأحاديث بلعن فاعلها وأنها من الكبائر، واختلف في المعنى الذي نهى لأجلها، فقيل : لأنها من باب التدليس، وقيل: من باب تغيير خلق الله تعالى كما قال ابن مسعود ، وهو أصح، وهو يتضمن المعنى الأول، ثم قيل: هذا المنهي عنه إنما هو فيما يكون باقيا؛ لأنه من باب تغيير خلق الله تعالى، فأما مالا يكون باقيا كالكحل والتزين به للنساء فقد أجاز العلماء ذلك . [1]

وفي الفروع لابن مفلح (١ /١٠٠) : وأباح ابن الجوزي النمص وحده، وحمل النهي على التدليس ، أو أنه كان شعار الفاجرات . وفي الغنية يجوز بطلب زوج. اهـ

والنمص منهي عنه عموما؛ وليس هو مما اختصت به الفاجرات؛ فلو كان النمص مما اختصت به الفاجرات ما تجرأت المرأة على أن تقول لابن مسعود : "فإني أرى أهلك يفعلونه" .

****

(١) تفسير القرطبي" (٥ / ٣٩٣).

أقوال بعض العلماء في حكم نمص الحاجبين:

قال الإمام النووي في "شرح مسلم"(١٤ /١٠٦):

وَأَمَّا النَّامِصَةُ بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ فَهِيَ الَّتِي تُزِيلُ الشَّعْرَ مِنَ الْوَجْهِ، وَالْمُتَنَمِّصَةُ الَّتِي تَطْلُبُ فِعْلَ ذلك بها، وهذا الفعل حرام إلا إذا نبتت للمرأة لحية أو شوارب فلا تحرم إزالتها بل يستحب عندنا، وقال بن جرير: لا يجوز حلق لحيتها ولا عنفقتها ولا شاربها ولا تغيير شيء من خلقتها بزيادة ولا نقص؛ وَمَذْهَبُنَا مَا قَدَّمْنَاهُ مِنِ اسْتِحْبَابِ إِزَالَةِ اللِّحْيَةِ وَالشَّارِبِ وَالْعَنْفَقَةِ وَأَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْحَوَاجِبِ وَمَا فِي أَطْرَافِ الْوَجْهِ . انتهى

وقال في "المجموع شرح المهذب" (٣/ ١٤١) بعد أن ذكر حديث ابن مسعود رضي الله عنه: وَالنَّامِصَةُ الَّتِي تَأْخُذُ مِنْ شَعْرِ الْحَاجِبِ وترققه ليصير حسنا والمنتمصة الَّتِي تَأْمُرُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهَا.

وقال ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري" (١٠ / ٣٧٨): "قَالُوا: وَيَجُوزُ الْحَفُّ وَالتَّحْمِيرُ وَالنَّقْشُ وَالتَّطْرِيفُ إِذَا كَانَ بِإِذْنِ الزَّوْجِ لِأَنَّهُ مِنَ الزِّينَةِ وَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ امْرَأَتِهِ أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ وَكَانَتْ شَابَّةً يُعْجِبُهَا الْجَمَالَ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ تَحُفُّ جَبِينَهَا لِزَوْجِهَا فَقَالَتْ أَمِيطِي

عَنْكِ الْأَذَى مَا اسْتَطَعْتِ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: يَجُوزُ التَّزَيُّنُ بِمَا ذُكِرَ إِلَّا الْحَفَ فَإِنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ النِّمَاصِ".

وقال القسطلاني في "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري": (المتنمصات) بضم الميم الأولى وكسر الثانية مشددة بينهما فوقية فنون والصاد مهملة جمع متنمصة الطالبة إزالة شعر وجهها بالنتف ونحوه وهو حرام إلا ما ينبت بلحية المرأة أو شاربها فلا بل يستحب.

وقال الماوردي الشافعي في "الحاوي الكبير" (٢ /٢٥٧) : فَأَمَّا النَّامِصَةُ، وَالْمُتَنَمِّصَةُ: فَهِيَ الَّتِي تَأْخُذُ الشَّعْرَ مِنْ حَوْلِ الْحَاجِبَيْنِ وَأَعَالِي الْجَبْهَةِ، وَالنَّهْيُ فِي هَذَا كُلِّهِ عَلَى مَعْنَى النَّهْيِ فِي الْوَاصِلَةِ، وَالْمُسْتَوْصِلَةِ.

ورأي ابن حجر الهيتمي في "الكبائر" بحرمة النمص مطلقًا ففي "الزواجر": "والواصلة التي تصل الشعر بشعرٍ آخر، والواشمة التي تفعل الوشم وهو معروفٌ، والنامصة التي تنقش الحاجب حتى ترقه كذا قال أبو داود، والأشهر ما قاله الخطابي وغيره أنه من النمص، وهو نتف شعر الوجه، والمتفلجة هي التي تفلج أسنانها بنحو مبردٍ للحسن، والمستوصلة والمتنمصة والمستوشمة المفعول بها ذلك.

وقال السيوطي: والنامصات بالصَّاد الْمُهْملَة الَّتِي تزيل الشّعْر من الْوَجْه وَالْمُتَنَمِّصَات الَّتِي تطلب فعل ذَلِك بهَا قَالَ النَّوَوِيّ: وَهَذَا الْفِعْل حرَام إِلَّا إِذا نبت للْمَرْأَة لحية أَو شوارب فَلَا يحرم إِزَالَتهَا بل يسْتَحبّ وَالنَّهْي خَاص بالحواجب وَمَا فِي أَطْرَاف الْوَجْه[1].

وجاء في كتاب "الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي" (٣ / ١٠٣) الذي كتبه ثلاثة من كبار الشافعية المعاصرين وهم الدكتور مُصطفى الخِنْ، والدكتور مُصطفى البُغا، والشيخ علي الشّرْبجي:

وهذه الثلاثة - الوشم، والنمص، والتفليج - حرام على الرجال والنساء، لا فرق بين الفاعل والمفعول به، ذلك لورود اللعن عليه، ولا يلعن إلا على فعل محرّم، بل على كبيرة من الكبائر.

ثم قالوا: ما يستثنى من تحريم ما سبق:

يستثنى من تحريم النمص، إزالة ما نبت في وجه المرأة، من لحية، وشارب، فلا يحرم إزالتهما، بل يستحب، لأن النهي إنما هو لما في الحواجب، وما في أطراف الوجه.

---

(١) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٥ / ١٦٢) بتحقيق شيخنا أبي إسحاق الحويني ؛ ط دار ابن عفان.

وكذلك إذا احتيج إليه لعلاج، أو عيب في السن، فلا بأس به، لأن المحرّم إنما هو المفعول لطلب الحسن، والتجميل، والتغيير لخلق الله عزّ وجلّ. انتهى.

الرد على من قال أن علة التحريم أنه كان من شعار الفاجرات:

وقد خص بعض أهل العلم التحريم إذا كان من باب التدليس، أو إنه محمول على ذوات الريب وهن الفواجر، أما للزوج فيحمل النهي على التنزيه.

وفي "الفروع" لابن مفلح (١ / ١٠٠) : وأباح ابن الجوزي النمص وحده، وحمل النهي على التدليس، أو أنه كان شعار الفاجرات . وفي الغنية يجوز بطلب زوج. اهـ

والجواب: أن النمص منهي عنه عموما بغير ما تعللوا به؛ وليس هو مما اختصت به الفاجرات؛ فلو كان النمص مما اختصت به الفاجرات ما تجرأت المرأة على أن تقول لابن مسعود : "فإني أرى أهلك يفعلونه".

قال القرطبي المفسر في تفسيره (٥ / ٣٩٣):

وهذه الأمور كلها قد شهدت الأحاديث بلعن فاعلها وأنها من الكبائر، واختلف في المعنى الذي نهى لأجلها، فقيل : لأنها من باب التدليس، وقيل: من باب تغيير خلق الله تعالى كما قال ابن مسعود ، وهو أصح، وهو يتضمن المعنى الأول، ثم قيل: هذا المنهي عنه إنما هو فيما يكون باقيا؛ لأنه من باب

تغيير خلق الله تعالى، فأما مالا يكون باقيا كالكحل والتزين به للنساء فقد أجاز العلماء ذلك .

ونقل الحافظ ابن حجر كما تقدم في "فتح الباري" (١٠/ ٣٧٧) عن الطبري قوله : " لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها، بزيادة أو نقص التماس الحسن، لا للزوج ولا لغيره كمن تكون مقرونة الحاجبين فتزيل ما بينهما، توهم البلج، وعكسه" .

التنمص بقصد التزين للزوج لا يجوز

ذهب بعض الشافعية إلى جواز النمص بقصد التزين للزوج؛ وذلك لكمال الإحصان؛ قال الخطيب الشربيني: وَالتَّنْمِيصُ: وَهُوَ الْأَخْذُ مِنْ شَعْرِ الْوَجْهِ وَالْحَاجِبِ لِلْحُسْنِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ التَّغْرِيرِ.

أَمَّا إذَا أَذِنَ لَهَا الزَّوْجُ أَوْ السَّيِّدُ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ؛ لِأَنَّ لَهُ غَرَضًا فِي تَزْيِينِهَا لَهُ وَقَدْ أَذِنَ لَهَا فِيهِ[١].

ولم أجد لهم مستندا في تجويزه بإذن الزوج؛ إلا أثر عائشة رضي الله عنها؛ ولا يصح فقد أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (٥١٠٤) (٣/ ١٤٦) وابن الجعد في المسند (٤٥١) عن امرأة أبي إسحاق أنها دخلت على عائشة رضي

---

(١) مغني المحتاج (١/ ٤٠٧).

الله عنها وكانت شابة يعجبها الجمال، فقالت: المرأة تحف جبينها لزوجها؟ فقالت: أميطي عنك الأذى ما استطعت.

وهو من رواية امرأة أبي إسحاق السبيعي واسمها العالية بنت أيفع بن شراحيل؛ وهي مجهولة أو على رسم المجهول؛ قال الدارقطني عن العالية: "مجهولة، لا يُحتَجُّ بها".

وقال ابن عبد البر في "التمهيد" (١٨/ ٢٠): "مجهولة". لكن ذكرها ابن حبان في "الثقات" (٥/ ٢٨٩).

وأخرجه أبو يوسف في "الآثار" برقم (١٠٤٧) عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَائِشَةَ به.

وإسناده منقطع لأن إبراهيم النخعي لم يسمع من عائشة رضي الله عنها.

قلت: وبفرض صحة الأثر فهو لا يقوى على معارضة خبر ابن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما.

فخبر ابن مسعود مرفوع وأثر عائشة موقوف.

وحديث ابن مسعود أقوى وأسند وأثر عائشة ضعيف.

وأثر عائشة فتوى أما حديث ابن مسعود فحكم عام.

فائدة (١٢): تحريم تفليج الأسنان. وهو مستفاد من قوله ﷺ في الحديث: "وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ".

والتفليج بَردُ الأسنان بالمِبْرد للتفريق بينها للحُسْن.

قال الفوزان: أما إذا كانت الأسنان فيها تشويه وتحتاج إلى عملية تعديل لإزالة هذا التشويه أو فيها تسوس واحتاجت إلى إصلاحها من أجل إزالة ذلك، فلا بأس لأن هذا من باب العلاج وإزالة التشويه ويكون ذلك على يد طبيبة مختصة.

فائدة(١٣): وَاسْتُدِلَّ بِالْحَدِيثِ عَلَى جَوَازِ لَعْنِ مَنِ اتَّصَفَ بِصِفَةٍ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ اتَّصَفَ بِهَا لِأَنَّهُ لَا يُطْلِقُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ[(١)].

فائدة (١٤) : تحريم تغيير خلق الله إلا بإذن شرعي.

من ذلك التغيير بالوشم أو النمص أو تفليج الأسنان أو وصل الشعر؛ لما في ذلك من طاعة للشيطان؛ فقد توعد بذلك كما حكى الله تعالى قوله : ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ (النساء ١١٩).

---

(١) فتح الباري (٨ / ٦٣١).

وأخرج أحمد وأبو داود عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: «لُعِنَتِ الْوَاصِلَةُ، وَالْمُسْتَوْصِلَةُ، وَالنَّامِصَةُ، وَالْمُتَنَمِّصَةُ، وَالْوَاشِمَةُ، وَالْمُسْتَوْشِمَةُ، مِنْ غَيْرِ دَاءٍ».

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: " وَتَفْسِيرُ الْوَاصِلَةِ: الَّتِي تَصِلُ الشَّعْرَ بِشَعْرِ النِّسَاءِ، وَالْمُسْتَوْصِلَةُ: الْمَعْمُولُ بِهَا، وَالنَّامِصَةُ: الَّتِي تَنْقُشُ الْحَاجِبَ حَتَّى تُرِقَّهُ، وَالْمُتَنَمِّصَةُ: الْمَعْمُولُ بِهَا، وَالْوَاشِمَةُ: الَّتِي تَجْعَلُ الْخِيلَانَ فِي وَجْهِهَا بِكُحْلٍ أَوْ مِدَادٍ، وَالْمُسْتَوْشِمَةُ: الْمَعْمُولُ بِهَا ". اهـ

وروى البخاري في صحيحه قال: حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا هِشَامٌ أَنَّهُ سَمِعَ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْمُنْذِرِ تَقُولُ سَمِعْتُ أَسْمَاءَ قَالَتْ: سَأَلَتْ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَتِي أَصَابَتْهَا الْحَصْبَةُ فَامَّرَقَ شَعَرُهَا وَإِنِّي زَوَّجْتُهَا أَفَأَصِلُ فِيهِ؛ فَقَالَ لَعَنَ اللَّهُ: "الْوَاصِلَةَ وَالْمَوْصُولَةَ".

وقال ابن سيرين لرجل سأله فقال: إن أمي كانت تمشط النساء أترى لي أن آكل من مالها وأرثه عنها فقال إن كانت لا تصل فلا بأس هذا من ورع ابن سيرين رحمه الله[1].

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (٧ / ٢١٩)

فائدة (١٥): يستفاد من الحديث أَنَّ الْمُعِينَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ يُشَارِكُ فاعلها فِي الْإِثْم. وذلك مستفاد من قول ابن مسعود " أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نُجَامِعْهَا" يعني لو أنها خالف أمر الله ورسوله لطلقتها ولم أشاركها في الإثم.

قَالَ النَّوَوِيُّ في شرح مسلم (١٤ /١٠٧): قَالَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ مَعْنَاهُ لَمْ نُصَاحِبْهَا وَلَمْ نَجْتَمِعْ نَحْنُ وَهِيَ بَلْ كُنَّا نُطَلِّقُهَا وَنُفَارِقُهَا قَالَ الْقَاضِي وَيُحْتَمَلُ أَنَّ معناه لم أطأها وهذا ضعيف والصحيح ما سبق فَيُحْتَجُّ بِهِ فِي أَنَّ مَنْ عِنْدَهُ امْرَأَةٌ مرتكبة معصية كالوصل أو ترك الصلاة أو غيرهما يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. انْتَهَى

هذا ما تيسر

والله من وراء القصد

فضل الصبر

أبو عاصم البركاتي المصري

الصبر : لغة الحبس

شرعا : حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن كل ما ينافي الصبر.

- وقيل هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به الإنسان الصابر عن فعل مالا يحسن ولا يجمل شرعا.

- وقيل بل هو ثبات القلب عند مورد الاضطراب.

التصبر.. هو استدعاء الصبر وتكلف الصبر.

اصطبر : تعلم الصبر واكتسابه.

الصبر فرض أمر الله به

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦).

وقال سبحانه: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (يونس: ١٠٩).

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (هود: ١١٥).

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ . إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (النحل: ١٢٦ - ١٢٨)

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾(الكهف)

وقال سبحانه :﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (لقمان)

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ . وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ (الطور)

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (المزمل)

وقال تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾(ص :١٧)

وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى)

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الأحقاف: ٣٥)

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت)

الصبر على البلاء كفارة للذنوب وزيادة في الأجر

فعَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ، قَالَتْ: عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَرِيضَةٌ، فَقَالَ: «أَبْشِرِي يَا أُمَّ الْعَلَاءِ، فَإِنَّ مَرَضَ الْمُسْلِمِ يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ خَطَايَاهُ، كَمَا تُذْهِبُ النَّارُ خَبَثَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»[1]

وأخرج البخاري في "الأدب المفرد" وكذا أخرجه مسلم عن جابر رضي الله عنه قَالَ: دَخل النَّبِيُّ ﷺ على أُمِّ السَّائِبِ وهِي تُزَفزِف . فقال: "مَالَكِ؟"

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٠٩٢) وعبد بن حميد في المنتخب (١٥٦٢) والطبراني في المعجم الكبير (٢٥/ ١٤١)(٣٤٠) وفيه " كَمَا يُذْهِبُ النَّارُ خَبَثَ الْحَدِيدِ "

قَالَتِ: الحُمَّى أَخزَاهَا اللَّهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "مَه لَا تَسبِّيهَا فَإِنَّهَا تُذهِبُ خَطايَا المُؤمنِ، كَمَا يُذهِبُ الكِيرُ خَبثَ الحَديد" .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: "مَا مِن مَرضٍ يُصيبُني أَحبُ إِليَّ مِن الحُمَّى؛ لأَنَّهَا تَدخُلُ فِي كُل عُضو مِني، وَإِنَّ اللَّهَ عَز وجَل يُعطي كُل عُضوٍ قِسطَهُ مِن الأَجْرِ "(١).

وعن عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِيَ ابن عباس - رضي الله عنهما - أَلا أُرِيكَ امْرَأَةً مِن أَهل الجَنةِ؟ قُلت: بَلى. قَال هَذه المَرأَةُ السَوداء أَتت النَّبِيَّ ﷺ فَقالت: إِني أُصرع وإِني أَتكَشفُ فَادعُ اللَّهَ لِي قَال: "إِن شِئتِ صَبرتِ ولَكِ الجَنةُ، وإِن شِئتِ دَعوتُ اللَّهَ أَن يُعَافِيَكِ" فَقالت: أَصبر، فَقالت: إِني أَتكَشفُ فَادع اللَّهَ لِي أنْ لَا أَتكَشفَ، فَدعا لَهَا . [متفق عليه]

وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: سمِعتُ النبيَ ﷺ يقول: "مَا من مُؤمنٍ وَلَا مُؤمنَةٍ وَلَا مُسلمٍ ولا مُسلمةٍ، يَمرضُ مَرضاً إِلا قَضى الله بِه عَنه مِن خَطايَاهُ"(٢) .

---

(١) البخاري في الادب المفرد وهو صحيح الإسناد، وكذا قال الحافظ (١١٠/١٠).

(٢) « السلسلة الصحيحة للألباني» (٢٥٠٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يَزالُ البَلاءُ بالمؤمنِ والمُؤمنَةِ فِي جَسدهِ وأَهلهِ ومَالهِ حَتى يَلقى اللهَ عَز وجَلَّ ومَا عَليه خَطيئَةٌ"(١).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ، وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قُلْتُ: إِنَّ ذَاكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «أَجَلْ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى إِلَّا حَاتَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ، كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ» [متفق عليه].

وقال النبي ﷺ : "إن الله يقول إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة" البخاري

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "المُؤمنُ الَّذِي يُخالطُ النَّاس ويَصبرُ عَلى أَذاهُم خَيرٌ مِن الَّذِي لَا يُخالِطُ النَّاسَ ولا يَصبرُ عَلى أَذاهُم"(٢).

الصبر على فقد الولد

قال عز جل : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٧٨٥٩) والبخاري في "الأدب المفرد" (٤٩٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥٠٢٢) والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٨).

وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧]

حب الأبناء فطرة

فقد اعتنى الإسلام بالأبناء ذكوراً وإناثاً وأحاطهم بعناية ورعاية خاصة وإن من نافلة القول أن نقرر حب الآباء لأبنائهم ؛ لأنه من الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، فقد روى البخاري ومسلم في " صحيحيهما" عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ - وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام - فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ؛ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، فَقَالَ:« يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ» ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ[1]».

---

(١) أخرجه: البخاري (١٣٠٣) ومسلم(٢٣١٥).

وهذا نوح عليه السلام ينادي ربه تعالى من أجل ولده: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (هود: ٤٥- ٤٧).

وأخرج البخاري ومسلم في "صحيحيهما" عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- بسبي فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السبي تَبْتَغِى إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِى النَّارِ ». قُلْنَا لاَ وَاللَّهِ وَهِىَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا [1]».

إذن محبة الأولاد لدى آبائهم معلومة لا تنكر.

*****

(١) أخرجه: البخاري (٥٩٩٩) ومسلم(٢٧٥٤).

جزاء الصبر على فقد الأحبة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إِلَّا الجَنَّةُ" رواه البخاري.

قال ابن الجوزي في (كشف المشكل): الصفيُّ المصطفى كالولد والأخ وكل محبوب مؤثر اهـ .

وقال ابن حجر في (الفتح الباري): "فاحتسب" أي صبر راضيا بقضاء الله راجيا فضله اهـ.

وأخرج البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي» قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»

وعن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده. فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد(١).

وأخرج البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٌ ، يَمُوتُ لَهُ ثَلاَثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ ، لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ ، إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ(٢).

وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ، عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلاَثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ ، فَاحْتَسَبَهُمْ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ، وَاثْنَانِ ؟ قَالَ : وَاثْنَانِ. قَالَ مَحْمُودٌ : فَقُلْتُ لِجَابِرٍ: أُرَاكُمْ لَوْ قُلْتُمْ (وَاحِدٌ) لَقَالَ : وَاحِدٌ) ؟ قَالَ : وَأَنَا ، وَاللهِ، أَظُنُّ ذَلِكَ(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي وحسنه، وأحمد، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه البُخَارِي (١٢٤٨).

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٣٠٦ (١٤٣٣٦) و "البُخَارِي في "الأدب المفرد" ١٤٦.

وعن قرة بن إياس قال : كان نبي الله ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيقعده بين يديه، فهلك فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه فحزن عليه، ففقده النبي ﷺ فقال: مالي لا أرى فلانا؟ قالوا: يا رسول الله بنيه الذي رأيته هلك. فلقيه النبي ﷺ فسأله عن بنيه فأخبره أنه هلك، فعزاه عليه ثم قال: يا فلان أيما كان أحب إليك أن تمتع به عمرك أو لا تأتي غدا إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك. قال: يا نبي الله بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي لهو أحب إلي. قال: فذاك لك(١) .

وعَنْ أَبِي إِيَاسٍ ، وَهُوَ مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَتُحِبُّهُ ؟ فَقَالَ: أَحَبَّكَ اللهُ كَمَا أُحِبُّهُ ، فَمَاتَ، فَفَقَدَهُ ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالَ: أَمَّا يَسُرُّكَ أَنَّهُ لاَ تَأْتِي بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ تَسْتَفْتِحُهُ، إِلاَّ جَاءَ يَسْعَى حَتَّى يَسْتَفْتِحَهُ لَك ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً ؟ قَالَ : لَكُمْ عَامَّةً.

---

(١) أخرجه النسائي وصححه ابن حبان والحاكم وابن حجر والألباني.

وفي رواية : أَمَا تُحِبُّ أَنْ لاَ تَأْتِى بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلاَّ وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لِكُلِّنَا؟ قَالَ: بَلْ لِكُلِّكُمْ[1].

عَنْ شُرَحْبِيلَ بْنِ شُفْعَةَ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : يُقَالُ لِلْوِلْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلُوا الْجَنَّة، قال : فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ، حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا ، قال: فَيَأْتُونَ، قال: فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَالِي أَرَاهُمْ مُحْبَنْطِئِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، قال: فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا، قال: فَيَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ[2].

الأمر بالصبر على طاعة الله

وقال تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [سورة البقرة]

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة)

---

(١) أخرجه أحمد ٣/٤٣٦(١٥٦٨٠) و"النَّسائي"٤/٢٢ ، وفي "الكبرى"٢٠٠٩.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٠٩٦) والطبراني (٢٤/٢٢٤) الألباني :صحيح الجامع (٥٧٨٠).

وقال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (مريم: ٦٥)

وقال سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ (طه: ١٣٢).

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (العنكبوت :٥٨ – ٥٩).

قال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (هود :١١).

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ البلد

قال سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (العصر: ١ – ٣).

وقال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ

فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب]

وأمر الله بالصبر عند لقاء العدو في الجهاد ففي صحيح البخاري عن عَبْد اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى،: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا».

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]

وفي الصحيح صحيح البخاري عن المُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ، أَوْ تَنْتَفِخَ قَدَمَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»

وأخرج النسائي في "الكبرى" وأحمد عن أبي هريرة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «شَهْرُ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ»

وفي التاريخ الكبير للبخاري عَنْ كَهْمَسِ الْهِلَالِيِّ قَالَ: أَسْلَمْتُ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِإِسْلَامِي، فَمَكَثْتُ حَوْلًا وَقَدْ ضَمُرْتُ وَنَحَلَ جِسْمِي، فَخَفَّضَ فِيَّ الْبَصَرَ، ثُمَّ رَفَعَهُ قُلْتُ: أَمَا تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «مَنْ أَنْتَ؟» قُلْتُ: أَنَا كَهْمَسٌ الْهِلَالِيُّ. قَالَ: «فَمَا بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى؟» قُلْتُ: مَا أَفْطَرْتُ بَعْدَكَ نَهَارًا وَلَا نِمْتُ لَيْلًا، فَقَالَ: «وَمَنْ أَمَرَكَ أَنْ تُعَذِّبَ نَفْسَكَ؟ صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَمِنْ كُلِّ شَهْرٍ يَوْمًا» قُلْتُ: زِدْنِي، قَالَ: «صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَمِنْ كُلِّ شَهْرٍ يَوْمَيْنِ» قُلْتُ: زِدْنِي، قَالَ: «صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَمِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَ أَيَّامٍ».

الكفار يتواصون بالصبر على معتقداتهم الباطلة

قال تعالى : ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ (سورة ص : ٦)

وعليه فصبر أهل الدين الصحيح دين الإسلام اولى بالصبر على دين الله تعالى.

الصبر عن المعصية

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه :١٣١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[1].

---

(١) أخرجه البخاري(٦٤٩١) ومسلم (١٣١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»(٢).

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ "

والشاهد قوله : "وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ"

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت في غار فنزلت صخرة عظيمة فسدت عليهم باب الغار فتوسلوا لله بصالح اعمالهم حتى يفرج عنهم ما هم فيه من الحبس الذي هو الموت

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٢).

(٢) البخاري (٦٤٨٧).

المحقق فدعوا وكان مما في الحديث .... قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ.

الصبر خلق الأنبياء

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء]

وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ . فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾[الصافات]

*****

الصابرون في معية الله

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣)

وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة]

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ الأنفال.

وقال تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال]

والله يحب الصابرين

قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦).

الصابرون أهل الصدق

قال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ البقرة.

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد(٣١)].

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران].

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة]

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران]

الصبر عاقبته التمكين

قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٨)

وقال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا

صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٧).

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ . وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ السجدة: ٢٣ – ٢٤).

الصبر جزاؤه الجنة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ . جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد]

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل]

قال تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل]

قال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون]

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا . أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا . خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان]

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [القصص]

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت]

قال تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان]

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص]

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر)

قال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ

بِالْعِبَادِ . الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (آل عمران)

والله من وراء القصد

هتف العلم بالعمل

أبو عاصم البركاتي المصري

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعد أما بعد؛؛؛

مولاي جئتك والرجاء   قد استجار بحسن ظني

أبغي فواضـــلك التي   تمـــحو بها ما كان مني

فانظر إلي بحق لطفــك   يا إلهي واعـــف عني

لا تخزني يوم المعــــاد   بـــما جـــنيتُ ولا تهني

فإن ثمرة العلم وثمرة القول هو العمل ، فإن العلم إذا لم يوافقه العمل كان حجة على صاحبه ، قال الله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا . وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا . وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا . ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٦ ــ ٧٠).

وعن أبي برزة الأسلمي قال : قال رسول الله ﷺ لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه[1] .

وقد ذم الله تعالى أقواما تعلموا العلم ولم يعملوا به ، فقال تعالى:﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(الجمعة: ٥) قال المفسرون : ﴿ الذين حملوا التوراة ﴾ هم بنو إسرائيل الأحبار المعاصرون لرسول الله ﷺ ، و ﴿حملوا﴾ معناه : كلفوا القيام بأوامرها ونواهيها ، فهذا كمال حمل الإنسان الأمانة، وليس ذلك من الحمل على الظهر ، وإن كان مشتقاً منه ، وذكر تعالى أنهم ﴿ لم يحملوها ﴾، أي لم يطيعوا أمرها ، ويقفوا عند حدها حين كذبوا بمحمد عليه الصلاة والسلام، و ﴿التوراة﴾ تنطق بنبوته ، فكان كل حبر لم ينتفع بها حمل كمثل حمار عليه أسفار.

وقال الحسن البصري – رحمه الله –: " العالم الذي وافق علمه عمله، ومن خالف علمه عمله فذلك راوية سمع شيئاً فقاله" .

(١) أخرجه الترمذي (٤ /٦١٢ ، رقم ٢٤١٧) وقال : حسن صحيح . وأبو يعلى (١٣/ ٤٢٨، رقم ٧٤٣٤) ، وأبو نعيم في الحلية (١٠ /٢٣٢) وصححه الألباني

وقال الثوري: "العلماء إذا علموا عملوا ، فإذا عملوا شُغِلوا ".

وقال: "العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل ".

وقال الله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ . سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٩)

قال ابن مسعود رضي الله عنه: " إذا سمعت الله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فأرعها سمعك -أي: استمع لها- فإما خير تؤمر به، وإما شر تنهى عنه".

نعم العمل الذي هو ركن من أركان الإيمان عند أهل السنة والجماعة ، ولذلك لا تجد فصلاً في الكتاب أو في سنة النبي عليه الصلاة والسلام بين الإيمان وبين القول والعمل.

فالله قال لآل داود: ﴿ اعْمَلُوا آَلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (سبأ : ١٣).

وقال جل شأنه: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة: ١٠٥).

وقال جل شأنه: ﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ سورة العصر.

فجعل الله الفوز وعدم الخسران متوقف ومشروط بالعمل مع الإيمان.

والعمل هو الذي به ثقل الحسنات قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فأولئك الذين خسروا أَنْفُسَهُم ﴾ (الأعراف : ٩) ، لأن الموازين هي معايير الأعمال كما تقدم ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴾ (الزلزلة : ٧) .

وقال تعالى :﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ . فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾(القارعة : ٦ –١١).

وأخرج أحمد في المسند بإسناد حسن عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السلمي قَالَ حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنْ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ قَالُوا فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ.

وورد في الزهد لأبي داود (٢٤٩) وفي "جامع بيان العلم"(٦٣٥) أن أبا الدرداء قال : من يزدد علما يزدد وجعا ، ولا أخاف أن يقال لي : يا عويمر ماذا علمت؟ ولكني أخاف أن يقال لي : يا عويمر ماذا عملت فيما علمت ؟ .

وأخرج الدارمي في السنن(٢٦٠) عن معاذ بن جبل أنه قال: اعملوا ما شئتم بعد ان تعلموا فلن يأجركم الله بالعلم حتى تعملوا .

وقال سفيان الثوري رحمه الله : « لو لم أعلم كان أقل لحزني » جامع بيان العلم(٦٣٥).

صور لتلقي الصحابة رضوان الله عليهم للوحي وللعلم وللأمر وللنهي.

الصحابة الذين إذا أمروا امتثلوا ،وإذا نهوا انتهوا ،وإذا نصحوا انتصحوا، وإذا قالوا عملوا ، وإذا عملوا أتقنوا، قوم تعلموا العلم والعمل .

إني رضيت علـيا قدوة عـــلما   كما رضيت عتيقا صـاحب الغار
وقد رضيت أبا حفـص وشيعته   وما رضيت بقتل الشيخ في الدار
كل الصحابة عندي قدوة علم   فهـل علي بهذا القـــول من عار
إن كنت تعــلم أني لا أحبهم   إلا لوجـهك فاعتقني من الـنار

(١) الصحابية بريرة رضي الله عنها لما أعتقتها عائشة رضي الله عنها وكانت زوجة تحت عبد يقال له مغيث فلما أعتقت خيرت فاختارت فراقه فجاء النبي ﷺ ليشفع له كما أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس : أن زوج بريرة عبد أسود يقال له مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال النبي ﷺ لعباس :" يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثاً " . فقال النبي ﷺ: " لو راجعته" . قالت يا رسول الله تأمرني ؟ قال : " إنما أنا أشفع ". قالت لا حاجة لي فيه .

والشاهد أن بريرة قالت : تأمرني ؟ لأنه لو كان أمرا لرجعت إليه ، طاعة لله ولرسوله ، فلما علمت أنها مجرد شفاعة اختارت نفسها.

(٢) ذكر الطبري في تفسير قول الله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ الأحزاب.

ذكر أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله ﷺ على فتاه زيد بن حارثة، فامتنعت من إنكاحه نفسها. فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ ....﴾ إلى

قوله:﴿ضَلالا مُبِينًا﴾ قالت: قد رضيته لي يا رسول الله مَنكحًا؟ قال: "نعم" قالت: إذن لا أعصي رسول الله، قد أنكحته نفسي.

(٣) عن أبي أسيد الأنصاري عن أبيه : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله ﷺ للنساء : استأخرن ؛ فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق ؛ عليكن بحافات الطريق . فكانت المرأة تلتصق بالجدار ؛ حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به [(١)].

(٤) أخرج البخاري وأبو داود عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلَ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا.

(٥) أخرج البخاري(٢٤٦٤) ومسلم(١٩٨٠) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ ساقي الْقَوْمِ يَوْمَ حُرِّمَتِ الْخَمْرُ فِي بَيْتِ أَبِى طَلْحَةَ وَمَا شَرَابُهُمْ إِلاَّ الْفَضِيخُ الْبُسْرُ وَالتَّمْرُ. فَإِذَا مُنَادٍ يُنَادِى فَقَالَ اخْرُجْ فَانْظُرْ فَخَرَجْتُ فَإِذَا مُنَادٍ يُنَادِى أَلاَ إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ - قَالَ - فَجَرَتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لِي

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٩/٤ ، رقم ٥٢٧٢) ، والطبراني (٢٦١/١٩ ، رقم ٥٨٠) . وأخرجه أيضًا : البيهقي في شعب الإيمان (١٧٣/٦ ، رقم ٧٨٢٢) وحسنه الألباني في الصحيحة(٨٥٦)

أَبُو طَلْحَةَ اخْرُجْ فَاهْرِقْهَا. فَهَرَقْتُهَا فَقَالُوا أَوْ قَالَ بَعْضُهُمْ قُتِلَ فُلاَنٌ قُتِلَ فُلاَنٌ وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ - قَالَ فَلاَ أَدْرِى هُوَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (المائدة : ٩٣).

(٦) لما نزل الأمر بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ إِلَى قَوْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ يخرج لنا البخاري(٤٤٩٤) ومسلم(٥٢٦) في صحيحيهما عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : بَيْنَمَا النَّاسُ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ بِقُبَاءٍ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّأْمِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْقِبْلَةِ.

وهو في الصحيحين أيضاً من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٧) وأخرج البخاري (١٤٦١) ومسلم(٩٩٨) في صحيحيهما عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ قَالَ أَنَسٌ فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿لَنْ

تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ.

وجاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي(٦٥٨) وأحمد(١٦٢٢٦) سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "صَدَقَتُكَ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ".

(٨) أخرج أبو داود (٤٦٢ و٥٧١) وصححه الألباني عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "لَوْ تَرَكْنَا هَذَا الْبَابَ لِلنِّسَاءِ".

قَالَ نَافِعٌ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ ابْنُ عُمَرَ حَتَّى مَاتَ.

(٩) أخرج البخاري(٤٥٧)(٢٤١٨) ومسلم (١٥٥٨) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ كَعْبٍ أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ فَنَادَى يَا كَعْبُ قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ضَعْ

مِنْ دَيْنِكَ هَذَا وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَيْ الشَّطْرَ؛ قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: قُمْ فَاقْضِهِ.

(١٠) أخرج الحاكم في المستدرك (٤٩١٧) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وبن حبان في صحيحه (٧٠٢٥) والبيهقي في الكبرى(٧٠٦٢) وقال شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه : عن جده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى دون الأعراض إلى جبل بناحية المدينة ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ وقد كان حنظلة بن أبي عامر التقى هو وأبو سفيان بن حرب فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود فعلاه شداد بالسيف حتى قتله وقد كاد يقتل أبا سفيان فقال رسول الله ﷺ : " إن صاحبكم حنظلة تغسله الملائكة فسلوا صاحبته " فقالت : خرج وهو جنب لما سمع الهائعة ، فقال رسول الله ﷺ: " فذاك قد غسلته الملائكة " .

*****

وعيد من يأمر بالمعروف ولا يفعله أو ينهى عن المنكر ويفعله[1]

الواجب على كل من الآمر والمأمور اتباع الحق المأمور به، وقد ورد الوعيد الشديد والتوبيخ والزجر البليغ على من يخالف قوله فعله من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فمن ذلك:

١- قول الله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة .

وقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف .

٢- قول الله تعالى حكاية عن شعيب - عليه السلام- : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ .

٣- ودلت السنة الصحيحة على أن من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله أنه حمار من حمر جهنم، يجرّ أمعاءه فيها، فأخرج الشيخان في صحيحهما من حديث أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ، فَيَدُورُ بِهَا فِي النَّارِ كَمَا

(١) القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢) للشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ، مَا أَصَابَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ » (١) ومعنى تندلق أقتابه: تتدلى أمعاؤه والعياذ بالله، كما دل القرآن على أن المأمور إذا أعرض عن التذكرة كحمار أيضًا، قال تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ . كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ . فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (المدثر: ٤٩ -٥١).

٤- و أخرج الإمام أحمد وابن أبي شيبة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : « رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ رَجَعَتْ، فَقُلْتُ لِجِبْرِيلَ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ، كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ » .

وقال رجلٌ لابنِ عباسٍ: أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فقال له ابن عباس: إن لم تخش أن تفضحك هذه الآيات الثلاث فافعل، وإلا فابدأ بنفسك، ثم تلا ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾(البقرة:٤٤).

وقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾(الصف:٣).

---

(١) البخاري: بدء الخلق (٣٢٦٧)، ومسلم: الزهد والرقائق (٢٩٨٩).

وقوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ (هود: ٨٨). أخرجه البيهقي في شعب الإيمان

ولقد أحسن أبو الأسود الدؤلي حين قال:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليمُ
تصف الدواء لذي السقام وذي ... الضنى كيما يصح به وأنت سقيمُ
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا ... أبداً وأنت من الرشاد عديمُ
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ
فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى ... بالعلم منكَ وينفعُ التعليمُ
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيمُ

وقال أبو العتاهية

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما ** إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
كلابس الثوب من عري وعورته ** للناس بادية ما إن يواريها
وأعظم الذنب بعد الشرك تعلمه ** في كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بذنوب الناس تبصرها ** منهم ولا تعرف العيب الذي فيها

وقال أيضاً:

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقي ** وريح الخطايا من ثيابك يسطع

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ليلة أسري بي مررت على ناس تقرض شفاههم بمقارض من نار، فقلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء

الخطباء من أهل الدنيا، يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون".

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم يجرون قُصْبَهم في نار جهنم، فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن الذين كنا نأمر الناس بالخير وننسى أنفسنا".

ولكن على المرء أن يدعو ويصلح نفسه

قال بعض أهل العلم : لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تعملوا بأحسن ما تسمعون منا .

وقال بعضهم : لا تنظر إلى عمل العالم ولكن اسأله يصدقك .

ووقف رجلٌ على ابن عيينة وهو يعظ الناس فأنشد :

وغير تقي يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوي الناس وهو مريض

فأنشده ابن عيينة :

اعمل بعلمي وإن قصرتُ في عملي ... ينفعك علمي ولا يضرُرْك تقصيري

" فيجب على الإنسان أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الله، وتقصيره في دينه ليس عذراً له في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، ولو لم يعظ إلا معصوم من الزلل لم يعظ الناس بعد رسول الله ﷺ أحد لأنه لا عصمة لأحد بعده.

لئن لم يعظ العاصين من هو مذنب *** فمن يعظ العاصين بعد محمد

قيل للحسن: إن فلاناً لا يعظ ويقول: أخاف أن أقول ما لا أفعل، فقال الحسن: وأينا يفعل ما يقول، ود الشيطان أنه ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر.

وقال مالك عن ربيعة: قال سعيد بن جبير: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر، قال مالك: وصدق! ومن ذا الذي ليس فيه شيء.

من ذا الذي ما ساء قط .... ومن له الحسنى فقط .

خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله يوماً فقال في موعظته: إني لأقول هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما أعلم عندي، فأستغفر الله وأتوب إليه.

وكتب إلى بعض نوابه على بعض الأمصار كتاباً يعظه فيه وقال في آخره: وإني لأعظك بهذا وإني لكثير الإسراف على نفسي، غير محكم لكثير من أمري، ولو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم نفسه إذاً لتواكل الخير، وإذاً لرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذاً لاستحلت المحارم، وقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة في الأرض.

وهذا محمول منهم رضي الله عنهم على هضم أنفسهم؛ وإلا فقد كانوا أئمة هدى ومصابيح دجى، ونحن علينا أن نسدد ونقارب، ونحاول أن نكون قدوة لغيرنا، فإن غلبتنا أنفسنا وظفر الشيطان منا ببعض الأمور فليس ذلك عذراً لترك الدعوة إلى الله. والله أعلم "[١].

هذا ما تيسر والله من وراء القصد

---

(١) نقلته من فتاوى الشبكة الإسلامية www.islamweb.net عنوان الفتوى: هل يعذر الداعية المقصر في ترك الدعوة رقم الفتوى: ٢٨١٧١ .

بديع الإنشا بشرح حديث

" إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا .. "

أبو عاصم البركاتي المصري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

أخرج البخاري ومسلم واللفظ له؛ في صحيحيهما عَنْ عَبْدِ اللهِ – وهو ابن مسعود–، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا ".

وأخرجه الترمذي (٢١٣٧) وأبو داود (٤٧٠٨) وابن ماجه (٧٦) وأحمد في المسند (٣٦٢٤) (٤٠٩١) وغيرهم من طرق عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود.

فوائد الحديث:

فائدة(١): جواز واستحباب تأكيد الخبر ليقع بالتصديق في نفس المخبر؛ ومن ذلك قول ابن مسعود حدثنا الصادق المصدوق أي الصادق في قوله المصدوق فيما يأتيه من الوحي.

فائدة(٢): الحديث أصل في إثبات القدر؛ قال النووي في شرح مسلم: وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ كُلِّهَا دَلَالَاتٌ ظَاهِرَةٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي إِثْبَاتِ الْقَدَرِ وَأَنَّ جَمِيعَ الْوَاقِعَاتِ بقضاء الله تعالى وقدره خيرها وشرها نفعها وَضَرِّهَا. ا هـ

الإيمان بالقدر من أصول الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، ففي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب في سؤال جبريل عليه السلام الرسول ﷺ عن الإيمان قال: " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال (أي جبريل عليه السلام) : صدقت " .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر: ٤٩) . وقوله: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ (الأحزاب: ٣٨) ، وقوله: ﴿ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ (الأنفال: ٤٢) .

وقال: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (الفرقان: ٢) .

وقال: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ (الأعلى: ١-٣) .

وروى مسلم في صحيحه عن طاووس قال: " أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر حتى العجزُ والكَيْس ، أو الكَيْس والعَجْز " .

وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة قال: " جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ . إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر: ٤٨؛ ٤٩) [مسلم والترمذي].

وأركان الإيمان بالقدر أربعة: وهي العلم والكتابة والمشيئة ثم الخلق.

الركن الأول: علم الله الشامل الكامل.

قال تعالى ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ (النجم: ٣٢) .

فعَلِمَ ما كان وما سيكون وما لم يكن كيف كان يكون؛ سبحانه ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (سبأ: ٣)

وقوله تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(الملك: ١٤).

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: "سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين "

الركن الثاني: الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شيء.

كَمَا فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ.»

وَفِي حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.»(١)

وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (الحج: ٧٠) وقال سبحانه: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ (يس: ١٢)

****

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٣٣١٩) وأحمد (٢٢٧٠٥) وصححه الألباني.

الركن الثالث: الإيمان بمشيئة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ (التكوير: ٢٩) ، وقال: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله﴾ (الأنعام: ١١١) ، وقال: ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ (الأنعام: ١١٢) ، وقال: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ (يس: ٣٦) ، وقال: ﴿من يشاء الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ (الأنعام: ٣٩) .

الركن الرابع: الإيمان بأن الله خالق كلّ شيء.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (الزمر: ٦٢) ، ﴿ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (يس: ٨١) ، وقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ (الأنعام: ١) وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦)

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيُّ: سَبِيلُ مَعْرِفَةِ هَذَا الْبَابِ – يعني القدر – التَّوْقِيفُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ دُونَ مَحْضِ الْقِيَاسِ وَمُجَرَّدِ الْعُقُولِ فَمَنْ عَدَلَ عَنِ التَّوْقِيفِ فِيهِ ضَلَّ وَتَاهَ فِي بِحَارِ الْحَيْرَةِ وَلَمْ يَبْلُغْ شِفَاءَ النَّفْسِ وَلَا يَصِلْ إِلَى مَا يَطْمَئِنُّ بِهِ الْقَلْبُ لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي ضُرِبَتْ مِنْ دُونِهَا

الْأَسْتَارُ اختص اللَّهُ بِهِ وَحَجَبَهُ عَنْ عُقُولِ الْخَلْقِ وَمَعَارِفِهِمْ لِمَا عَلِمَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَوَاجِبُنَا أَنْ نَقِفَ حَيْثُ حَدَّ لَنَا وَلَا نَتَجَاوَزَهُ وَقَدْ طَوَى اللَّهُ تَعَالَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَلَى الْعَالَمِ فَلَمْ يعلمه نبي مرسل ولا ملك مُقَرَّبٌ وَقِيلَ إِنَّ سِرَّ الْقَدَرِ يَنْكَشِفُ لَهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَا يَنْكَشِفُ قَبْلَ دُخُولِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ[١].

فائدة (٣): في الحديث دلالة على أن السنة من الوحي لأن مراحل تكوين الجنين في بطن أمه من الغيب لا سيما في ذاك الزمان؛ فلابد أن الرسول ﷺ علم ذلك وحيا من الله تعالى.

فائدة (٤): في الحديث دلالة على أن من السنة والحديث ما يأتي لتأكيد القرآن وهي السنة المؤكدة والموافقة للقرآن وهي قسم من أقسام السنة وهناك سنة شارحة للقرآن مبينة ومفسرة له؛ وسنة مستقلة بالتشريع؛ وذلك الحديث من السنة الموافقة للقرآن؛ لأنه موافق لقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ

---

(١) شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٩٦).

خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ .ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٢-١٦)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (الْحَجّ: ٥) .

وَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَكَّلَ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ؟ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا، قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ».

فائدة (٥) : وجوب الإيمان بالملائكة بأنواعهم؛ وَمِنْهُم موكلون بتصوير النطف.

فائدة (٦): رعاية الله تعالى وتكريمه للإنسان بأن وكل ملائكة بالنطف والأجنة؛ وجعل له ملائكة يحفظونه قال تعالى :﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ (الانفطار : ١٠ – ١١).

قال الماوردي في تفسيره(٦ /٢٢٣): يحفظ كلَّ إنسان ملكان ، أحدهما عن يمينه يكتب الخير ، والآخر عن شماله يكتب الشر.

وقال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد :١١) قال ابن عطية في تفسيره(٣ /٣٠٠): «المعقبات» على هذا الملائكة الحفظة على العباد أعمالهم، والحفظة لهم أيضا اهـ

ووكل الله سبحانه ملائكة يقبضون روحه عند موته وعلى رأسهم ملك الموت عليه السلام؛ وذلك تكريما للإنسان فقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (الأنعام :٦١).

فائدة (٧): ومعنى "يجمع خلقه" يعني يُكَوَّنُ خلقه ؛ والنطفة هي ماء الرجل والمرأة يلتقيان في الرحم.

والعلقة : هي تعلق النطفة بعرق في جدار الرحم لتتغذى من خلاله؛ حتى تنمو وتكبر.

والمضغة : تحول العلقة إلى ما يشبه اللقمة الممضوغة في الفم.

وكل مرحلة مدتها أربعين يوما؛ وورد في بعض الأحاديث لحذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه: "ثنتان وأربعين" وفي بعضها :"خمسة وأربعين" وفي

بعضها " لبضع وأربعين". ثم ينفخ فيه الروح بعد الأربعين الثالثة، يعني لمائة وعشرين ليلة من استقرار النطفة في الرحم.

قال بعض العلماء: معنى قوله: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه" أن المني يقع في الرحم متفرقا فيجمعه الله تعالى في محل الولادة من الرحم في هذه المدة، وقد جاء عن ابن مسعود في تفسير ذلك "إن النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله تعالى أن يخلق منها بشراً طارت في بشر المرأة تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث أربعين ليلة ثم تصير دماً في الرحم فذلك جمعها وهو وقت كونها علقة"[(١)].

فائدة (٨) : قوله "ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ" وفي رواية " بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا" حديث ابن مسعود.

وفي رواية " يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ" وفي رواية أخرى " ثُمَّ يَتَصَوَّرُ عَلَيْهَا الْمَلَكُ" من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الغفاري.

قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي: " (يتصور) هكذا هو في جميع نسخ بلادنا يتصور بالصاد وذكر القاضي: يتسور بالسين والمراد بيتسور ينزل وهو

---

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ص ٣٨

استعارة من تسورت الدار إذا نزلت فيها من أعلاها ولا يكون التسور إلا من فوق فيحتمل أن تكون الصاد الواقعة في نسخ بلادنا مبدلة من السين"[1]

فائدة (٩) : قوله " وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ... " أي ويؤمر الملك بكتب هذه الأشياء وهو التقدير العمري الذي يقدر للإنسان.

فهناك من أنواع التقادير تقدير أزلي وهو كتابة المقادير قبل خلق السماوات والأرض؛ وتقدير عمري ودليله هذا الحديث موضوع البحث؛ وتقدير سنوي وهو يكون في ليلة القدر لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ (الدخان : ٣ – ٥).

قال ابن عطية في تفسيره "المحرر الوجيز " (٥ /٦٨): وقال الحسن وعمير مولى غفرة ومجاهد وقتادة: في ليلة القدر كل ما في العام المقبل من الأقدار والآجال والأرزاق وغير ذلك، ويكتب ذلك لهم إلى مثلها من العام المقبل. اهـ

---

(١) حاشيته على صحيح مسلم (٤ /٢٠٣٨).

والنوع الأخير من التقادير هو التقدير اليومي؛ وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق، قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ (الرحمن: ٢٩).

فائدة (١٠) : قوله " بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ... " في حديث "أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ "[1] .

وفي حديث عن حذيفة بن أسيد كذلك : يَا رَبِّ أَسَوِيٌّ أَوْ غَيْرُ سَوِيٍّ، فَيَجْعَلُهُ اللهُ سَوِيًّا أَوْ غَيْرَ سَوِيٍّ.

وفي لفظ لابن مسعود أخرجه مسلم : "بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ "

إذن ورد في الباب : كَتْبُ ما يلي

(١) الرزق (٢) الأجل (٣) العمل (٤) شقي أو سعيد (٥) ذكر أم أنثى؛ لقوله تعالى: ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ (الشورى :٤٩).

(٦) أثره ؛ كما عند مسلم برقم(٢٦٤٤) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه.

---

(١) حديث حذيفة بن أسيد عند مسلم.

(٧) سَوِيٌّ أَوْ غَيْرُ سَوِيٍّ يعني معافى من الآفات والعاهات أم غير معافى.

(٨) السمع والبصر والجلد ؛ بما فيه اللون والشكل؛ واللحم والعظام يعني الضخامة أم النحول والهزال؛ وَهُوَ قَوْلُهُ سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ٦).

(٩) الطول والقصر والزيادة والنقصان والصحة والسقم ؛ أخرجه الإمام أحمد في المسند وفيه " أَقَصِيرٌ أَمْ طَوِيلٌ؟ أَنَاقِصٌ أَمْ زَائِدٌ؟ قُوتُهُ وَأَجَلُهُ؟ أَصَحِيحٌ أَمْ سَقِيمٌ؟ ".

(١٠) المصائب؛ فقد أخرج أحمد في المسند من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ وفيه: " فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَثَرُه، وَمُصِيبَتُهُ، وَرِزْقُهُ... "

فائدة (١١): وجوب الرضا برزق الله للعبد ولا يطلب الرزق إلا بالحلال.

قال تعالى : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات :٢٢).

وصح عنه ﷺ من حديث أبي الدرداء أنه قال: "إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله". وقال ﷺ: "إن الله قَسَمَ بينكم أخلاقكم كما قَسَمَ بينكم أرزاقكم ..."

وقوله ﷺ: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ" [الترمذي]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ»(١) .

وعليه فالغنى بقضاء الله وقدره والفقر كذا بقدر؛ فعلى العبد المؤمن أن يشكر في حال الغنى وأن يصبر في حال الفقر.

ولحكمة أرادها الله - سبحانه وتعالى - جعل هذا التقدير، والتقسيم للأرزاق خافيًا على العباد مغيبًا عنهم، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ وذلك حتى يستمر قانون الأخذ بالأسباب وألا يتواكل العبد بداعي الإيمان بالقدر؛ قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(الملك :١٥)

قال ابن كثير في تفسيره (٨ /١٧٩): أَيْ: فَسَافِرُوا حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ أَقْطَارِهَا، وَتَرَدَّدُوا فِي أَقَالِيمِهَا وَأَرْجَائِهَا فِي أَنْوَاعِ الْمَكَاسِبِ وَالتِّجَارَاتِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ سَعْيَكُمْ لَا يُجْدِي عَلَيْكُمْ شَيْئًا، إِلَّا أَنْ يُيَسِّرَهُ اللَّهُ لَكُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ فَالسَّعْيُ فِي السَّبَبِ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ:

---

(١) أخرجه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه وصححه الألباني.

حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا حَيْوَة، أَخْبَرَنِي بَكْرُ بْنُ عَمْرٍو، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هُبَيْرَة يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ أَبَا تَمِيمٍ الجَيشاني يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: "لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وتَرُوح بِطَانًا".

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ هُبَيْرَةَ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. فَأَثْبَتَ لَهَا رَوَاحًا وَغُدُوًّا لِطَلَبِ الرِّزْقِ، مَعَ تَوَكُّلِهَا عَلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ المسَخِّر الْمُسَيِّرُ الْمُسَبِّبُ. اهـ

فائدة (١٢): وجوب الصبر على ما قدره الله من المصائب والبلاء ؛ لأن ذلك لحكمة يعلمها الله؛ والإيمان بالقضاء والقدر يوطن العبد على التسليم والرضا؛ وليعلم العبد أن الله ضمن الأجل المكتوب فلا يزاد فيه ولا ينقص منه قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف : ٣٤) وقال جل شأنه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (النحل :٦١)؛ وقال سبحانه : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ (فاطر :٤٥)

وفي الحديث : الذي عند مسلم برقم (٢٦٦٣) وفيه : "قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: اللهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ».

وعليه فعلى العبد المؤمن أن يوطن نفسه على الشكر في السراء والصبر في الضراء؛ ويسأل الله أن يعينه على ذلك؛ وأسوق بعض النصوص النبوية التي تبين فضل الصبر في الضراء لتثبيت النفوس وتطييب القلوب؛ ففي الترمذي عن أنس مرفوعا :«إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ».

وعن عائشة مرفوعا: "ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يُشاكها"[1]

(١) البخاري (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢)

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يُشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه"[1]، وفي رواية لأبي هريرة عند البخاري (٥٦٤٥): "من يرد الله به خيراً يُصب منه".

وفي رواية لأبي هريرة عند ابن ماجه (٢٥٦٢) عن النبي ﷺ: "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله، وما عليه خطيئة". وإسناده حسن.

وعن عبد الله بن مسعود رفعه: "ما من مسلم يصيبه أذى، مرض فما سواه، إلا حط الله له سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها"[2].

وعن سعد بن أبي وقاص قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: "الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتَلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه

(١) البخاري (٥٦٤١)؛ (٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣)

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٦٠)، ومسلم (٢٥٧١).

صُلبا، اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتُلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة "(١).

فائدة (١٣): الخوف من سوء الخاتمة.

قوله : "فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا".

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ: حَضَرْتُ رَجُلًا عِنْدَ الْمَوْتِ يُلَقَّنُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ فِي آخِرِ مَا قَالَ: هُوَ كَافِرٌ بِمَا تَقُولُ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَإِذَا هُوَ مُدْمِنُ خَمْرٍ.

وَكَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يَقُومُ طُولَ لَيْلِهِ قَابِضًا عَلَى لِحْيَتِهِ، وَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ عَلِمْتَ سَاكِنَ الْجَنَّةِ مِنْ سَاكِنِ النَّارِ، فَفِي أَيِّ الدَّارَيْنِ مَنْزِلُ مَالِكٍ؟(٢).

*****

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٣)، والترمذي (٢٥٦١)، والنسائي في "الكبرى" (٧٤٣٩).

(٢) جامع العلوم والحكم ص ١٧٣.

العبرة بالخواتيم

قال ابن دقيق رحمه الله: الأعمال بالسوابق لكن لما كانت السابقة مستورة عنا والخاتمة ظاهرة جاء في الحديث: "إنما الأعمال بالخواتيم"[1] اهـ

وَفِي صحيح البخاري (٦٦٠٧) قول النَّبِيِّ ﷺ: «الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ».

وعَنْ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا، كَالْوِعَاءِ، إِذَا طَابَ أَعْلَاهُ، طَابَ أَسْفَلُهُ، وَإِذَا خَبُثَ أَعْلَاهُ، خَبُثَ أَسْفَلُهُ».[2]

وفي صحيح مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يَصْرِفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ "، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

وفي الصحيحين البخاري ومسلم عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدَعُ

---

(١) شرح الأربعين ص٣٩.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص (٢١١) برقم (٥٩٦) وابن حبان "موارد" (١٨١٩) وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٧٣٤).

لَهُمْ شَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالُوا: مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ أَبَدًا، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ، كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا: «أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ حَتَّى جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

وفي الصحيحين أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيْنًا، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يُدْعَى بِالْإِسْلَامِ: «هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَلَمَّا حَضَرْنَا الْقِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ الَّذِي قُلْتَ لَهُ آنِفًا: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا، وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ

النَّبِيُّ ﷺ: «إِلَى النَّارِ»، فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْتَابَ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»، ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى فِي النَّاسِ: «أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَأَنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ».

وأخرج مسلم من حديث عَبْدِ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا - أَوْ عَبَاءَةٍ -» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ»، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ.

النهي عن ترك العمل اتكالاً على ما سبق من القدر

وقد ثبتت الأحاديث بالنهي عن ترك العمل اتكالاً على ما سبق من القدر بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد بها الشرع وكل ميسر لما خلق له.

وفي الصحيحين عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ

قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً» قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (الليل: ٦).

وفي لفظ : «مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: «لَا، اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ (الليل: ٦)، إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (الليل: ١٠).

وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ، فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ

الْمَقَادِيرُ» قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ زُهَيْرٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ، فَسَأَلْتُ: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»[مسلم]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» مسلم

وفي حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» متفق عليه

وفيه زيادة : " فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ " فدل على أن هؤلاء اهل الرياء أو النفاق.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

ولكن أبشروا فإن هذا الحديث مقيد، بأنه لا يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وأما الذي يعمل بعمل أهل الجنة بقلب وإخلاص فإن الله لا يخذله عز وجل، والله أكرم من العبد، فإذا عملت بعمل أهل الجنة بإخلاص[1] .اهـ

(١) شرح رياض الصالحين(٣ / ٢٩٣).

قال ابن حجر رحمه الله: قَالَ عَبْدُ الْحَقِّ فِي "كِتَابِ الْعَاقِبَةِ" إِنَّ سُوءَ الْخَاتِمَةِ لَا يَقَعُ لِمَنِ اسْتَقَامَ بَاطِنُهُ وَصَلُحَ ظَاهِرُهُ وَإِنَّمَا يَقعُ لِمَنْ فِي طَوِيَّتِهِ فَسَادٌ أَوِ ارْتِيَابٌ؛ وَيكثر وُقُوعه للمصر على الْكَبَائِر والجريء عَلَى الْعَظَائِمِ فَيَهْجُمُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَغْتَةً فَيَصْطَلِمُهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ تِلْكَ الصَّدْمَةِ فَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِسُوءِ الْخَاتِمَةِ نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ [1] اهـ

المؤمن لا يخلد في النار إن دخلها

قال ابن حجر: وَلَا يَلْزَمُ مِنْ إِطْلَاقِ دُخُولِ النَّارِ أَنَّهُ يُخَلَّدُ فِيهَا أَبَدًا بَلْ مُجَرَّدُ الدُّخُولِ... [2] .

وَقَالَ الخطابِيّ: فِيهِ: أَن ظَاهر الْأَعْمَال من الْحَسَنَات والسيئات أَمَارَات وَلَيْسَت بموجبات، وَأَن مصير الْأُمُور فِي الْعَاقِبَة إِلَى مَا سبق بِهِ الْقَضَاء وَجرى الْقدر [3].

وفي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي [4]".

---

(١) فتح الباري ١١ / ٤٩٠.

(٢) الفتح ١١ /٤٩٠.

(٣) أعلام الحديث ٢ /١٤٨٣.

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٢٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "يَسْتَعِيذُ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثِ: دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، أَوْ جَهْدِ الْبَلَاءِ " [متفق عليه]

قيل: المراد بالشقاء: سوء الخاتمة، نعوذ بالله منه.

فائدة (١٤): حسن الخاتمة فضل من الله تعالى.

قوله "وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا ".

وصح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله" قالوا: كيف يستعمله؟ قال: "يوفقه لعمل صالح قبل موته"[١].

وعن عَمْرِو بْنَ الْحَمِقِ الْخُزَاعِيَّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ" قِيلَ: وَمَا عَسَلُهُ قَبْلَ مَوْتِهِ؟، قَالَ: "يُفْتَحُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ"[٢].

****

---

(١) أخرجه الإمام أحمد والترمذي وصححه الحاكم في المستدرك.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه وقال الألباني: صحيح "الصحيحة" (١١١٤).

قصة أُصَيْرِم بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ يَقُولُ: حَدِّثُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ سَأَلُوهُ: مَنْ هُوَ؟ فَيَقُولُ: أُصَيْرِمُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ، قَالَ الْحُصَيْنُ: فَقُلْتُ لِمَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ: كَيْفَ كَانَ شَأْنُ الْأُصَيْرِمِ؟ قَالَ: كَانَ يَأْبَى الْإِسْلَامَ عَلَى قَوْمِهِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أُحُدٍ بَدَا لَهُ الْإِسْلَامُ فَأَسْلَمَ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ فَغَدَا حَتَّى أَتَى الْقَوْمَ فَدَخَلَ فِي عُرْضِ النَّاسِ، فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ، قَالَ: فَبَيْنَمَا رِجَالُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَلْتَمِسُونَ قَتْلَاهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ إِذَا هُمْ بِهِ، فَقَالُوا: وَاللهِ إِنَّ هَذَا لَلْأُصَيْرِمُ، وَمَا جَاءَ؟ لَقَدْ تَرَكْنَاهُ وَإِنَّهُ لَمُنْكِرٌ لِهَذَا الْحَدِيثَ، فَسَأَلُوهُ مَا جَاءَ بِهِ؟ قَالُوا: مَا جَاءَ بِكَ يَا عَمْرُو، أَحَدَبًا عَلَى قَوْمِكَ، أَوْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: بَلْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، آمَنْتُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَسْلَمْتُ، ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفِي فَغَدَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ فَقَاتَلْتُ حَتَّى أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي، قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَذَكَرُوهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: " إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ "(١) .

---

(١) أخرجه أحمد وهو حديث حسن.

فهذا الرجل أمضى عمره كله في الكفر، ضد الإسلام وضد المسلمين، وكان خاتمته هذه الخاتمة، عمل بعض أهل النار، حتى كم يكن بينه وبينهما إلا ذراع، فسبق عليه الكتاب، فعمل بعمل أهل الجنة، فكان من أهل الجنة.

قصة الصحابي الذي ختم له بالحج

وفي الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ، إِذْ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَوَقَصَتْهُ - أَوْ قَالَ: فَأَوْقَصَتْهُ - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلاَ تُحَنِّطُوهُ، وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا»

ومعنى (فوقصته) من الوقص وهو كسر العنق ومثله (أوقصته) من ايقاص والوقص أفصح.

روى الحاكم وغيره أن رسول ﷺ قال: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة".

وقوله ﷺ: "من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ختم له بها دخل الجنة" رواه الإمام أحمد وغيره.

والله وحده من وراء القصد

تقــريب الفــوائد

بشرح

حديث جريج العابد

تأليف

أبي عاصم البركاتي المصري

بسم الله الرحمن الرحيم

متن الحديث

أخرج البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: " لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ، فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ، فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى

جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا. وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ، وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ ". قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِهِ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا، قَالَ: "وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ: حَلْقَى مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتَ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا فَقُلْتَ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا، فَقُلْتُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا زَنَيْتِ وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ فَقُلْتُ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا ".

تخريج الحديث: أخرجه البخاري (١٢٠٦) (٣٤٣٦) ومسلم (٢٥٥٠) وأحمد (٨٠٧١) (٨٠٧٢) وغيرهم.

معاني المفردات:

المهد: الموضِع يُهَيَّأُ لينامَ فيه الصبي؛ والمعنى حال الرضاع والصغر.

صومعة: معبد الرُّهبان في الأماكن النَّائية "﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ﴾".

الْمُومِسَات: الفواجر المجاهرات بذلك.

امْرَأَةٌ بَغِيٌّ: زانية.

يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا: يضرب بحسنها المثل.

لَأَفْتِنَنَّهُ: لأغوينه بالفاحشة.

فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا: فأذنت له أن يزني بها.

فَوَقَعَ عَلَيْهَا: فزنى بها.

دابة فَارِهَة: أَي جميلة وحسنة ونَشيطة وحاذقة؛ وفي التنزيل العزيز: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾.

وَشَارَة حَسَنَة: والشارة بالشين المعجمة وتخفيف الراء: وهي الجمال الظاهر في الهيئة والملبس.

تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ: حدثت الصبي وحدثها.

حَلْقَى: يقال امرأة عقرى حلقى؛ توصَفُ بالخلاف والشُّؤم ويقال: عَقَرَها الله: أي عَقَرَ جَسَدَها وأصابها بوَجَع في حَلْقِها واشتقاقه من أَنَّها تحِلق قَوْمَها وتَعْقِرُهمُ: أي تَسْتَأصِلُهُم من شُؤمِها عليهم[1].

فوائد الحديث

فائدة (١): قوله ﷺ " لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ" إجمال ؛ يأتي بيانه فيما سيلحق من الحديث؛ والمجمل هو موجز القول؛ ثم بين النبي ﷺ هؤلاء الثلاثة في الحديث.

ومن الحكم البلاغية للإجمال؛ ووجود المجمل في النصوص:

أ – فيه توطئة للنفس لتقبل البيان.

ب – التنويع في الأساليب للتشويق والإثارة.

ج – فيه دلالة على عظم أمر البيان الذي سيتلو الإجمال.

فائدة (٢) العدد والحصر

قال الإمام النووي: "قَوْلُهُ ﷺ : (لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ) فَذَكَرَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِمُ الصَّبِيُّ الَّذِي كَانَ مَعَ الْمَرْأَةِ فِي حَدِيثِ السَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَقِصَّةِ أَصْحَابِ

---

(١) كتاب العين للفراهيدي (١ / ١٥٢).

الْأُخْدُودِ الْمَذْكُورِ فِي آخِرِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَجَوَابُهُ أَنَّ ذَلِكَ الصَّبِيَّ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَهْدِ بَلْ كَانَ أَكْبَرَ مِنْ صَاحِبِ الْمَهْدِ وَإِنْ كَانَ صَغِيرًا [(١)] " .

وقال بدر الدين العيني :

"(فَإِن قلت) ظَاهر هَذَا يَقْتَضِي الْحصْر وَمَعَ هَذَا رُوِيَ عَن ابْن عَبَّاس شَاهد يُوسُف كَانَ فِي المهد قَالَه الْقُرْطُبِيّ؛ وَعَن الضَّحَّاك تكلم فِي المهد أَيْضا يحيى بن زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَام وَفِي حَدِيث صُهَيْب أَنه لما خدد الْأُخْدُود تقاعست امْرَأَة عَن الْأُخْدُود فَقَالَ لَهَا صبيها وَهُوَ يرتضع مِنْهَا يَا أمه اصْبِرِي فَإنَّك على الْحق؛ (قلت): الْجَواب عَن ذَلِك بِوَجْهَيْنِ أَحدهمَا أَن الثَّلَاثَة الْمَذْكُورين فِي الصَّحِيح لَيْسَ فِيهَا خلاف وَالْبَاقُونَ مُخْتَلف فيهم وَقَالَ ابْن عَبَّاس وَعِكْرِمَة: كَانَ صَاحب يُوسُف ذَا لحية؛ وَقَالَ مُجَاهِد: الشَّاهِد هُوَ الْقَمِيص وَالْجَوَاب الآخر أَن النَّبِي - ﷺ - قَالَ ذَلِك أَولا ثمَّ أطلعه الله على غَيرهم وَقد يُقَال التَّنْصِيص على الشَّيْء باسمه الْعلم لَا يَقْتَضِي الْخُصُوص سَوَاء كَانَ الْمَنْصُوص عَلَيْهِ باسمه الْعدَد مَقْرُونا أَو لم يكن (قلت): الْخلاف فِيهِ مَشْهُور "[(٢)] انتهى

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم(١٦/ ١٠٦).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٧/ ٢٨٤).

قال الشيخ الألباني : لا يخالف هذا الحصر كلام صبي الأخدود الآتي في الحديث (٢٠٩٤). لأنه ليس فيه أنه كان في المهد، بل كان أكبر من صاحب المهد، وإن كان صغيراً يرضع، وأما حديث "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى وشاهد يوسف، وصاحب جريج وابن ماشطة بنت فرعون" فحديث باطل كما بينته في "سلسلة الأحاديث الضعيفة" (٨٨٤)، وأما ما ذكره بعضهم أن يحيى عليه السلام ممن تكلم في المهد، فمما لا أصل له مرفوعاً، وإنما هو من زعم الضحاك في تفسيره كما ذكر الحافظ في "الفتح" (٣٤٤/ ٦). [١] انتهى

فائدة (٣): كلام عيسى عليه السلام في المهد وذلك لتبرئة أمه مريم عليها السلام؛ لأنه عليه السلام -كما هو معلوم- ولد بغير أب؛ كما حكى الله تعالى في القرآن في قوله سبحانه :﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا . قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا . وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا . وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا . ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ . مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (مريم: ٢٩ - ٣٥).

---

(١) تحقيق مختصر صحيح مسلم للمنذري(٢ /٤٦٨).

فائدة (٤) : اثبات كرامات الأولياء.

ومن فوائد الحديث إثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل السنة خلافًا للمعتزلة؛ والكرامة هي الأمر الخارق للعادة ليس مقرونا بالتحدي؛ بخلاف معجزة الأنبياء فهي أمر خارق للعادة مقرونا بالتحدي؛ ويؤيد الله تعالى الأنبياء والرسل بالمعجزات لتدل على صدقه فيما يخبر عن الله تعالى؛ أما كرامات الأولياء فتحصل لتثبيتهم على الحق ولرفع مكانتهم ومنزلتهم ولتدل على صحة ما هم عليه، وعلى صحة الشريعة التي يعملون بها، ولهذا قيل: كل كرامة لولي فهي آية للنبي الذي يتبعه هذا الولي؛ لأنها شاهد من الله على صدقه. وكرامات الأولياء لا تزال موجودة إلى يوم القيامة يكرم بها الله من شاء من أوليائه؛ قال تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (يونس :٦٢ -٦٤).

ومن ذلك الكلام في المهد؛ وقد حصل من ذلك لجريج بأن أنطق الله تعالى الطفل في المهد لإثبات براءة جريج مما اتهم به؛ ولتفريج كربه وضيقه؛ واستجابة لدعائه وتوسله.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: الأولياء هم المؤمنون وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم بإحسان، وهم أهل التقوى والإيمان، وهم المطيعون لله ولرسوله، فكل هؤلاء هم الأولياء سواء كانوا عربًا أو عجمًا بيضًا أو سودًا أغنياءً أو فقراءً حكامًا أو محكومين رجالاً أو نساءً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ فهؤلاء هم أولياء الله الذين أطاعوا الله ورسوله، واتقوا غضبه فأدوا حقه وابتعدوا عما نهوا عنه، فهؤلاء هم الأولياء وهم المذكورون في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ الآية.

وليسوا أهل الشعوذة ودعوى الخوارق الشيطانية والكرامات المكذوبة، وإنما هم المؤمنون بالله ورسوله، المطيعون لأمر الله ورسوله كما تقدم سواء حصلوا على كرامة أو لم يحصلوا عليها[1].

فائدة (٥) : الإسرائيليات في الحديث النبوي.

وهذا الحديث من الإسرائيليات الصحيحة التي حكاها رسول الله ﷺ ونقلت بالسند المتصل الصحيح.

وأنواع الإسرائيليات ثلاثة: وبيانها ما يأتي:

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٣٢٥).

(١) صحيحة معتبرة؛ وهي ما نقل بالسند الصحيح عن رسول الله ﷺ يحكي فيها أخبارا عن بعض الناس من أهل الكتاب.

(٢) ضعيفة أو منكرة وهي المكذوبات التي لا تتوافق مع أصول الإسلام وثوابته؛ فهي مردودة.

(٣) ما نقل عن أهل الكتاب من كتبهم أو من خلال بعض من أسلم منهم؛ ولا يخالف أصول الإسلام وقواعده؛ فهذا مما لا يصدق ولا يكذب؛ وقد ورد في ذلك حديث أبي نَمْلَةَ الْأَنْصَارِيَّ مرفوعًا: " إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُمْ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُمْ [١] " .

وأخرج البخاري (٣٤٦١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

فائدة (٦): الوحي بالسنة إلى رسول الله ﷺ .

في الحديث دلالة على أن مصدر السنة هو الوحي ؛ لأن النبي ﷺ لا يخبر عن الأمم السابقة إلا وحيا؛ فهو لم يدرس بل كان عليه الصلاة والسلام أميًا؛

---

(١) أخرجه أحمد(١٧٢٢٥) وأبو داود (٣٦٤٤) وحسن شعيب الأرناؤوط أسناده.

ولم يعرف له مجالسة أهل الكتاب؛ وكذا ما أخبر عن وقوعه مستقبلا كل ذلك بالوحي؛ قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ . وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٧ – ٤٨).

وقد وضح النبي ﷺ ذلك بجلاء ؛ ففي حديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ»[(١)] .

وأخرج الشافعي في "المسند"(٣١١) قوله ﷺ : «إِنِّي وَاللَّهِ لا يُمْسِكُ النَّاسُ عَلَيَّ بِشَيْءٍ إِلا أَنِّي لا أُحِلُّ إِلا مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَلا أُحَرِّمُ إِلا مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ، اعْمَلا لِمَا عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنِّي لا أُغْنِي عَنْكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» .

---

(١) أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

ومعنى قوله " لا أُحِلُّ إِلا مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَلا أُحَرِّمُ إِلا مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ" لا يتكلم إلا بالوحي فكل أقواله وأفعاله وتقريراته المتعلقة بالتشريع وحي من الله تعالى.

قال الشاطبي - رحمه الله - :

كل ما أخبر به رسول الله - ﷺ - من خبر فهو كما أخبر، وهو حق وصدق معتمد عليه فيما أخبر به وعنه، سواء انبنى عليه في التكليف حكم أم لا، كما أنه إذا شرع حكما، أو أقر، أو نهى، فهو كما قال - عليه الصلاة والسلام-، لا يفرق في ذلك بين ما أخبر به الملك عن الله، وبين ما نفث في روعه وألقي في نفسه، أو رآه رؤية كشف واطلاع على مغيب على وجه خارق للعادة، أو كيف ما كان فذلك معتبر يحتج به، ويبنى عليه في الاعتقادات والأعمال جميعا، لأنه - ﷺ - مؤيد بالعصمة، وما ينطق عن الهوى.[١]

فائدة (٧): الرهبانية قبل الإسلام.

والرهبانية: التخلي عن الدنيا والزهد فيها والابتعاد عن البشر والتفرغ للعبادة.

---

(١) الموافقات (٤ / ٥٢).

وهي عند النصارى ومن شابهوهم تعنى الانقطاع عن الدنيا وحرمان النفس من شهواتها وملذاتها؛ فيتركون الزواج والطيبات من المآكل والملابس؛ ويتقشفون ويعيشون على فتات الأشياء؛ فاعتزلوا النساء واتخذوا الصوامع؛ وبعضهم لحقوا بالجبال ونزلوا البراري. قال تعالى : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد :٢٧).

فائدة (٨) الرهبانية في الإسلام.

لا رهبانية في الإسلام؛ فإن الإسلام دين لا يهمل متطلبات النفس وشهواتها؛ فيعطيها بالسبل المشروعة والطرق الحلال؛ فهو دين الوسطية والاعتدال فلا إفراط ولا تفريط؛ وقد أخرج أحمد (٢٢٢٩١) وغيره حديث : "إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَلَا بِالنَّصْرَانِيَّةِ، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ"

وفي حديث آخر مرفوعًا: «إِنَّمَا بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، وَلَمْ أُبْعَثْ بِالرَّهْبَانِيَّةِ الْبِدْعَةِ، أَلَا وَإِنَّ أَقْوَامًا ابْتَدَعُوا الرَّهْبَانِيَّةَ فَكُتِبَتْ عَلَيْهِمْ، فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، أَلَا فَكُلُوا اللَّحْمَ، وَائْتُوا النِّسَاءَ، وَصُومُوا وَأَفْطِرُوا، وَصَلُّوا وَنَامُوا، فَإِنِّي بِذَلِكَ أُمِرْتُ»[١] .

---

(١) الطبراني في الكبير(٨ / ١٧٠) (٧٧١٥).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ فَقَالَ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: سَأَلْتَ عَمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ قَبْلِكَ، : «أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ، وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ»(١).

وفي الصحيحين عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» [متفق عليه].

وفي الصحيحين أيضا عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: «رَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لَاخْتَصَيْنَا».

والتبتل: هو الانقطاع عن النساء وترك النكاح انقطاعا إلى عبادة الله.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند وانظر السلسلة الصحيحة للألباني برقم (٥٥٥).

وقد رغب النَّبِيُّ ﷺ في النكاح فقال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» [متفق عليه من حديث ابن مسعود]

بيان أن الخلطة أفضل من العزلة إلا إذا كان في الخلطة شر.

قال الشيخ ابن عثيمين:

والعزلة خير إذا كان في الخلطة شر، أما إذا لم يكن في الخلطة شر؛ فالاختلاط بالناس أفضل، قال النبي ﷺ : "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم" .

لكن إذا كانت الخلطة ضرراً عليك في دينك، فانجُ بدينك، كما قال النبي ﷺ : "يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر" يعني يفر بدينه من الفتن.(١) انتهى

الفرق بين الرهبانية والاعتكاف

الاعتكاف سنة نبوية وهو لزوم المكث في المسجد بنية التقرب إلى الله تعالى؛ والاعتكاف لزوم مؤقت غير دائم؛ وهو مستحب غير واجب؛ إلا إذا نذره المعتكف؛ وهو فرصة للخلوة للذكر والعبادة؛ وكذا فرصة لشحذ الروح

---

(١) شرح رياض الصالحين (٣ / ٧٢).

والجسد للعودة للحياة؛ بخلاف الرهبانية فهم ألزموا أنفسهم بها؛ وانقطعوا عن الحياة ؛ ورفضوا التعايش مع الناس بحجة الانقطاع للعبادة؛ قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد :٢٧).

فائدة(٩): جواز اتخاذ مكان للعبادة.

ويدل عليه حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ، عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَقِيتُ عِتْبَانَ، فَقُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ، قَالَ: أَصَابَنِي فِي بَصَرِي بَعْضُ الشَّيْءِ، فَبَعَثْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتُصَلِّيَ فِي مَنْزِلِي، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى، ... " [أخرجه مسلم]

فائدة (١٠) فضل بر الوالدين.

ومما يستفاد من الحديث تعظيم شأن الأم ومن ثم الأب؛ فالوالدان حقهما عظيم عند الله تعالى على أبنائهم؛ قال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (الإسراء: ٢٢ - ٢٤). وقال سبحانه : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (النساء : ٣٦) وقل

جل شأنه: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الأنعام: ١٥١). وقال سبحانه : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ (الأحقاف: ١٥) وقال سبحانه :﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(العنكبوت :٨) وقال : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ . وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ لقمان (١٤ – ١٥).

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ . قال: "رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف" قيل: من؟ يا رسول الله! قال "من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة". [أخرجه مسلم]

*****

فائدة (١١): تقديم بر الوالدين على نافلة الصلاة.

ويستفاد من الحديث تقديم بر الوالدين على نافلة الصلاة؛ ولهذا قال العلماء: من دعاه والداه فإن كان في نافلة فليقطعها؛ وإن كان في فريضة فليخففها حتى يجيب والديه.

ولهذا بوب الإمام النووي في صحيح مسلم (١٦/ ١٠٥) فقال: باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

ثم قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٦/ ١٠٥) : قَالَ الْعُلَمَاءُ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ الصَّوَابُ فِي حَقِّهِ إِجَابَتَهَا لِأَنَّهُ كَانَ فِي صَلَاةِ نَفْلٍ، وَالِاسْتِمْرَارُ فِيهَا تَطَوُّعٌ لَا وَاجِبٌ ، وَإِجَابَةُ الْأُمِّ وَبِرُّهَا وَاجِبٌ، وَعُقُوقُهَا حَرَامٌ ، وَكَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يُخَفِّفَ الصَّلَاةَ وَيُجِيبَهَا ثُمَّ يَعُودَ لِصَلَاتِهِ ، فَلَعَلَّهُ خَشِيَ أَنَّهَا تَدْعُوهُ إِلَى مُفَارَقَةِ صَوْمَعَتِهِ ، وَالْعَوْدِ إِلَى الدُّنْيَا وَمُتَعَلِّقَاتِهَا وَحُظُوظِهَا ، وَتُضْعِفُ عَزْمَهُ فِيمَا نَوَاهُ وَعَاهَدَ عَلَيْهِ.

فائدة(١٢) : إذا تعارضت الأمور بدئ بأهمها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله:-

"وتمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرين وشر الشرين، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإلا فمن لم

يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرمات"[1]

فائدة (١٣): استجابة دعاء الوالدين في أولادهما.

ومما يستفاد من الحديث بيان أن دعاء الوالدين لأولادهما مستجاب ويؤكد هذا استجابة الله لدعاء أم جريج على ولدها؛ ومن ذلك أيضا ما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «كُلُّ شَيْءٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَابٌ، إِلَّا شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَدُعَاءَ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ»[2] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ "[3] .

فائدة(١٤): النهي عن الدعاء على الأولاد.

فعلى المرء أن يوطن نفسه على أن يدعو لأولاده لا أن يدعو عليهم حتى لو كان الولد عاقا؛ فالعاق هو أولى بالدعاء له؛ بالهداية والتوفيق؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠/ ٥١٢).

(٢) معجم أبي يعلى الموصلي(٢٥٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٨٦٢) وأبو داود الطيالسي(٢٦٣٩) والطبراني في الدعاء (١٣٢٣) وحسنه الألباني.

أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»(١).

فائدة (١٥): بيان فضل العلم .

ومن فوائد الحديث بيان فضل العلم؛ فما وقع جريج رحمه الله فيما وقع فيه إلا بسبب تقديم النافلة على الفريضة والواجب؛ وتقديم الأهم وفقه الأولويات باب عظيم من أبواب العلم؛ وقد وجه النبي ﷺ معاذا إلى اليمن لدعوتهم وعلمه أن يبدأ بالأولى والأهم ففي الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى اليَمَنِ، قَالَ: « إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، ... » الحديث.

فائدة (١٦): رؤية وجوه أصحاب المنكر عقوبة.

يستفاد من الحديث وجوب العزلة والهجر لأهل المعاصي والذنوب إلا إذا كانت المجالسة لدعوتهم وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وإلا فمجالستهم بل رؤيتهم عقوبة، فإن أم جريج دعت عليه بأن يعاقب برؤية وجوه المياميس وهن الزواني الفاجرات المجاهرات بذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٩) وأبو داود(١٥٣٢).

فائدة (١٧): واستعينوا بالصبر والصلاة.

فإن جريجا لما اتهم لجأ إلى الصلاة فكما ورد في الحديث " فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى .. "وفي الآية قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (البقرة : ٤٥)

وقَالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه: «رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ فِي شَمْلَةٍ يُصَلِّي، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى» [(١)] .

وفي الحديث قوله ﷺ : «يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا»[(٢)] .

فائدة (١٨): لا أبوة للزاني.

لا تثبت الأبوة للزاني؛ فولد الزنا ينسب لأمه حتى لو علم الزاني؛ فلعل في شريعتهم كان الولد ينسب للزاني بدليل قوله: " من أبوك" ؛ وقيل أن ذلك للسبب وهو النطفة؛ أي من ماء من أنت ؟ .

فائدة (١٩): إن الله يدافع عن أوليائه.

فإن الله تعالى نجى جريجًا من كربه؛ وأيده بكرامة ترد عنه التهمة وتبرئ ساحته مما رمي به؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

---

(١) تعظيم قد الصلاة للمروزي (٢١٢) وحسنه الألباني.

(٢) أبو داود (٤٩٨٦) وأحمد(٢٣٠٨٨).

كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج : ٣٨) وقال سبحانه : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (الشرح : ٥– ٦).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»(١)

قال الفاكهاني: "معناه؛ احفظ أمر الله واتقه، فلا يراك حيث نهاك، واحفظ حدود الله ومراسمه التي أوجبها عليك، فلا تُضيع منها شيئًا، فإذا فعلت ذلك حفظك الله في نفسك ودينك ودنياك. وهذا من أحسنِ العبارات عن هذا المعنى وأبلغها وأجزلها، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ "(٢).

****

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦٩) الترمذي (٢٥١٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) "قوت المغتذي على جامع الترمذي" للسيوطي (٢ /٦٠٥).

فائدة (٢٠): أمن يجيب المضطر إذا دعاه.

قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (النمل : ٦٢).

قال ابن كثير (٦ / ٢٠٤):

يُنَبِّهُ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ المدعُوّ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، المرجُوّ عِنْدَ النَّوَازِلِ، كَمَا قَالَ: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ﴾ (الْإِسْرَاءِ: ٦٧) ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (النَّحْلِ: ٥٣) . وَهَكَذَا قَالَ هَاهُنَا: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أَيْ: مَنْ هُوَ الَّذِي لَا يَلْجَأُ الْمُضْطَرُّ إِلَّا إِلَيْهِ، وَالَّذِي لَا يَكْشِفُ ضُرَّ الْمَضْرُورِينَ سِوَاهُ.

ثم قال ابن كثير معقبا (٦ / ٢٠٤):

وَذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَرْجَمَةِ رَجُلٍ -حَكَى عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الدِّينَوَرِي، الْمَعْرُوفُ بالدّقّيِّ الصُّوفِيُّ -قَالَ هَذَا الرَّجُلُ : كُنْتُ أُكَارِي عَلَى بَغْلٍ لِي مِنْ دِمَشْقَ إِلَى بَلَدِ الزّبَدَانِي، فَرَكِبَ مَعِي ذَاتَ مَرَّةٍ رَجُلٌ، فَمَرَرْنَا عَلَى بَعْضِ الطَّرِيقِ، عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ مَسْلُوكَةٍ، فَقَالَ لِي: خُذْ فِي هَذِهِ، فَإِنَّهَا أَقْرَبُ. فَقُلْتُ: لَا خِبرَةَ لِي فِيهَا، فَقَالَ: بَلْ هِيَ أَقْرَبُ. فَسَلَكْنَاهَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَكَانٍ وَعْرٍ وَوَادٍ عَمِيقٍ، وَفِيهِ قَتْلَى كَثِيرٌ، فَقَالَ لِي: أَمْسِكْ رَأْسَ الْبَغْلِ حَتَّى أَنْزِلَ. فَنَزَلَ وَتَشَمَّرَ،

وَجَمعَ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ، وَسَلَّ سِكِّينًا مَعَهُ وَقَصَدَنِي، فَفَرَرْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَتَبِعَنِي، فَنَاشَدْتُهُ اللَّهَ وَقُلْتُ: خُذِ الْبَغْلَ بِمَا عَلَيْهِ. فَقَالَ: هُوَ لِي، وَإِنَّمَا أُرِيدُ قَتْلَكَ. فَخَوَّفْتُهُ اللَّهَ وَالْعُقُوبَةَ فَلَمْ يَقْبَلْ، فَاسْتَسْلَمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقُلْتُ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَتْرُكَنِي حَتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ؟ فَقَالَ: صَلِّ وَعَجِّلْ. فقمت أصلي فَأَرْتِج عليَّ الْقُرْآنُ فَلَمْ يَحضرني مِنْهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ، فَبَقِيتُ وَاقِفًا مُتَحَيِّرًا وَهُوَ يَقُولُ: هِيهِ. افرُغ. فَأَجْرَى اللَّهُ عَلَى لِسَانِي قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ ، فَإِذَا أَنَا بِفَارِسٍ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ فَمِ الْوَادِي، وَبِيَدِهِ حَرْبَةٌ، فَرَمَى بِهَا الرَّجُلَ فَمَا أَخطَأَتْ فُؤَادَهُ، فَخَرَّ صَرِيعًا، فَتَعَلَّقْتُ بِالْفَارِسِ وَقُلْتُ: بِاللَّهِ مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ، وَيَكْشِفُ السُّوءَ. قَالَ: فَأَخَذْتُ الْبَغْلَ وَالْحِمْلَ وَرَجَعْتُ سَالِمًا.

قصة نجاة أحد الصالحين

وَذُكِرَ فِي تَرْجَمَةِ "فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحَسَنِ أُمِّ أَحْمَدَ الْعِجْلِيَّةِ" قَالَتْ: هَزَمَ الْكُفَّارُ يَوْمًا الْمُسْلِمِينَ فِي غَزَاةٍ، فَوَقَفَ جَوَاد جَيِّد بِصَاحِبِهِ، وَكَانَ مِنْ ذَوِي الْيَسَارِ وَمِنَ الصُّلَحَاءِ، فَقَالَ لِلْجَوَادِ: مَا لَكَ؟ وَيْلَكَ. إِنَّمَا كُنْتُ أَعُدُّكَ لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ. فَقَالَ لَهُ الْجَوَادُ: وَمَا لِيَ لَا أُقَصِّرُ وَأَنْتَ تَكِلُ عَلُوفَتِي إِلَى السُّوَّاسِ فَيَظْلِمُونَنِي وَلَا يُطْعِمُونَنِي إِلَّا الْقَلِيلَ؟ فَقَالَ: لَكَ عليَّ عَهْدُ اللَّهِ أَنِّي لَا أَعْلُفُكَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ

إِلَّا فِي حِجْرِي. فَجَرَى الْجَوَادُ عِنْدَ ذَلِكَ، ونجّى صَاحِبَهُ، وَكَانَ لَا يَعْلِفُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا فِي حِجْره، وَاشْتَهَرَ أَمْرُهُ بَيْنَ النَّاسِ، وَجَعَلُوا يَقْصِدُونَهُ لِيَسْمَعُوا مِنْهُ ذَلِكَ، وَبَلَغَ مَلِكَ الرُّومِ أمرُه، فَقَالَ: مَا تُضَام بَلْدَةٌ يَكُونُ هَذَا الرَّجُلُ فِيهَا. وَاحْتَالَ لِيُحَصِّلَهُ فِي بَلَدِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلًا مِنَ الْمُرْتَدِّينَ عِنْدَهُ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ أَظْهَرَ لَهُ أَنَّهُ قَدْ حَسُنت نِيَّتُهُ فِي الْإِسْلَامِ وَقَوْمِهِ، حَتَّى اسْتَوْثَقَ، ثُمَّ خَرَجَا يَوْمًا يَمْشِيَانِ عَلَى جَنْبِ السَّاحِلِ، وَقَدْ وَاعَدَ شَخْصًا آخَرَ مِنْ جِهَةِ مَلِكِ الرُّومِ لِيَتَسَاعَدَا عَلَى أَسْرِهِ، فَلَمَّا اكْتَنَفَاهُ لِيَأْخُذَاهُ رَفَع طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ، إِنَّهُ إِنَّمَا خَدَعني بِكَ فَاكْفِنِيهِمَا بِمَا شِئْتَ، قَالَ: فَخَرَجَ سَبُعَانِ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَاهُمَا، وَرَجَعَ الرَّجُلُ سَالِمًا(١).

أدعية نبوية لحال الكرب

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» أخرجه البخاري ومسلم.

---

(١) تفسير ابن كثير (٦ / ٢٠٦) وتاريخ دمشق (٧٠ / ٩).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "دَعوات المَكروب: اللّٰهمَّ رَحمتَك أَرجُو، وَلَا تَكلنِي إِلَى نَفسِي طَرفَة عَينٍ وأَصلِح لِي شَأنِي كُلهُ لَا إِلَهَ أَلَا أَنت"[البخاري في "الأدب المفرد" (٧٠١)].

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَّمَهَا كَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ: «اللهُ اللهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» [النسائي وابن ماجه].

قصة عظيمة لعبد الرحمن بن زياد الأفريقي .

قال الذهبي رحمه الله :

أَسَرَتْهُ الرُّوْمُ، فَقُدِّمَ لِيُقتَلَ بَعْدَ قَتْلِ طَائِفَةٍ.

قَالَ: فَحَرَّكْتُ شَفَتِي، وَقُلْتُ: اللهُ اللهُ رَبِّي، لاَ أُشرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَلاَ أَتَّخِذُ مِنْ دُوْنِه وَلِيّاً.

فَأَبصَرَ الطَّاغِيَةُ فِعْلِي، فَقَالَ: قَدِّمُوا شَمَّاسَ العَرَبِ، لَعَلَّكَ قُلْتَ: اللهُ اللهُ رَبِّي، لاَ أُشرِكُ بِهِ شَيْئاً؟!

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: وَمِنْ أَيْنَ عَلِمْتَه؟

قُلْتُ: نَبِيُّنَا أَمَرَنَا بِهِ.

فَقَالَ لِي: وَعِيْسَى أَمَرَنَا بِهِ فِي الإِنْجِيْلِ.

فَأَطلَقَنِي وَمَنْ مَعِيَ[1].

فائدة (٢١): وجوب التثبت من الأخبار والشائعات وعدم المسارعة في التهمة بلا برهان.

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (الحجرات: ٦).

وقال سبحانه: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (الإسراء:٣٦).

قال قتادة: "لا تقل سمعت ولم تسمع، ولا تقل رأيت ولم تر، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله".

ويجب إحسان الظن بالمؤمنين؛ قال تعالى: ﴿ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (النجم : ٢٨).

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٦/ ٤١٢).

وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحجرات : ١٢).

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ".

فائدة (٢٢): الوضوء في الأمم السابقة.

الراجح من ظاهر النصوص أن الوضوء كان مشروعا في الأمم السابقة؛ ففي لفظ الحديث في صحيح البخاري برقم (٣٤٣٦): "فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الغُلاَمَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلاَمُ؟ قَالَ: الرَّاعِي، .... ".

وقد أخرج الطبراني في الأوسط"(٣٦٦١) بسنده عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَقَالَ: «هَذَا الْوُضُوءُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ الصَّلَاةَ إِلَّا بِهِ» ثُمَّ تَوَضَّأَ ثِنْتَيْنِ ثِنْتَيْنِ، فَقَالَ: «هَذَا وُضُوءُ الْأُمَمِ قِبَلَكُمْ» ثُمَّ تَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، فَقَالَ «هَذَا وُضُوئِي وَوُضُوءُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي».

وأخرج ابن ماجه (٤١٩) والطبراني في "المعجم الكبير" (١٣/ ٢٣٤) (١٣٩٦٨) بسند ضعيف جدا: عن ابن عمر، قال: توضَّأَ رسولُ الله ﷺ

مرَّةً مرَّةً، وقال: «هَذَا وَظِيفَةُ الوُضُوءِ الَّذِي لاَ يَقْبَلُ اللهُ صَلاَةً إِلاَّ بِهِ» ، ثم توضَّأ مرَّتين مرَّتين، وقال: «هَذَا القَصْدُ مِنَ الوُضُوءِ، ويُضَاعِفُ اللهُ الأَجْرَ لِصَاحِبِهِ مَرَّتَيْنِ»، ثم توضَّأ ثلاثًا ثلاثًا، ثم قال: «هَذا وُضُوئِي ووُضُوءُ خَلِيلِ اللهِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ ، ووُضُوءُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي - صلواتُ اللهِ عليهم - ومَنْ قَالَ بَعْدَ فَرَاغِهِ: "أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"، فَتَحَ اللهُ لَهُ مِنَ الجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ».

فائدة (٢٣): كل ذي نعمة محسود.

وهذا حق ؛ والحسد بسبب الطاعة والصلاح أعلى وأشد؛ قال سبحانه : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة : ١٠٩).

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ ... فَالنَّاسُ أَضْدَادٌ لَهُ وَخُصُومُ

كَضَرَائِرِ الْحَسْنَاءِ قُلْنَ لِزَوْجِهَا ... حَسَدًا وَبَغْيًا إِنَّهَا لَدَمِيمُ

وقد نهى الله ورسوله عن الحسد؛ ففي الصحيحين عن أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ».

فائدة (٢٤): عداوة الشيطان وأوليائه لأهل الإيمان.

وقد ظهر هذا جليًا في عداوة عصبة الشر لجريج رحمه الله؛ حتى أنهم سلطوا عليه امرأة بغيا لفتنته؛ قال تعالى حاكيًا عن إبليس : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (ص :٨٢ -٨٣)

وقال سبحانه: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (الإسراء :٥٣). وقال عز وجل :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ . إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر :٥ – ٦).

فائدة (٢٥): ليس أحد بعيدًا عن تهمة أهل الباطل.

فالأنبياء والرسل لم يسلموا من طعن أهل الباطل وأولياء الشيطان؛ فقد رموهم بالجنون والسفاهة والسحر والشعر والكهانة.

ولهذا قال الشافعي رحمه الله :"ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر الذي فيه صلاحُك فالْزمْه"

****

ولهذا احتاط النبي ﷺ من وسوسة الشيطان لبعض الصحابة؛ ففي الصحيحين من حديث صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» فَقَالاَ سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا ".

فائدة (٢٦): مشروعية الدفاع عن النفس

فإن جريجًا دافع عن نفسه وطعن في بطن الغلام متوكلا على الله فأنطق الله الرضيع ببراءة جريج؛ فلم يستسلم للتهمة الباطلة؛ قال تعالى : ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ (الشورى:٤١)، وفي قوله تعالى : ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة:١٩٤).

ويوسف عليه السلام دافع عن نفسه قائلا - كما في القرآن: ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ (يوسف: ٢٦).

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ» [مسلم].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» [أبو داود (٤٧٧٢)].

فائدة (٢٧): من أتلف شيئا فعليه إصلاحه.

فمن أتلف أو أفسد مالا محترما فعليه ضمانه؛ بالقيمة أو بالمثل ومن ذلك قول جريج عن صومعته بعد تكسيرها " أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا ".

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾ (النحل : ١٢٦).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن بعض أزواج النبي - ﷺ - أهدت طعاماً في قصعة، فضربت عائشة رضي الله عنها القصعة بيدها فألقت ما فيها وكسرتها فأخذ النبي - ﷺ - قصعة عائشة وردها " طعام بطعام وإناء بإناء". [البخاري]

فائدة (٢٨): عدم الاغترار بالمظاهر: ومما يستفاد من الحديث عدم الإغترار بالمظاهر ففي الحديث قول الطفل الرضيع عن الرجل صاحب الشارة والدابة

الفارهة: "اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ" لأنه كان جبارا ظالما ؛ ومما يؤكد هذا ما ورد في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا، ﴿ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]" متفق عليه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أيضا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ» [مسلم (٢٦٢٢)]

وكذا أيضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» [مسلم (٢٦٢٢)]

فائدة (٢٩): الدنيا يعطيها الله للمؤمن والكافر.

فالله عز وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، ولهذا أكثر أهل الجنة الضعفاء وأكثر أهل النار الجبارون والمتكبرون فعَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٌ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ. أَلَا أُخبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ» . مُتَّفق عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَة مُسلم: «كل جواظ زنيم متكبر».

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " احْتَجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ، وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ، وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا ".

فائدة (٣٠): الوسيلة التعليمية لتقريب المعنى وتسهيل الفهم.

ويستفاد من الحديث التمثيل لتقريب الفهم والمعنى واستعمال ما يعين على ذلك؛ فإن النبي ﷺ وضع إصبعه في فمه يحكي ارتضاع الصبي؛ وقد اتخذ النبي ﷺ الوسيلة التعليمية في أكثر من مناسبة؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وَقَالَ: " هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا " [البخاري].

وكذا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أيضا قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ:

«هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ تَلَا ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: ١٥٣). [الدارمي (٢٠٨) وأحمد(٤١٤٢)].

فائدة (٣١): الترهيب من الظلم والطغيان .

وقد دعا الطفل الرضيع في الحديث بألا يجعله الله مثل الرجل لأنه كان جبارا ظالما متكبرا؛ والله تعالى يقول : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ (طه : ١١١).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا" . [مسلم(٢٥٧٧)].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ: "اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[مسلم (٢٥٧٨)].

فائدة (٣٢): فضل الصبر على الظلم.

الصبر على المظالم عاقبته إلى خير لا شك؛ إما في الدنيا والأخرة ؛ ومن ذلك صبر بلال رضي الله عنه؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: " كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا

أَبُوبَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالًا، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ " [ابن ماجه(١٥٠)].

صبرا آل ياسر

وأخرج الطبراني في الأوسط (١٥٠٨) عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَبِأَهْلِهِ، وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: «أَبْشِرُوا آلَ يَاسِرٍ، مَوْعِدُكُمُ الْجَنَّةُ».

قصة صهيب رضي الله عنه

فعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: أَقْبَلَ صُهَيْبٌ مُهَاجِرًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَاتَّبَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ وَانْتَثَلَ مَا فِي كِنَانَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْمَاكُمْ رَجُلًا، وَايْمُ اللَّهِ لَا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أَرْمِيَ بِكُلِّ سَهْمٍ مَعِي فِي كِنَانَتِي، ثُمَّ أَضْرِبَ بِسَيْفِي مَا بَقِيَ فِي يَدِي مِنْهُ شَيْءٌ، ثُمَّ افْعَلُوا مَا شِئْتُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ دَلَلْتُكُمْ عَلَى مَالِي وَقَيْنَتِي بِمَكَّةَ وَخَلَّيْتُمْ سَبِيلِي"، قَالُوا: نَعَمْ، فَفَعَلَ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ قَالَ: "رَبِحَ الْبَيْعَ أَبَا يَحْيَى رَبِحَ الْبَيْعَ أَبَا

يَحْيَى ، قَالَ: وَنَزَلَتْ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ". [مسند الحارث (٦٧٩)].

فائدة (٣٣): فضل قول: حسبي الله ونعم الوكيل.

ومن فوائد الحديث قول الأمَةِ المتهمة بالباطل ظلما وزوراً : " حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" فهو دعاء الصالحين والمظلومين والضعفاء؛ وقد أمر الله به؛ قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (التوبة :١٢٩).

وقوله تعالى :﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (الزمر :٣٨).

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣). وأخرج البخاري بسنده (٤٥٦٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، «قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ » حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ التَقَمَ صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ» قَالَ المُسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا»(١) .

فائدة (٣٤): فضل ضعفة المسلمين والفقراء الخاملين.

ومما يستفاد من الحديث بيان فضل الضعفاء وبيان سوء عاقبة المتكبرين والظالمين؛ فعن أبي هريرة أنَّ رسول الله - ﷺ - قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمشِي في حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأسَهُ، يَخْتَالُ فِي مَشْيَتِهِ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ في الأَرضِ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ». متفقٌ عَلَيْهِ.

وقد بوب الإمام النووي في "رياض الصالحين" (ص ١٠٣): باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين.

جاء فيه عن حارثة بن وهْبٍ - رضي الله عنه - قَالَ: سمعت رَسُول الله - ﷺ - يقولُ: «ألاَ أُخْبِرُكُمْ بِأهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيف مُتَضَعَّف، لَوْ أقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

---

(١) الترمذي(٣٢٤٣) والحميدي في مسنده (٧٧١) وصححه الألباني.

وعن أَبي عباس سهل بن سعد الساعِدِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى النَّبيّ - ﷺ - فَقَالَ لرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٌ: «مَا رَأيُكَ في هَذَا؟»، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا واللهِ حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ. فَسَكَتَ رسولُ الله - ﷺ - ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخرُ، فَقَالَ لَهُ رسولُ الله - ﷺ : «مَا رَأيُكَ في هَذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَراءِ المُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أَنْ لا يُنْكَحَ، وَإنْ شَفَعَ أَنْ لا يُشَفَّعَ، وَإنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْمَعَ لِقَولِهِ. فَقَالَ رَسُول الله - ﷺ : «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وعن أَبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النَّبيّ - ﷺ - قَالَ: «احْتَجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ، فقالتِ النَّارُ: فِيَّ الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ، فَقَضَى اللهُ بَيْنَهُمَا: إنَّكِ الجَنَّةُ رَحْمَتِي أرْحَمُ بِكِ مَنْ أشَاءُ، وَإنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أشَاءُ، وَلِكلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا». [مسلم].

وعن أسامة - رضي الله عنه - عن النَّبيّ - ﷺ - قَالَ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ

أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ. وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

فائدة (٣٥): فضل الزهد.

يعني القناعة باليسير؛ والزهد في الملبس والأكل والمركب مع أن الله تعالى أباح الطيبات من الرزق؛ ولكن ينبغي ألا يكون بإسراف ومخيلة؛ قال تَعَالَى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ في الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ الله وَرِضْوَانٌ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾ (الحديد: ٢٠).

وقال تَعَالَى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ﴾ (آل عمران: ١٤).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ الْحَارِثِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الْبَذَاذَةُ مِنَ الْإِيمَانِ»، قَالَ: الْبَذَاذَةُ الْقَشَافَةُ، يَعْنِي التَّقَشُّفَ[١].

(١) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه واللفظ له.

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَبْشِرُوا وَأَمِّلْوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوالله مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلكِنِّي أخْشَى أَنْ تُبْسَط الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أهْلَكَتْهُمْ». متفقٌ عَلَيْهِ.

وعن أنس - رضي الله عنه: أن النبي - ﷺ - قَالَ: «اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشَ الآخِرَةِ». متفقٌ عَلَيْهِ.

هذا ما تيسر

والله من وراء القصد

٢٠١٨-١٤٣٩

فضائل ذكر الله

أبو عاصم البركاتي المصري

يا رب إنْ عَظُمت ذنوبي كثرةً ..... فلقد عَلِمتُ بأن عَفوكَ أعظمُ

إن كان لا يرجـوكَ إلا مُحسِنٌ ..... فبمن يلوذ ويستجيرُ المجرمُ

إني دعوتُ كما أمَرْتَ تضرعاً ..... فإذا رددت يدي فمن ذا يرحمُ

ما لي إليك وسيلةٌ إلا الرجـا ..... وجميلُ عفوكَ ثـم أني مسـلمُ

فضل الذكر

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم قالوا: بلى يا رسول الله. قال : ذكر الله عز وجل " رواه أحمد.

وفي صحيح البخاري عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال:"مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت".

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله تبارك وتعالى: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرا

تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة".

وأخرج أحمد والترمذي وابن ماجة وصححه الألباني عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلًا قال: " يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به "، قال: "لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"

وأخرج أحمد والترمذي وصححه الألباني عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ ﷺ : " ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا علي نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم".

وأخرج أحمد وأبو داود وابن ماجة وصححه الألباني عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: " ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه، إلا قاموا عنه مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة".

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ فَقَالَ: « سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ ». قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ ».أخرجه مسلم (٢٦٧٦).

(١) ذكر الله امتثال لأمر الله تعالى في قوله : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ واشْكُرُوا لِي ولا تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة: ١٥٢).

وقوله جل شأنه :﴿ واذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وخِيفَةً ودُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالْغُدُوِّ والآصَالِ ولا تَكُن مِّنَ الغَافِلِينَ ﴾(الأعراف: ٢٠٥).

وقوله تعالى : ﴿ واذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ (المزمل: ٨).

وقوله : ﴿واذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وأَصِيلاً . ومِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾ (الإنسان: ٢٥ – ٢٦).

وقوله سبحانه :﴿ يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً. وسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً ﴾ (الأحزاب: ٤١ – ٤٢).

(٢) ترك الذكر غفلة : أخرج البيهقي في شعب الإيمان(١ /٣٩٦) بسنده عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: "لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل" .

ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ الحديد، وجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه أبيضاً ناصعاً.

وصدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر .

قال تعالى :﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾ (الكهف:٢٨).

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ ولا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾ (المنافقون: ٩)

(٣) ذكر الله مأمور به في الحج، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ المَشْعَرِ الحَرَامِ واذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وإن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾(البقرة: ١٩٨).

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا ومَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ (البقرة: ٢٠٠).

وقوله تعالى : ﴿ واذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ومَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى واتَّقُوا اللَّهَ واعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (البقرة: ٢٠٣).

وقوله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا

رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا البَائِسَ الفَقِيرَ ﴾ (الحج: ٢٧ - ٢٨).

وقوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ . الَذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الحج: ٣٤ - ٣٥).

(٤) تبنى المساجد لإقامة الصلاة وليذكر فيها الله، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ والآصَالِ . رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ ولا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وإِقَامِ الصَلاةِ وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ والأَبْصَارُ ﴾ (النور: ٣٦ -٣٧).

(٥) ذكر الله في الصلاة وبعد الصلاة، قال تعالى :﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الوُسْطَى وقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ . فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٣٨ - ٢٣٩).

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وقُعُوداً وعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى المُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً ﴾ (النساء: ١٠٣).

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وذَرُوا البَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ واذْكُرُوا اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ٩- ١٠).

(٦) ذكر الله سبب للتوبة ، قال تعالى :﴿ والَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ومَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ولَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران:١٣٥).

(٧) ذكر الله سبب لزيادة الإيمان ، قال تعالى ﴿الَذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وقُعُوداً وعَلَى جُنُوبِهِمْ ويَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران: ١٩١).

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال: ٢)

(٨) ذكر الله سبب للثبات في ساحة الجهاد ، قال تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا واذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الأنفال: ٤٥).

(٩) ذكر الله سبب لطمأنينة القلب ، قال تعالى:﴿ الَذِينَ آمَنُوا وتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨).

(١٠) ولذكر الله أكبر ، قال تعالى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والْمُنكَرِ ولَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ واللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

(١١) ذكر الله سبب للفلاح قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى . وذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (الأعلى: ١٤ –١٥).

وقوله تعالى : ﴿ إِلاَّ الَذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وسَيَعْلَمُ الَذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء: ٢٢٧).

(١٢) ذكر الله سبب للتقوى والخوف من الله تعالى، قال سبحانه:﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ومَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر: ٢٣).

(١٣) ذكر الله عون على الصبر ، قال عز وجل : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ (طه: ١٣٠).

(١٤) كنز في الجنة ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "قل: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة" رواه البخاري ومسلم.

(١٥) عتق الرقاب : عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال: "مَنْ قَالَ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كانَ كَمَنْ أعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ. "صحيح مسلم.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : " من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على شيء قدير . في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة

ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك ".

(١٦) رياض الجنة : وفي الترمذي عن أنس " أن رسول الله ﷺ قال إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا : يا رسول الله ، وما رياض الجنة ؟ قال حلق الذكر. "

(١٧) ذكر الله سبب لأن يستظل العبد بظل الله يوم القيامة كما في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، منهم: " ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه".

(١٨) فضل الذكر والتسبيح: قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٤٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة ، حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر ".

رواه البخاري(٦٤٠٥)

وقال ﷺ : " كلمتان خفيفتان علي اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلي الرحمن " سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".

وقال ﷺ : " أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ "، فسأله سائل من جلسائه: "كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ "، قال: " يسبح مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة[1]".

وقال ﷺ : "من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة".

وقال ﷺ: " أحب الكلام إلي الله أربع : سبحان الله، والحمد لله ، ولا إله إلا الله، والله أكبر ، لا يضرك بأيهن بدأت".

وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ : "ألا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلامِ إلى اللَّهِ تَعالى؟ إِنَّ أَحَبَّ الكَلام إلى اللَّه: سُبحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ"، وفي رواية: سئل رسول الله ﷺ : أيّ الكلام أفضل؟ قال: "ما اصْطَفى اللَّهُ لِمَلائِكَتِهِ أوْ لعبادِهِ: سُبْحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ". صحيح مسلم

أفضل الذكر وأفضل الدعاء

قال رسول الله ﷺ : "أفضل الذكر : لا إله إلا الله وأفضل الدعاء : الحمد لله"[2] .

وقال ﷺ أيضًا " التسبيح نصف الميزان و الحمد لله تملأ الميزان؛ ولا اله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه".

---

(١) صحيح : انظر صحيح الجامع(٢٦٦٥) .

(٢) حسن: انظر صحيح الجامع(١١٠٤) .

وقال رسول الله ﷺ: "من ضن بالمال أن ينفقه وبالليل أن يكابده فعليه بسبحان الله وبحمده[1]" .

وقال ﷺ : " لأن أقول: سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير إلى مما تطلع عليه الشمس" .

وعن يسيرة الصحابية رضي الله عنها أن النبي ﷺ: "أمرهن أن يراعين التسبيح والتقديس وأن يعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات مستنطقات[2]" .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : " رأيت النبي ﷺ يعقد التسبيح بيمينه[3]" .

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ والْيَوْمَ الآخِرَ وذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (الأحزاب: ٢١).

والله من وراء القصد

---

(١) صحيح: انظر صحيح الجامع(٦٣٧٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٠١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع(٤٠٨٧).

(٣) أخرجه أبو داود(١٥٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع(٤٩٨٩).

فيض الرحمن بشرح حديث
صفة الوضوء من رواية عثمان
رضي الله عنه

أبو عاصم البركاتي المصري

عن حُمْرَانَ، مَوْلَى عُثْمَانَ، أَخْبَرَهُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «دَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ». ثُمَّ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

تخريج الحديث: أخرجه البخاري (١٦٤) ومسلم (٢٢٦).

الفائدة الأولى : حُمْرَانُ بنُ أَبَانٍ الفَارِسِيُّ؛ مَوْلَى أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ عُثْمَانَ؛ وثقه ابن حبان والذهبي. حَدَّث عَنْ: عُثْمَانَ، وَمُعَاوِيَةَ. طَالَ عُمُرُهُ، وَتُوُفِّيَ: سَنَةَ نَيِّفٍ وَثَمَانِيْنَ.

الفائدة الثانية: عدم انشغال عثمان بن عفان رضي الله عنه بأشغال الخلافة والحكم عن تعليم الناس أمور دينهم.

الفائدة الثالثة : صفة الوضوء:

(١) غسل الكفين ثلاثًا (٢) المضمضة والاستنشاق ثلاثًا (٣) غسل الوجه ثلاثًا (٤) غسل اليد اليمنى من أطراف الأصابع إلى المرفق ثلاثًا (٥) غسل اليد اليسرى من أطراف الأصابع إلى المرفق ثلاثًا (٦) مسح الرأس مع الأذنين مرة واحدة (٧) غسل الرجل اليمنى إلى الكعبين ثلاثًا (٨) غسل الرجل اليسرى إلى الكعبين ثلاثًا.

الفائدة الرابعة : سنن الوضوء :

(١) تقديم السواك.

(٢) التسمية.

(٣) غسل الكفين في أول الوضوء .

(٤) ويستحب التثليث في غير الرأس.

(٥) إطالة الغرة.

(٦) تخليل اللحية الكثيفة؛ يعنى أخذ كف من الماء ورشه داخل شعر اللحية تحت الذقن .

(٧) المبالغة في المضمضة والاستنشاق لغير الصائم.

(٨) تدليك الأعضاء.

(٩) البدء بالأعضاء اليمنى ثم اليسرى.

(١٠) الدعاء المأثور بعده.

مكروهات الوضوء:

(١) الإسراف في الماء.

(٢) الزيادة على الثلاث مرات.

(٣) زيادة عضو ليس من أعضاء الوضوء بغسل أو مسح كالرقبة مثلا.

(٤) ترك سنة أو أكثر من سنن الوضوء.

نواقض الوضوء:

(١) الخارج من أحد السبيلين القبل، والدبر؛ كالبول والغائط والريح والدم والقيح والصديد والحصى والدود والمذي والودي والمني؛ ودم الحيض والولادة ودم النفاس.

(٢) غياب العقل بالكلية؛ وله أسباب منها النوم المستغرق والسكر والجنون والصرع والإغماء ببنج أو مخدر أو بمرض ونحوه.

(٣) مس الفرج بلا حائل بكف اليدين أو أحدهما.

(٤) أكل لحم الإبل عند الحنابلة. لحديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَأَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَوَضَّأْ» قَالَ أَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: «نَعَمْ فَتَوَضَّأْ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ»[1].

جاء في "عون المعبود" (١ /٢١٧): وَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَكْلَ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ مِنْ جُمْلَةِ نَوَاقِضِ الْوُضُوءِ وَذَهَبَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنبَلٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهْوَيْهِ وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وأبو بكر بن المنذر وبن خزيمة واختار الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ وَحُكِيَ عَنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ مُطْلَقًا وَحُكِيَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَاحْتَجَّ هَؤُلَاءِ بِحَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ وَالْبَرَاءِ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنبَلٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهْوَيْهِ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا حَدِيثَانِ جَابِرٍ وَحَدِيثُ الْبَرَاءِ وَهَذَا الْمَذْهَبُ أَقْوَى دَلِيلًا وَإِنْ كَانَ الْجُمْهُورُ عَلَى خِلَافِهِ . انتهى

(٥) القيء عند الحنفية ومن وافقهم.

لحديث أَبِي الدَّرْدَاءِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاءَ، فَتَوَضَّأَ، فَلَقِيتُ ثَوْبَانَ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: صَدَقَ، أَنَا صَبَبْتُ لَهُ وَضُوءَهُ[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٦٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٨٧) وأبو داود (٢٣٨١).

قال الترمذي في سننه(١ / ١٤٢): وَقَدْ رَأَى غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ: الوُضُوءَ مِنَ القَيْءِ وَالرُّعَافِ، وَهُوَ قَوْلُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَابْنِ المُبَارَكِ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ وقَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: لَيْسَ فِي القَيْءِ وَالرُّعَافِ وُضُوءٌ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ.

(٦) مس المرأة عند الشافعية ومن وافقهم.

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [المائدة: ٦] أَيْ لَمَسْتُمْ كَمَا قُرِئَ بِهِ فَعَطَفَ اللَّمْسَ عَلَى الْمَجِيءِ مِنْ الْغَائِطِ وَرَتَّبَ عَلَيْهِمَا الْأَمْرَ بِالتَّيَمُّمِ عِنْدَ فَقْدِ الْمَاءِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ حَدَثٌ لَا جَامَعْتُمْ؛ لِأَنَّهُ خِلَافُ الظَّاهِرِ إذْ اللَّمْسُ لَا يَخْتَصُّ بِالْجِمَاعِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٧] وَقَالَ ﷺ: «لَعَلَّك لَمَسْت» وَلَا فرق فِي ذَلِك بَين أَن يكون بِشَهْوَة أَو إِكْرَاها أَو نِسْيَان أَو يكون الرجل ممسوحا أَو خَصيا أَو عنينا أَو الْمَرْأَة عجوزا شوهاء أَو كَافِرَة بتمجس أَو غَيره أَو حرَّة أَو رقيقَة أَو أَحدهمَا مَيتا لَكِن لَا ينْتَقض وضوء الْمَيِّت واللمس الجس بِالْيَدِ[١].

(٧) كل ما أوجب غسلا أوجب وضوءً.

ومثله الجماع والتقاء الختانين ودم الحيض ودم النفاس.

---

(١) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للخطيب الشربيني (١ / ٦٢).

الفائدة الخامسة : الوضوء شرط لصحة الصلاة.

قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ المائدة .

ومن السنة :

ما أخرج مسلم عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ عَلَى ابْنِ عَامِرٍ يَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقَالَ: أَلَا تَدْعُو اللهَ لِي يَا ابْنَ عُمَرَ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ، وَكُنْتَ عَلَى الْبَصْرَةِ».

وعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لاَ تُقْبَلُ صَلاَةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ» قَالَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ: مَا الحَدَثُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟، قَالَ: فُسَاءٌ أَوْ ضُرَاطٌ. متفق عليه .

وقد انعقد إجماع المسلمين على مشروعيه الوضوء ووجوبه لمن أراد الصلاة وما في معناها من عهد رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يومنا هذا فصار من المعلوم من الدين بضرورة .

الفائدة السادسة : الوضوء من الطهارة الحسية والحكمية الشرعية:

فالوضوء طهارة شرعية وهو طهارة حسية مادية كذلك، والله عز وجل يحب المتطهرين ، قال تعالى:﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة: ١٠٨).

وقال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(البقرة:٢٢٢).

وقال سبحانه :﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ المائدة: ٦.

وقال جل شأنه : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ (الأنفال :١١).

والطهارة بمعنى الطهارة الحسية من الأقذار والنجاسات والأحداث ، والطهارة المعنوية من الذنوب والمعاصي.

وعَنْ حُمْرَانَ، مَوْلَى عُثْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، وَهُوَ بِفِنَاءِ الْمَسْجِدِ فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ عِنْدَ الْعَصْرِ فَدَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ فَيُصَلِّي صَلَاةً إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي تَلِيهَا».

وأخرج مسلم عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ أَبِي صَخْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ حُمْرَانَ بْنَ أَبَانَ، قَالَ: كُنْتُ أَضَعُ لِعُثْمَانَ طَهُورَهُ فَمَا أَتَى عَلَيْهِ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ يُفِيضُ عَلَيْهِ نُطْفَةً وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ انْصِرَافِنَا مِنْ صَلَاتِنَا هَذِهِ - قَالَ مِسْعَرٌ: أُرَاهَا الْعَصْرَ - فَقَالَ: «مَا أَدْرِي أُحَدِّثُكُمْ بِشَيْءٍ أَوْ أَسْكُتُ؟» فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَ خَيْرًا فَحَدِّثْنَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَاللهُ ورسولهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَطَهَّرُ، فَيُتِمُّ الطُّهُورَ الَّذِي كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ، فَيُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَاتٍ لِمَا بَيْنَهَا»

وفي لفظ أخر أخرجه مسلم عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ حُمْرَانَ بْنَ أَبَانَ، يُحَدِّثُ أَبَا بُرْدَةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ فِي إِمَارَةِ بِشْرٍ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَتَمَّ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى، فَالصَّلَوَاتُ الْمَكْتُوبَاتُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ»

وأحرج البخاري عَنْ نُعَيْمٍ الْمُجْمِرِ، قَالَ: رَقِيتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى ظَهْرِ الْمَسْجِدِ، فَتَوَضَّأَ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»

وأخرجه مسلم عَنْ نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّهُ رَأَى أَبَا هُرَيْرَةَ يَتَوَضَّأُ فَغسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ حَتَّى كَادَ يَبْلُغُ الْمَنْكِبَيْنِ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ حَتَّى رَفَعَ إِلَى السَّاقَيْنِ، ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»

وأخرج مسلم كذلك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ»

وأخرج مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: " فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ

الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا ".

الطهور شطر الإيمان

وأخرج مسلم عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»

الوضوء كفارة للذنوب

وأخرج مسلم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبَتِي فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» قَالَ فَقُلْتُ: مَا أَجْوَدَ هَذِهِ فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجْوَدُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا، قَالَ: " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ ".

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوِ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ -، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ -، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ»

عَنْ حُمْرَانَ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ»

تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء

وأخرج مسلم عَنْ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ فَكَانَ يَمُدُّ يَدَهُ حَتَّى تَبْلُغَ إِبْطَهُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا هَذَا الْوُضُوءُ؟ فَقَالَ: يَا بَنِي فَرُّوخَ أَنْتُمْ هَاهُنَا؟ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ هَاهُنَا مَا تَوَضَّأْتُ هَذَا الْوُضُوءَ، سَمِعْتُ خَلِيلِي ﷺ يَقُولُ: «تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ، حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ»

الوضوء سبب لرفع الدرجات ومحو السيئات :

أخرج مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ:

«إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « صَلَاةُ أَحَدِكُمْ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً وَذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ بِهَا دَرَجَةً أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ وَالْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ وَقَالَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ».

وأخرج النسائي في الكبرى عَنْ عَبْدِ اللهِ الصُّنَابِحِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ فَمَضْمَضَ خَرَجْتِ الْخَطَايَا مِنْ فِيهِ، فَإِذَا اسْتَنْثَرَ خَرَجْتِ الْخَطَايَا مِنْ أَنْفِهِ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجْتِ الْخَطَايَا مِنْ وَجْهِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَشْفَارِ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجْتِ الْخَطَايَا مِنْ يَدَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ يَدَيْهِ، فَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ خَرَجْتِ الْخَطَايَا مِنْ رَأْسِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ أُذُنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجْتِ الْخَطَايَا مِنْ رِجْلَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ كَانَ مَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَصَلَاتِهِ نَافِلَةً لَهُ»

وأخرج النسائي في الكبرى عن أبي أيوب سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ: «مَنْ تَوَضَّأَ كَمَا أُمِرَ، وَصَلَّى كَمَا أُمِرَ غُفِرَ لَهُ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ»

الوضوء وصلاة ركعتين بعده سبب لدخول الجنة

ودليله حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لبلال: « يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الاسلام إني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة» . قال: « ما عملت عملا أرجى عندي من أني لم أتطهر طهورا في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي » متفق عليه.

المحافظة على الوضوء من علامات الإيمان :

لقوله ﷺ : "سددوا وقاربوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن " (١) .

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٠٣٧) وابن أبي شيبة في المصنف(١/ ٥ / رقم ٣٥) عن ثوبان رضي الله عنه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٥).

التداوي بالوضوء

الوضوء يزيل أثر العين والحسد بإذن الله تعالى: فقد أخرج ابن ماجه واللفظ له وأحمد في المسند والنسائي في الكبرى وصححه الألباني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل . فقال لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة ؛ فما لبث أن لبط به؛ فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم . فقيل له أدرك سهلا صريعا . قال : " من تتهمون به ؟ " قالوا عامر بن ربيعة . قال: " علام يقتل أحدكم أخاه ؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة " ثم دعا بماء ؛ فأمر عامرا أن يتوضأ؛ فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ؛ وركبتيه وداخله إزاره . وأمره أن يصب عليه . وفي لفظ أحمد " فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ " .

وأخرج أبو داود وصححه الألباني عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان يؤمر العائن (الذي أصاب غيره بالعين) فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين (المصاب بعين غيره) .

الوضوء من سنن الفطرة .

أخرج مسلم واللفظ له وأبو داود وابن ماجه والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط

وحلق العانة وانتقاص الماء. قال زكرياء قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة.. زاد قتيبة قال وكيع انتقاص الماء يعني الاستنجاء .

الوضوء قبل النوم سبب من أسباب الموت على الفطرة مع ما ورد معه من دعاء

فقد أخرج البخاري ومسلم عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ؛ فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ . قَالَ فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا بَلَغْتُ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ قُلْتُ وَرَسُولِكَ قَالَ: لَا وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ».

(٥) الوضوء سبب لقبول الدعاء فقد أخرج أبو داود والنسائي وصححه الألباني عن معاذ بن جبل : عن النبي ﷺ قال« ما من مسلم يبيت على ذكر طاهرا فيتعار من الليل فيسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه » معنى يتعار أي يستيقظ من النوم .

والله وحده من وراء القصد

فضائل الوضـوء

أبو عاصم البركاتي المصري

أولاً : تعريف الوضوء:

الوضوء في اللغة: مشتق من الوضاءة وهى النظافة والحسن والنضارة .

الوضوء بفتح الواو يعني الماء الذي يتوضأ به ، وبضم الواو فعل الوضوء يعني عملية التوضؤ.

الوضوء شرعاً: هو التعبد لله عز وجل بغسل أعضاء معينة من البدن على صفة مخصوصة بشروط مخصوصة.

ثانياً مشروعية الوضوء: الوضوء مشروع بالكتاب والسنة والإجماع.

قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ المائدة .

ومن السنة قوله ﷺ :« لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ » متفق عليه .

وقد انعقد إجماع المسلمين على مشروعيه الوضوء من عهد رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلى يومنا هذا فصار من المعلوم من الدين بضرورة .

ثالثاً فضائل الوضوء:

(١) الوضوء طهارة حسية وحكمية، والله عز وجل يحب المتطهرين، قال تعالى:﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ التوبة.

وقال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ البقرة.

وقال سبحانه :﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ المائدة.

وقال جل شأنه : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ (الأنفال :١١).

والطهارة بمعنى الطهارة الحسية من الأقذار والنجاسات والأحداث، والطهارة المعنوية من الذنوب والمعاصي.

(٢) الوضوء من سنن الفطرة .

أخرج مسلم واللفظ له وأبو داود وابن ماجه والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط

وحلق العانة وانتقاص الماء. قال زكرياء قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة.. زاد قتيبة قال وكيع انتقاص الماء يعني الاستنجاء.

(٣) الطُهور شطر الإيمان.

أخرج مسلم (٢٢٣) وأحمد (٢٢٩٠٢) عَنْ أَبِى مَالِكٍ الأَشْعَرِىِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاَةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا ».

(٤) الوضوء قبل النوم سبب من أسباب الموت على الفطرة مع ما ورد معه من دعاء فقد أخرج البخاري ومسلم عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ . قَالَ فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا بَلَغْتُ

اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ قُلْتُ وَرَسُولِكَ قَالَ: لَا وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ».

(٥) الوضوء سبب لقبول الدعاء فقد أخرج أبو داود والنسائي وصححه الألباني عن معاذ بن جبل : عن النبي ﷺ قال« ما من مسلم يبيت على ذكر طاهرا فيتعار من الليل فيسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه » معنى يتعار أي يستيقظ من النوم .

(٦) الوضوء سبب لمغفرة الذنوب.

أخرج البخاري ومسلم عَنْ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ دَعَا بِإِنَاءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى كَفَّيْهِ ثَلاَثَ مِرَارٍ فَغَسَلَهُمَا ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الإِنَاءِ فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ».

وفي رواية أخرجها مسلم عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ قَالَ أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ إِنَّ نَاسًا يَتَحَدَّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَحَادِيثَ لاَ أَدْرِى مَا هي إِلاَّ أَنِّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- تَوَضَّأَ مِثْلَ

وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ قَالَ « مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَكَانَتْ صَلاَتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً ».

وفي رواية في صحيح مسلم عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أيضاً رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :« مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ ».

وأخرج مسلم وأحمد والترمذي عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوِ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاَهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ ».

(٧) حلية المتوضئين إلى حيث يبلغ الوضوء:

دليله ما أخرجه النسائي في "الكبرى" وصححه الألباني عن أبي حازم قال : كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة فكان يمد يده حتى يبلغ إبطه قال سمعت خليلي يقول: "تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء".

(٨) الوضوء سبب لتميز المسلمين يوم القيامة ، ودليله ما أخرجه البخاري ومسلم عَنْ نُعَيْمٍ الْمُجْمِرِ قَالَ رَقِيتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى ظَهْرِ الْمَسْجِدِ فَتَوَضَّأَ فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ " .

وفي صحيح مسلم منْ حديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : «... فَقَالُوا كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ :« أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَىْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ ». قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ..... ».

(٩) الوضوء شطر الإيمان :

فقد أخرج مسلم وابن ماجة وغيرهما عَنْ أَبِى مَالِكٍ الأَشْعَرِىِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- « الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ.... ».

(١٠) الوضوء يزيل أثر العين والحسد بإذن الله تعالى: فقد أخرج ابن ماجه واللفظ له وأحمد في المسند والنسائي في الكبرى وصححه الألباني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل . فقال لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة . فما لبث أن لبط به . فأتي به النبي

ﷺ. فقيل له أدرك سهلا صريعًا . قال : " من تتهمون به ؟ " قالوا عامر بن ربيعة . قال: " علام يقتل أحدكم أخاه ؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة " ثم دعا بماء . فأمر عامرا أن يتوضأ . فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين . وركبتيه وداخله إزاره . وأمره أن يصب عليه . وفي لفظ أحمد" فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ " .

وأخرج أبو داود وصححه الألباني عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان يؤمر العائن (الذي أصاب غيره بالعين) فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين (المصاب بعين غيره) .

(١١) الوضوء سبب لرفع الدرجات ومحو السيئات :

ودليله ما أخرجه مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ». قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ».

وفي الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « صَلَاةُ أَحَدِكُمْ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً وَذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَا

يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ بِهَا دَرَجَةً أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ وَالْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ وَقَالَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ».

(١٢) الوضوء سبب لفتح أبواب الجنة للعبد:

فقد أخرج مسلم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الإِبِلِ فَجَاءَتْ نوبتي فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ». قَالَ فَقُلْتُ مَا أَجْوَدَ هَذِهِ. فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَىَّ يَقُولُ التي قَبْلَهَا أَجْوَدُ. فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ إِني قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا قَالَ « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ ».

(١٣) الوضوء وصلاة ركعتين بعده سبب لدخول الجنة :

ودليله حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لبلال: « يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الاسلام إني سمعت دف نعليك بين يدي

في الجنة» . قال: « ما عملت عملا أرجى عندي من أني لم أتطهر طهورا في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي » متفق عليه.

(١٤) المحافظة على الوضوء من علامات الإيمان، لقوله ﷺ: "سددوا وقاربوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن "(١)

هذا ما تيسر والله من وراء القصد

أبو عاصم البركاتي المصري

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه(١٠٣٧) وابن أبي شيبة في المصنف(١/ ٥ / رقم ٣٥) عن ثوبان رضي الله عنه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٥).

فضل العلم وأهله

أعده / أبو عاصم البركاتي

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

"كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذماً أن يتبرأ منه من هو فيه[1]".

وكان عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - يقول إذا رأى الشباب يطلبون العلم: "مرحباً بينابيع الحكمة ومصابيح الظُّلَم جدد القلوب حلس البيوت ريحان كل قبيلة"[2].

وقال وهب بن منبه: "يتشعب من العلم الشرف وإن كان صاحبه دنياً، والعز وإن كان مهيناً، والقرب وإن كان قصياً، والغنى وإن كان فقيراً، والمهابة وإن كان وضيعاً[3]".

---

(١) تذكرة السامع ص ١٠ ؛ أخرجه أبو نعيم في " الحلية " ٩/ ١٤٦ من كلام الشافعي.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٣٢ رقم٢٥٧) .

(٣) تذكرة السامع ص١٠.

وقالَ الشّافعيُّ: "طَلَبُ العلمِ أفضلُ من صلاةِ النّافلةِ" [1]

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩).

وقال جل شأنه :﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النحل:٧٦).

وقال سبحانه :﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ (الرعد: ١٦)

النـاس من جهة التمثال أكفاء ... أبـوهم آدم والأم حـــواء

إن لم يكن لهم في أصلهم شرف ... يفاخرون به فالطين والمـاء

ما الفضل إلا لأهل العلم بينهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء

(١) العلم كالغيث والعلماء كالأرض الخصبة ، روى البخاريُّ وغيره عن أبي موسى عنِ النبي ﷺ قال : مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهدى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ

---

(١) أخرجه: ابن أبي حاتم في " آداب الشافعي ": ٩٧، وأبو نعيم في " الحلية " ٩/ ١١٩ .

الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً ، فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتِ الماء ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ؛ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا، وَسُقُوا، وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أخرى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءَ ، وَلا تُنْبِتُ كَلأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ .

(٢) العلماء ورثة الأنبياء فعن قيس بن كثير قال : قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال ما أقدمك يا أخي ؟ فقال : حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ. قال : أما جئت لحاجة ؟! قال : لا . قال : أما قدمت لتجارة ؟! قال : لا . قال : ما جئت إلا في طلب هذا الحديث . قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء ورثة

الأنبياء ، إنَّ الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر [١].

وفي الحديث أيضا يقول ﷺ : " فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ، وإن الله عز وجل وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير "[٢] .

(٣) أهل العلم هم أهل الخشية ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العلماء ﴾[فاطر : ٢٨] وهذه الآية فيها وجوه من الدلائل على فضل العلم . أحدها : دلالتها على أمم من أهل الجنة وذلك لأن العلماء من أهل الخشية؛ ومن كان من أهل الخشية كان من أهل الجنة فالعلماء من أهل الجنة ،فبيان أن العلماء من أهل الخشية قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العلماء ﴾، وبيان أن أهل الخشية من أهل الجنة قوله تعالى : ﴿ جزاءهم عند ربهم جنات

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٢) .

(٢) أخرجه الترمذي وصححه الألباني .

عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار ﴾ [البينة : ٨] إلى قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ ويدل عليه أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء : ١٠٧-١٠٩]

ويدل عليه أيضاً قوله تعالى : « وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة »[١] .

وعن عائشة أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "إن الله عز وجل أوحى إلى أنه من سلك مسلكا في طلب العلم سهلت له طريق الجنة ومن

---

(١) أخرجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يروي عن ربه جل وعلا ابن المبارك في الزهد (١/ ٥٠ ، رقم ١٥٨) والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٨٢ ، رقم ٧٧٧) وابن حبان (٢/ ٤٠٦، رقم ٦٤٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٦٦).

سلبت كريمتيه أثبته عليهما الجنة . وفضل في علم خير من فضل في عبادة وملاك الدين الورع " [1].

وعنْ مَسْروقٍ ، قال : «كفى بالمَرْءِ عَلْماً أنْ يخشَى اللَّهَ ، وكفى بالمَرْءِ جهلاً أنْ يُعْجَب بعلْمه»[2] .

(٤) ما طلب الله تعالى من نبيه ﷺ أن يستزيد إلا من العلم ، قال تعالى" ﴿وقل رب زدني علما ﴾ فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم.

(٥) العلم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة ، قال تعالى: ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [المجادلة :١١] وقال سبحانه : ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ وفي الصحيح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقدم عبد الله بن عباس على الصحابة، فكلموه في ذلك فدعاهم ودعاه، وسألهم عن تفسير

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وصححه الألباني في المشكاة (٢٥٥).

(٢) أبو خيثمة في العلم ج١/ص٩ ح١٥

﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فسكتوا، فقال ابن عباس: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله إياه. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم.

وفي البخاري عن عبد الله ابن عباس قال: قدم عيينة ابن حصن بن حذيفة بن بدر فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس بن حصن، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا. الحديث.

وفي صحيح مسلم أن نافع بن عبد الحرث لقي عمر بعسفان ، وكان عمر يستعمله على مكة فقال: من استعملته على أهل الوادي ؟ فقال: ابن أبزى.

فقال: ومن ابن أبزى ؟ قال: مولى من موالينا.

قال: فاستخلفت عليهم مولى ؟! قال: إنه قارئ لكتاب الله وإنه عالم بالفرائض.

قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين". وفي الحديث : "ليلني منكم أولو الأحلام والنهى"[1].

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٤٣٢).

(٦) أهل العلم هم أهل الذكر الذين أمر الناس بسؤالهم عن عدم العلم قال الله تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [النحل:٤٣]

(٧) أهل العلم هم أطباء الأمة الذين يداوون الأمة من أمراضها ، فالجهل داء والعلم شفاء ،وكما قال رسول الله ﷺ: "فإنما شفاء العي السؤال "(١)

وقال سبحانه :﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ (الرعد: ١٦)

وحسبنا من القول أن نقول إن الشيطان يفرح بموت العالم ، نعم ، لأن العالم اشد على الشيطان من ألف عابد وقيل في الحكاية أن الشيطان أتى عابداً ناسكاً زاهداً فقال له ترى هل يستطيع ربك أن يجعل كل هذا العالم في بيضه . فقال : لا أدرى . ثم أتى عالماً فسأله نفس السؤال ؟ فقال له : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾.

ورد في الحكاية : قال ابن عبيد : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن بجير حدثنا علي بن عاصم عن بعض البصريين قال : كان عالم وعابد متواخيين في الله فقالت الشياطين لإبليس : إنا لا نقدر على أن نفرق بينهما فقال إبليس لعنه الله : أنا

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣٦) .

لهما فجلس بطريق العابد إذ أقبل العابد حتى إذا دنا من إبليس قام إليه في مثال شيخ كبير بين عينيه أثر السجود فقال للعابد : إنه قد حاك في صدري شيء أحببت أن أسألك عنه فقال له العابد : سل فإن يكن عندي علم أخبرتك عنه، فقال له إبليس : هل يستطيع الله عز و جل أن يجعل السموات والأرض والجبال والشجر والماء في بيضة من غير أن يزيد في البيضة شيئا ومن غير أن ينقص من هذا شيئا ؟ فقال له العابد من غير أن ينقص من هذا شيئا ومن غير أن يزيد في هذا شيئا كالمتعجب فوقف العابد، فقال له إبليس : امضه ثم التفت إلى اصحابه فقال : أما هذا فقد أهلكته جعلته شاكا في الله تعالى ثم جلس على طريق العالم فإذا هو مقبل حتى إذا دنا من إبليس قام إليه إبليس فقال : يا هذا إنه قد حاك في صدري شيء أحببت أن اسألك عنه فقال له العالم : سل فإن يكن عندي علم أخبرتك، فقال له إبليس : هل يستطيع الله عز و جل أن يجعل السموات والأرض والجبال والشجر والماء في بيضة من غير أن يزيد في البيضة شيئا ومن غير أن ينقص من هذا شيئا ؟ فقال له العالم : نعم قال : فرد عليه إبليس كالمنكر من غير أن يزيد في هذا شيئا ومن غير أن

ينقص من هذا شيئا ؟ فقال له العالم : نعم بانتهار وقال : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ فقال إبليس لأصحابه : من قبل هذا أتيتم[1] .

وأيضاً حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً فأراد أن يتوب ، فسئل عن أعلم الناس، فدل على راهب ، فذهب إليه فقال قتلت تسعة وتسعين نفساً هل لي من توبة، فقال لا فقام إليه فقتله فأكمل به المائة ثم سئل عن اعلم الناس ، فدل على عالم ، فأتاه فقال مئة نفس ، فهل لي من توبة ؟ فقال نعم : ومن يحجب عنك التوبة، اذهب إلي أرض كذا وكذا فاعبد الله معهم ....الخ الحديث .

والشاهد أن العابد – غير العالم – أتى من قبل جهله والعالم دله على الخير بعلمه ، وهذا من فضل العلم

وعن أبي كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " ثلاثة أقسم عليهن ، وأحدثكم حديثا فاحفظوه . قال : ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزا ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها . وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال : إنما

(١) نقلا عن كتاب مكائد الشيطان رقم (٣٠)

الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما ، فهو يتقي فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل . وعبد رزقه الله علما ، ولم يرزقه مالا ، فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء . وعبد رزقه الله مالا ، ولم يرزقه علما ، فهو يخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقا ، فهذا بأخبث المنازل .وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما ، فهو يقول : لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان ، فهو بنيته فوزرهما سواء "[(١)] .

فبان فضل العلم الذي وجه صاحبه إلى العمل الصالح والنية الصالحة.

(٨) من فضل العلم أن النبي ﷺ حث على التنافس فيه ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : " لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها " [متفق عليه].

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٥) وقال : حسن صحيح.

(٩) الفقه في الدين دليل على إرادة الله الخير بالعبد، فقد أخرج البخاري ومسلم عن معاوية رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ قال: " مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ".

وقال ﷺ: «ألا أن الدنيا ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً ومتعلماً» رواه الترمذي

(١٠) العلماء شهود على وحدانية الله ، قال الله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ [آل عمران : ١٨]

(١١) العلم مقدم على القول والعمل ، قال تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾ فأمر بالعمل بعد العلم وقال: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ - إلى قوله -﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم ﴾ [الحديد: ٢٠ - ٢١] وقال: ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ [الأنفال: ٢٨].ثم قال بعد: " فاحذروهم " [التغابن: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه ﴾ [الأنفال: ٤١].

ثم أمر بالعمل بعد [1]. انتهى .

وقد بوَّب الإمام البخاري بابًا فقال: " باب العلم قبل القول والعمل " ،لقوله تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾[محمد:١٩]

(١٢) نضارة وجوه أهل العلم ، قال ﷺ: " نضر الله امرأً سمع مقالتي فبلغها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، رب حامل فقه إلى من هو أفقه "[2] .

(١٣) طلب العلم جهاد في سبيل الله ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو في منزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره "[3]

و قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ ومعلوم أنَّ جهاد المنافقين بالحجة والقرآن .

---

(١) تفسير القرطبي(١٦/٢٤٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٣٠) والترمذي وأحمد وصححه الألباني .

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٢٧) وأحمد(٩٤١٩) بسند صحيح .

(١٤) ثواب العالم لا ينقطع بموته، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " [أخرجه مسلم].

(١٥) العلم بصيرة للقلب واللسان، قال تعالى : ﴿ فإنَّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ [الحج:٤٦] ؛ ولذلك جعل الله الناس على قسمين : إمَّا عالم أو أعمى فقال الله تعالى : ﴿ أفمن يعلم أنَّما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾ [الرعد:١٩] .

(١٦) قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : إن أهل العلم هم أحد صنفي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[النساء: ٥٩]

فإن ولاة الأمور هنا تشمل ولاة الأمور من الأمراء والحكام ،والعلماء وطلبة العلم، فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله ودعوة الناس إليها، وولاية الأمراء في تنفيذ شريعة الله وإلزام الناس بها(١).

(١) كتاب العلم ص١١.

(١٧) أهل العلم هم القائمون على أمر الله ، فقد أخرج البخاري ومسلم عن معاوية رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال "مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ".

(١٨) رفع الجهل وتعلم علم فروض الأعيان ؛ لحديث "طلب العلم فريضة على كل مسلم" أخرجه ابن ماجه واللفظ له ورُوي عن جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك وعبد الله بن عمرو وأبو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

كيفية طلب العلم

وذلك بملازمة أهل العلم، والرحلة إليهم، والسماع منهم ، والتدوين عنهم ، والحفظ والمذكرة وطول النظر، والحذر كل الحذر من طلب العلوم بلا شيخ ، قيل : " من دخل في العلم وحده خرج وحده "

أي : من دخل في طلب العلم بلا شيخ خرج منه بلا علم ، إذ العلم صنعة ، وكل صنعة تحتاج إلى صانع ، فلا بد إذاً لتعلمها من معلمها الحاذق .

وقال الصفدي : ولهذا قال العلماء : لا تأخذ العلم من صحفي ، ولا من مصحفي .

وقيل : من كان شيخه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه.

وعن أبي الدرداء قال: العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه[1].

وأخرج أبو خيثمة في العلم(ج١/ص٣٦ ح١٥٥) عن إبراهيم قال: قال عبد الله: " إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في ذوي أسنانكم فإذا كان العلم في الشباب أنف ذو السن أن يتعلم من الشباب".

الرحلة في طلب العلم

رحلة نبي الله موسى عليه السلام

أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى

(١) أبو خيثمة في العلم ج١/ص٢٨ ح١١٤ .

اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَحَمَلاَ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا وَنَامَا، فَانْسَلَّ الحُوتُ مِنَ المِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ المَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ قَالَ مُوسَى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ، أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ، فَسَلَّمَ مُوسَى، فَقَالَ الخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا مُوسَى، فَقَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لاَ أَعْلَمُهُ، قَالَ: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا، وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ،

فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي البَحْرِ، فَقَالَ الخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا العُصْفُورِ فِي البَحْرِ، فَعَمَدَ الخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ، فَنَزَعَهُ، فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا؟ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ قَالَ: لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا - فَكَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا -، فَانْطَلَقَا، فَإِذَا غُلاَمٌ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلاَهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ مُوسَى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ؟ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ - قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: وَهَذَا أَوْكَدُ - فَانْطَلَقَا، حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ، قَالَ الخَضِرُ: بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ " قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا»(١)

---

(١) البخاري (١٢٢) ومسلم(٢٣٨٠) .

أخرج الخطيب البغدادي في كتابه "الرحلة في طلب" الحديث رقم(١٥) عن إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْفَعُ الْبَلَاءَ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِرِحْلَةِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ.

روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ قَالَ كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَنَزَلَ صَاحِبِي الْأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبَتِهِ فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا فَقَالَ :أَثَمَّ هُوَ ؟ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ ،فَقَالَ :قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ طَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: لَا أَدْرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ ؟قَالَ: لَا فَقُلْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ.

رحلة جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما

وهذا جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول بلغني حديث عن رسول الله ﷺ لم أسمعه ، فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي وسرت شهراً حتى قدمت الشام فأتيت عبد الله بن أنيس فقلت للبواب قل له جابر على الباب ، فأتاه فقال له جابر بن عبد الله ؟ فأتاني فقال لي فقلت نعم ، فرجع فأخبره فقام يطأ

ثوبه حتى لقيني فاعتقنني واعتنقته فقلت حديث بلغني عنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص ولم اسمعه فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن اسمعه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول يحشر الله العباد – أو قال الناس – عراة غرلا بهماً ، قلنا ما بهماً ؟ قال ليس معهم شيء ، ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار عنده مظلمة حتى أقصه منه حتى اللطمة، قلنا كيف وإنما نأتي الله عراة غرلاً بهماً ؟ قال بالحسنات والسيئات[١] .

وفي الحديث عن زر بن حبيش قال أتيت صفوان بن عسال رضي الله عنه أسأله عن المسح على الخفين فقال ما جاء بك يا زر ؟ فقلت: ابتغاء العلم، فقال: إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب .

ولهذا كان صحابة النبي ﷺ يعرفون فضل العلم، وفضل الرحلة في تحصيله.

---

(١) رواه البيهقي في المدخل والخطيب في الجامع.

وعن رجاء بن حيوة قال سمعت مسلمة بن مخلد رضي الله عنه يقول بينا أنا على مصر فأتى البواب فقال إن أعرابياً على الباب يستأذن فقلت من أنت قال أنا جابر بن عبد الله قال فأشرفت عليه فقلت أنزل إليك أو تصعد قال: لا تنزل ولا أصعد حديث بلغني أنك ترويه عن رسول الله ﷺ في ستر المؤمن جئت أسمعه، قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موءودة"، فضرب بعيره راجعا [١].

رحلة عقبة بن عامر رضي الله عنه

وعن مكحول أن عقبة بن عامر رضي الله عنه أتى مسلمة بن مخلد فكان بينه وبين البواب شيء فسمع صوته فأذن له فقال إني لم آتك زائرا ولكن جئتك لحاجة أتذكر يوم قال رسول الله ﷺ : " من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة" قال : نعم ، قال :لهذا جئت[٢].

رحلة أبي أيوب الأنصاري:

أخرج أحمد (١٧٤٥٤) والروياني في مسنده (١٥٩) والخطيب البغدادي في "الرحلة في طلب الحديث"(٣٤) بسنده إلى عَطَاء بْن أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: خَرَجَ أَبُو أَيُّوبَ إِلَى عُقْبَةَ

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٣٣٧)

(٢) صححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٣٣٦).

بْنِ عَامِرٍ، وَهُوَ بِمِصْرَ يَسْأَلُهُ عَنْ حَدِيثٍ، سَمِعَهُ مِنْ، رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا قَدِمَ أَتَى مَنْزِلَ مَسْلَمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ الْأَنْصَارِيِّ، وَهُوَ أَمِيرُ مِصْرَ فَأُخْبِرَ بِهِ فعَجِلَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فعَانَقَهُ، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ؟ قَالَ: حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ سَمِعَهُ غَيْرِي وَغَيْرُ عُقْبَةَ فَابْعَثْ مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى مَنْزِلِهِ، قَالَ: فَبَعَثَ مَعَهُ مَنْ يَدُلُّهُ عَلَى مَنْزِلِ عُقْبَةَ، فَأُخْبِرَ عُقْبَةُ بِهِ فعَجِلَ، فخَرَجَ إِلَيْهِ فعَانَقَهُ، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ؟ فقَالَ: حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ سَمِعَهُ غَيْرِي وَغَيْرُكَ فِي سِتْرِ الْمُؤْمِنِ. قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَتَرَ مُؤْمِنًا فِي الدُّنْيَا عَلَى خُرْبَةٍ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَقَالَ لَهُ أَبُو أَيُّوبَ: صَدَقْتَ، ثُمَّ انْصَرَفَ أَبُو أَيُّوبَ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ.

ويقول الإمام البخاري رحمه الله كنا ثلاثة أو أربعة على باب ابن عبد الله فقال إني لأرجو أن هذا تأويل الحديث: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم " إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث أنتم لأن التجار قد شغلوا أنفسهم بالتجارات وأهل الصنعة قد شغلوا أنفسهم بالصناعات والملك قد شغلوا أنفسهم بالمملكة أنتم تحيون سنة النبي ﷺ

وعن مُحَمَّدُ بْنُ وَزِيرٍ الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، يَقُولُ لِحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ: يَا أَبَا إِسْمَاعِيلَ، هَلْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَصْحَابَ الْحَدِيثِ فِي الْقُرْآنِ، فَقَالَ: نَعَمْ، " أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢] فَهَذَا فِي كُلِّ مَنْ رَحَلَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ، وَرَجَعَ بِهِ إِلَى مَنْ وَرَاءَهُ فَعَلَّمَهُ إِيَّاهُ[١] "

وعَنْ عِكْرِمَةَ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿السَّائِحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] قَالَ: «هُمْ طَلَبَةُ الْحَدِيثِ»[٢] .

قول ابن مسعود في الرحلة لطلب العلم:

أخرج البخاري ومسلم عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ».

---

(١) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي رقم ١٥.

(٢) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي رقم ١١.

وأخرج البخاري ومسلم عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] ثُمَّ قَالَ: عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ تَأْمُرُونِي أَنْ أَقْرَأَ؟ فَلَقَدْ «قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَلَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ» قَالَ شَقِيقٌ: فَجَلَسْتُ فِي حَلَقِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَلَا يَعِيبُهُ.

رحلة عبد الله بن المبارك:

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَطْلَبَ لِلْعِلْمِ مِنْهُ رَحَلَ إِلَى الْيَمَنِ، وَإِلَى مِصْرَ، وَإِلَى الشَّامِ، وَالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ، وَكَانَ مِنْ رُوَاةِ الْعِلْمِ، وَأَهْلِ ذَلِكَ كَتَبَ عَنِ الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ كَتَبَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَهْدِيِّ، وَعَنِ الْفَزَارِيِّ، وَجَمَعَ أَمْرًا عَظِيمًا»(١).

وعن زَكَرِيَّا بْنُ عَدِيٍّ، قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ، قَالَ: غَفَرَ لِي بِرِحْلَتِي فِي الْحَدِيثِ(٢).

---

(١) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي رقم ١٧.

(٢) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي رقم ١٦.

وأخرج الخطيب البغدادي في "الرحلة في طلب الحديث " (٦٢) بسنده إلى هَارُون بن الْمُغِيرَةِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: لَا تَشْتَرِ مَوَدَّةَ أَلْفِ رَجُلٍ بِعَدَاوَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ.

قَالَ هَارُونُ: قَدِمَ عَلَيَّ ابْنُ الْمُبَارَكِ، فَجَاءَ إِلَيَّ، وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ فَسَأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: مَا وَضَعْتُ رَحْلِي مِنْ مَرْوَ إِلَّا لِهَذَا الْحَدِيثِ.

رحلة أبي العالية:

عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: «كُنَّا نَسْمَعُ بِالرِّوَايَةِ عَنْ أَصْحَابِ، رَسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ بِالْبَصْرَةِ، فَمَا نَرْضَى حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ فَسَمِعْنَا مِنْهُمْ»(١)

رحلة سعيد بن المسيب:

أخرج الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث " (٤١) عن مَالِك، قَالَ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: إِنْ كُنْتُ لَأَسِيرُ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ.

---

(١) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي رقم ٢١.

رحلة شعبة بن الحجاج ليتثبت من حديث واحد: أخرج الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث " (٥٩) بسنده عن نَصْر بن حَمَّادٍ الْوَرَّاقَ، يَقُولُ: كُنَّا قُعُودًا عَلَى بَابِ شُعْبَةَ نَتَذَاكَرُ، فَقُلْتُ: ثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَطَاءٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: كُنَّا نَتَنَاوَبُ رَعِيَّةَ الْإِبِلِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ ذَاتَ يَوْمٍ وَالنَّبِيُّ حَوْلَهُ أَصْحَابُهُ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ» فَقُلْتُ: بَخٍ بَخٍ، فَجَذَبَنِي رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: الَّذِي قَبْلُ أَحْسَنُ، فَقُلْتُ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: قَالَ: مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قِيلَ لَهُ ادْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ " قَالَ: فَخَرَجَ شُعْبَةُ، فَلَطَمَنِي ثُمَّ رَجَعَ، فَدَخَلَ فَتَنَحَّيْتُ مِنْ نَاحِيَةٍ، قَالَ ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: مَالَهُ يَبْكِي بَعْدُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ: إِنَّكَ أَسَأْتَ إِلَيْهِ، فَقَالَ شُعْبَةُ: انْظُرْ مَا تُحَدِّثُ إِنَّ أَبَا إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَطَاءٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي إِسْحَاقَ مَنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَطَاءٍ؟ قَالَ: فَغَضِبَ، وَمِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ حَاضِرٌ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: لَتُصَحِّحَنَّ لِي هَذَا أَوْ لَأَخْرِقَنَّ مَا كَتَبْتُ عَنْكَ، فَقَالَ لِي مِسْعَرٌ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَطَاءٍ بِمَكَّةَ، قَالَ شُعْبَةُ، فَرَحَلْتُ إِلَى مَكَّةَ، لَمْ أُرِدِ الْحَجَّ أَرَدْتُ الْحَدِيثَ، فَلَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَطَاءٍ،

فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنِي؛ فَقَالَ لِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: سَعْدٌ بِالْمَدِينَةِ لَمْ يَحُجَّ الْعَامَ، قَالَ شُعْبَةُ: فَرَحَلْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَقِيتُ سَعْدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: الْحَدِيثُ مِنْ عِنْدِكُمْ، زِيَادُ بْنُ مِخْرَاقٍ حَدَّثَنِي، قَالَ شُعْبَةُ: فَلَمَّا ذَكَرَ زِيَادًا، قُلْتُ: أَيُّ شَيْءٍ هَذَا الْحَدِيثِ بَيْنَمَا هُوَ كُوفِيٌّ إِذْ صَارَ مَدَنِيًّا إِذْ صَارَ بَصْرِيًّا، قَالَ: فَرَحَلْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَلَقِيتُ زِيَادَ بْنَ مِخْرَاقٍ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: لَيْسَ هُوَ مِنْ بَابَتِكَ، قُلْتُ: حَدِّثْنِي بِهِ، قَالَ: لَا تَرُدُّهُ، قُلْتُ: حَدِّثْنِي بِهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ، عَنْ أَبِي رَيْحَانَةَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ شُعْبَةُ: فَلَمَّا ذَكَرَ شَهْرَ بْنَ حَوْشَبٍ، قُلْتُ: دَمَّرَ عَلَيَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَوْ صَحَّ لِي مِثْلُ هَذَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(١).

قال أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُرَاسَانِي.

رَحَلْتُ أَطْلُبُ أَصْلَ الْعِلْمِ مُجْتَهِدًا ... وَزِينَةُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا الْأَحَادِيثُ
لَا يَطْلُبُ الْعِلْمَ إِلَّا بَازِلٌ ذَكَرٌ ... وَلَيْسَ يُبْغِضُهُ إِلَّا الْمَخَانِيثُ
لَا تَعْجَبَنَّ بِمَالٍ سَوْفَ تَتْرُكُهُ ... فَإِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَوَارِيثُ

*****

(١) للحديث طريق صحيح أخرجه مسلم برقم (٢٣٤).

تحمل الصعاب من أجل تحصيل العلم

يقول ابن أبي حاتم الرازي : دخلنا مصر فظللنا سبعة أشهر ما ذقنا فيها مرقاً -يعني لم يأكلوا لحماً سبعة أشهر- نهارنا نطوف على الشيوخ، وليلنا ننسخ فنصحح.

يقول: في يوم من الأيام ذهبنا إلى درس شيخ فقالوا لنا: مريض؛ قلنا: فرصة نأكل، قال: فاشترينا سمكةً عظيمة كبيرة، وكان موعد درس الشيخ الذي بعده قد دخل، فتركوا السمكة في البيت وذهبوا ليحضروا درس الشيخ، ومرت ثلاثة أيام لم يستطيعوا أن يطبخوا السمكة هذه، وذلك بسبب أنهم لم يجدوا وقتاً لطباختها، لاشتغالهم بالدروس والنسخ والتصحيح، قال أبو حاتم : حتى خشينا أن تفسد فأكلناها نيئة، ولقد كانت رحلاتهم طويلة.

أبو حاتم الرازي يقول: إنه دخل من الري إلى نيسابور، إلى خراسان، إلى القدس، إلى الشام، إلى مصر، وقال: إنه عد كم مشى على رجله إلى سبعة آلاف فرسخ، قال: ثم تركت العد.

وقال ابن الجوزي عن نفسه : "وإني أُخبر عن حالي: ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابًا لم أره، فكأني وقعتُ على كنز".

ذكر ابن رجب الحنبلي في "الذيل على طبقات الحنابلة" في ترجمة ابنِ عقيل الحنبلي، عن ابنِ الجوزي أنه قال عنه: "كان دائم التشاغُل بالعلم، حتى إني رأيتُ بخَطِّه: إني لا يحلّ لي أن أُضيع ساعةً من عمري، حتى إذا تعطَّل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مُطالعة، أعملتُ فِكري في حالة راحتي وأنا مُسْتَطرِحٌ، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره. وإني لأجد من حِرصي على العلم وأنا في عَشْر الثمانين أشدّ مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة[١]".

ونقلَ ابنُ رجب من "الفنون" لابن عقيل أنه قال عن نفسِه :أنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سفَّ الكعك وتحسيه بالماء على الخبز، لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفّرًا على مطالعةٍ، أو تسطير فائدة لم أدركها فيه.

وفي "تاريخ بغداد" أن يحيى بن محمد بن يحيى الذُّهْلي قال: دخلتُ على أبي في الصيف الصائف وقتَ القائلة، وهو في بيت كتبه، وبين يديه السِّراج، وهو يُصنِّف، فقلتُ: يا أبةِ! هذا وقتُ الصلاة، ودُخانُ هذا السِّراج بالنهار، فلو نفَّسْت عن نفسك. قال: يا بُنيَّ تقولُ لي هذا وأنا مع رسول ﷺ – وأصحابه والتابعين"؟.!

(١) الذيل على طبقات الحنابلة

وصورة أخرى للتضحيات في طلب العلم

روى الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده، عن أبي العباس البكري قال: جمَعت الرحلةُ بين ابن جرير وابن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن هارون الروياني بمصر، فأرملوا ولم يبق عندَهم ما يقوتهم، وأضرَّ بهم الجوع، فاجتمعوا ليلةً في منزل كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيُهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه سأل لأصحابه الطعام - أي: شحذ واستعطى - فخرجت القرعة على ابن خزيمة، فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أصلي ركعتين صلاةَ الخيرة - أي: الاستخارة - قال: فاندفع في الصلاة، فإذا هم بالشموع، وخصي من قبل الوالي يدق الباب، ففتحوا.

فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل له: هو ذا، فأخرج صُرَّةً فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن جرير؟ فأعطاه خمسين دينارًا، وكذلك الروياني وابن خزيمة.

ثم قال: إن الأمير كان قائلاً - نائمًا في القائلة، وهي نصف النهار - بالأمس، فرأى في المنام أن المحامد جِياعٌ قد طووا كشحهم، فأنفذ إليكم هذه الصرر، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إليَّ أحدَكم [1].

---

(١) "تاريخ بغداد" ٢/ ١٦٤ - ١٦٥، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٠).

قصة بقي بن مخلد رحمه اللّه:

جاء في سير أعلام النبلاء(١٣/ ٢٩٢): نقل بعض العلماء من كتاب لحفيد بقي عبدالرحمن بن أحمد: سمعت أبي يقول: رحل أبي من مكة إلى بغداد، وكان رجلا بغيته ملاقاة أحمد بن حنبل.

قال: فلما قربت بلغتني المحنة، وأنه ممنوع، فاغتممت غما شديدا، فاحتللت بغداد، واكتريت بيتا في فندق، ثم أتيت الجامع وأنا أريد أن أجلس إلى الناس، فدفعت إلى حلقة نبيلة، فإذا برجل يتكلم في الرجال، فقيل لي: هذا يحيى بن معين. ففرجت لي فرجة، فقمت إليه، فقلت: يا أبا زكريا: - رحمك الله - رجل غريب ناء عن وطنه، يحب السؤال، فلا تستجفني، فقال: قل.

فسألت عن بعض من لقيته، فبعضا زكى، وبعضا جرح، فسألته عن هشام بن عمار،، فقال لي: أبو الوليد، صاحب صلاة دمشق، ثقة، وفوق الثقة، لو كان تحت ردائه كبر، أو متقلدا كبرا، ما ضره شيئا لخيره وفضله، فصاح أصحاب الحلقة: يكفيك - رحمك الله - غيرك له سؤال.

فقلت - وأنا واقف على قدم: اكشف عن رجل واحد: أحمد بن حنبل، فنظر إلي كالمتعجب، فقال لي: ومثلنا، نحن نكشف عن أحمد ؟ ! ذاك إمام المسلمين، وخيرهم وفاضلهم.

فخرجت أستدل على منزل أحمد بن حنبل، فدللت عليه، فقرعت بابه، فخرج إلي، فقلت: يا أبا عبد الله: رجل غريب، نائي الدار، هذا أول دخولي هذا البلد، وأنا طالب حديث ومقيد سنة، ولم تكن رحلتي إلا إليك، فقال: ادخل الاصطوان ولا يقع عليك عين.

فدخلت، فقال لي: وأين موضعك ؟ قلت: المغرب الأقصى.

فقال: إفريقية ؟ قلت: بعد من إفريقية، أجوز من بلدي البحر إلى إفريقية، بلدي الاندلس، قال: إن موضعك لبعيد، وما كان شيء أحب إلي من أن أحسن عون مثلك، غير أني ممتحن بما لعله قد بلغك.

فقلت: بلى، قد بلغني، وهذا أول دخولي، وأنا مجهول العين عندكم، فإن أذنت لي أن آتي كل يوم في زي السؤال، فأقول عند الباب ما يقوله السؤال، فتخرج إلى هذا الموضع، فلو لم تحدثني كل يوم إلا بحديث واحد، لكان لي فيه كفاية.

فقال لي: نعم، على شرط أن لا تظهر في الخلق، ولا عند المحدثين.

فقلت: لك شرطك، فكنت آخذ عصا بيدي، وألف رأسي بخرقة مدنسة، وآتي بابه فأصيح: الأجر - رحمك الله - والسؤال هناك كذلك، فيخرج إلي، ويغلق، ويحدثني بالحديثين والثلاثة والاكثر، فالتزمت ذلك حتى مات الممتحن له، وولي بعده من كان على مذهب السنة، فظهر أحمد، وعلت إمامته، وكانت تضرب إليه آباط الابل، فكان يعرف لي حق صبري، فكنت إذا أتيت حلقته فسح لي، ويقص على أصحاب الحديث قصتي معه، فكان يناولني الحديث مناولة ، ويقرؤه علي وأقرؤه عليه، واعتللت في خلق معه. انتهى

والله من وراء القصد

أحداث وأزمة الهوية

أعده/ أبو عاصم البركاتي المصري

إنَّ الْحَمدَ للَّهِ نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللَّهِ مِنْ شُرُورِ أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا، مَنْ يهده اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ لَهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللَّهُ وحده لا شريكَ لَهُ، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

أما بعد .....

مصطلح المدنية هو مصطلح بديل للعلمانية التي ترفض الدين؛ فالآن وجد هذا الطابور الخامس من العلمانيين والليبراليين والملحدين وغيرهم من غير المسلمين الفرصة سانحة للتصريح -لا التلميح- بأغراضهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة؛ يحاولون الاصطياد في الماء العكر والنيل من هوية المسلمين واللغة العربية.

وهذا سمعناه منهم قبل ذلك منذ أبد؛ منذ غزا الغربيون بلادنا بجيوشهم وأفكارهم؛ فإن من آثار الغزو الفكري والثقافي والعسكري لبلاد المسلمين محاولة القضاء على هوية الأمة الإسلامية، واستبدالها بهويات باطلة مزعومة، كالقومية والوطنية والفرعونية، والقومية البربرية والقومية الكردية والشرق أوسطية وأخيراً المدنية؛ ونحو ذلك من الوبال.

وما نتاج بني الإلحاد مفخرة ... وإنما الفخر فيما وافق الدين

"هو سماكم المسلمين"

فالإسلام هو دين الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام، وهو دين من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(فصلت: ٣٣).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾(الحج: ٧٨).

وقال تعالى حاكياً عن نوح عليه السلام :﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ . فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(يونس: ٧١-٧٢).

الإسلام دين الله تعالى

الإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله ديناً سواه، وشرعته هي الشرعة التامة ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾(آل عمران: ١٩).

وهوية الأمة الإسلامية إنما هي الإسلام الذي قال الله تعالى عنه :﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣).

بل أمرنا أن نعلنها واضحة لأهل الكتاب وغيرهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:١٠٢).

وقال تعالى:﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾(الأنعام:١٦٢، ١٦٣).

الإسلام سبيل الوحدة

لأن المسلم أخو المسلم، قال تعالى :﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(الحجرات:١٠)،. وقال جل شأنه:﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ (آل عمران:١٠٣)، وقال سبحانه:﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾(الحجرات:١١)، وقال ﷺ: "المسلم أخو المسلم" .

وأخرج البخاري ومسلم في " صحيحهما" عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ».

فأخرج أحمد في " المسند " فعَنْ أَبِى نَضْرَةَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ؛ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلاَ لاَ فَضْلَ لعربي عَلَى أعجمي ، وَلاَ لعجمي عَلَى عربي ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟ ».

نحن قوم أعزنا الله بالإسلام

فالانضواء تحت راية الإسلام هو العز كله والسؤدد ، وكيف لا وهو يرضى بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً، وبالمسلمين إخواناً، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون:٨).

وقال تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ (النساء :١٣٩).

وقال سبحانه:﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ (فاطر:١٠).

وفي المستدرك للحاكم وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم(٥١) عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ ، قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَأَتَوْا عَلَى مَخَاضَةٍ وَعُمَرُ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ، فَنَزَلَ

عَنْهَا وَخَلَعَ خُفَّيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ فَخَاضَ بِهَا الْمَخَاضَةَ ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا ، تَخْلَعُ خُفَّيْكَ وَتَضَعُهُمَا عَلَى عَاتِقِكَ، وَتَأْخُذُ بِزِمَامِ نَاقَتِكَ، وَتَخُوضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ؟ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ، فَقَالَ عُمَرُ : " أَوَّهْ لَمْ يَقُلْ ذَا غَيْرُكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتُهُ نَكَالًا لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ".

وصدق الشاعر عندما قال :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

وإن الدخول تحت مظلة هذه الهوية والاندماج فيها، فرض متعين على المكلفين من بني آدم ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال . عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف:١٥٨).

فالأمر ليس اختيارياً ولا مستحباً، ولكنه واجبٌ عيني على الناس كافة، وروى مسلم " في صحيحه" بسنده عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله – ﷺ–: "والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه

الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به، إلا كان من أصحاب النار".

وأحسن الشاعر إذ يقول:

ومما زادني شـــرفاً وفـــخراً وكــدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صـيرت أحمد لي نبياً

ورحم الله من قال:

أنا مسلم وأقولها ملء الورى ... وعقيدتي نـور الحياة وسـؤدد
سلمان فيها مثل عمرو لا ترى ... جنساً على جنس يفوق بمحتد
وبلال بالإسلام يشمخ عزة ... ويـدكُّ تيجـان العنيد الملـحد
إن العقيدة في قلوب رجـالها ... من درة أقـوى وألـف مهنّد
لله أسـعى خاضعاً ومجاهداً ... ولغـير ربي جبهتي لم تسـجد
سنعيد للدنيا صباحاً مشرقاً ... ونضيء أنـواراً بشـرع محـمد
ونعيد أمجاد الجدود وعـزة ... شمـاء تسمو فوق هام الفرقد
ونقولها الله أكـبر حـسبنا ... وبمنهـج الله المهيمن نقتـدي

بالشرق أو بالغرب لست بمقتدي ... أنا قدوتي ما عشت شرع محمد

حاشاي يطويني سراب خـــادع ... ومعي كتاب الله يسطع في يدي

روح الحياة ونورها وجمالها ... من حاد عنه ففي ظلام ســـرمدي

أنا لست ممسوخ الدماغ مُكبَّلا ... فأضيع في حلك الوجود الأسود

الإسلام يعلو ولا يعلى عليه

يخطئ من يظن أن الإسلام يقضي على الانتماءات الجغرافية أو الانتماءات العرقية القبلية ، فالله تعالى يقول : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

ولكنها يجب أن تنضوي في الإطار العام لهوية المسلمين هوية الدين والعقيدة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في المجموع(٣/ ٤١٥):

" وَاَللَّهُ تَعَالَى قَدْ سَمَّانَا فِي الْقُرْآنِ : الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ فَلَا نَعْدِلُ عَنْ الْأَسْمَاءِ الَّتِي سَمَّانَا اللَّهُ بِهَا إلَى أَسْمَاءٍ أَحْدَثَهَا قَوْمٌ - وَسَمَّوْهَا هُمْ وَآبَاؤُهُمْ - مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ . بَلْ الْأَسْمَاءُ الَّتِي قَدْ يَسُوغُ التَّسَمِّي بِهَا مِثْلُ انْتِسَابِ

النَّاسِ إِلَى إِمَامٍ كَالْحَنَفِيِّ وَالْمَالِكِيِّ وَالشَّافِعِيِّ وَالْحَنْبَلِيِّ أَوْ إلَى شَيْخٍ كَالْقَادِرِيِّ والعدوي وَنَحْوِهِمْ أَوْ مِثْلُ الِانْتِسَابِ إلَى الْقَبَائِلِ : كَالْقَيْسِيِّ وَالْيَمَانِيِّ وَإِلَى الْأَمْصَارِ كَالشَّامِيِّ وَالْعِرَاقِيِّ وَالْمِصْرِيِّ . فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدِ أَنْ يَمْتَحِنَ النَّاسَ بِهَا وَلَا يُوَالِيَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَلَا يُعَادِيَ عَلَيْهَا بَلْ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ مِنْ أَيِّ طَائِفَةٍ كَانَ".

قال الشيخ سيد حسين العفاني في قصيدته:

لإسلامي أعيش أنا لتوحيدي وذا ديني
نقشت حروفه تعلو على كل العنــاوين
بخط بارز يســـمو عـلى كــل الميادين
لإسلامي ولو حتى إلى الجدران شدوني
لإسلامي ولو حـتى إلى النيران زفــوني
لإسلامي لإسلامي ولو في السوق باعوني
وإسلامي له عــرقي له نبضي وتكــويني
وثارات لإســـلامي تعـايشني تغــذيني
تبث النور في روحي وتنبض في شراييني

أنا مـــاذا أكون أنــا بلا ربي بـــــلا ديني ؟؟

أنا مـــاذا أكون أنــا أجيبـوني أجيبـــوني

أنا مـا رمـــــلة إلا وتعرفني وتدعـــوني

أنا بالـــدم قد رويت   زيتـــوني وليمـــوني

أنا من أعين الشـــهداء أستوحي براكيني

من القـرآن ينشـــدني فيطـربني ويشجيني

أمـامـا يا دروب الخلد شـــديه وشـــديني

أمـاما يا مخــاض النار يــا درب القــرابين

صـــلاح الـــدين في أعـــماق أعماقي يناديني

ورايـــاتي التي طـــويت على أعتـاب حطين

وأطفالي هنـــاك هنـــاك في عمر الرياحين

وآلاف من الأســـرى وآلاف المســـاجين

تنـــادي الأمة الكـــبرى وتهتف بالملايين

وصـــوت مؤذن الأقصى يهيب بنا أغيثوني

أنــا ماذا أكـــون أنا بلا ربي بلا دينــي ؟؟

أنــا ماذا أكـــون أنا أجيبــوني أجيبــوني

لإســلامي أعــيش أنا لتوحيدي وذا ديني

هدم الإسلام عصبية الجاهلية

أخرج مسلم في "صحيحه" عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ ».

ومعنى عمية: قالوا: هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه ؛ كذا قاله أحمد بن حنبل والجمهور، قال إسحاق بن راهويه: هذا كتقاتل القوم للعصبية.

وأخرج البخاري ومسلم في "صحيحيهما" عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنهما – قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ . وَقَالَ الْمُهَاجِرِي: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ . فَسَمِعَ ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– فَقَالَ: « **مَا بَالُ دَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ** » قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ . فَقَالَ: « **دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ** » .

حرص رسول الله ﷺ على الهوية الإسلامية وذلك بمحبته للتوجه تجاه البيت الحرام في الصلاة ؛ حتى لا يشابه اليهود والنصارى ؛ قال تعالى:﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾(الكافرون:٦)، وقال تعالى:﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة:٦-٧). ونهاية بالشكل الظاهر في الملبس والهيئة قال رسول الله ﷺ: "من تشبه بقوم فهو منهم" . رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي دواد(٧٦١/٢).

ومرورا بكل أمور الحياة العملية في قوله ﷺ : "**ليس منا من عمل بسنة غيرنا**" حسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٤٣٩.

وقال تعالى آمراً نبيه محمد ﷺ أن يقول للمخالفين : ﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (يونس:٤١).

وفي الصحيحين عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَوْفُوا اللِّحَى[(١)] ».

---

(١) أخرجه البخاري(٥٨٩٢) ومسلم(٦٢٥).

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « جُزُّوا الشَّوَارِبَ وَأَرْخُوا اللِّحَى خَالِفُوا الْمَجُوسَ [(١)]».

قال شيخ الإسلام بن تيمية: "وقد بعث الله عبده ورسوله محمدا ﷺ بالحكمة التي هي سنته؛ وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له؛ فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، وأمر بمخالفتهم في الهدى الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأمور منها أن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلًا بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال؛ وهذا أمر محسوس ؛ فإن اللابس لثياب أهل العلم مثلًا يجد من نفسه نوع انضمام إليهم ، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلا يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم ويصير طبعه مقتضيا لذلك إلا أن يمنعه من ذلك مانع[(٢)]".

محاولات طمس الهوية الإسلامية

حاول أعداء الإسلام في القديم والحديث طمس هوية المسلمين؛ والعمل على ربط المسلمين بغير الإسلام؛ فينشأ ناشئ المسلمين لا يعرف من الإسلام إلا

---

(١) أخرجه مسلم(٢٦٠).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١١؛ طبعة مطبعة السنة المحمدية – القاهرة؛ ت الشيخ محمد حامد الفقي.

اسمه؛ قال تعالى: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾(البقرة:٢١٧).

وقال تعالى:﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(البقرة:١٢٠) وقال جل شأنه: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾(النساء:٨٩).

وقال عز وجل: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾(البقرة: ١٠٩).

في آخر عام ١٩٦٧ وفي محاضرة في جامعة برنستون الأمريكية صرح أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل حينها: " يحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نسبه الإسلامي بعد الهزيمة ، وفي ذلك الخطر الحقيقي على إسرائيل ، ولذا كان من أول واجباتنا أن نبقي العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي."

ويقول الأسقف زويمر -: "لن يكون هدفنا إدخال المسلمين بالدين المسيحي فهذا شرف لا يستحقونه وإنما إخراجهم من دين الإسلام وتركهم بدون عقيدة دينية".

" وبالتقليب في صفحات التاريخ، نجد أن تونس دولة رائدة كان لها السبق في الإسلام في شمال إفريقيا، وكانت قاعدة مهمَّة لانطلاق الجيوش والدعاة والعلماء إلى أقطار إفريقيا المختلفة، ومنذ الاحتلال الفرنسي لتونس عمل الاحتلال وأتباعه على تحويل هذا البلد إلى مركز للعلمانية، وللطريق إلى ذلك اتخذت قيادات تونس خطوات واسعة نحو علمانية شاملة في جميع الجوانب التعليمية؛ حيث بدأت بتغيير مناهج التربية الإسلامية في القطاعات التعليمية كافة، وصولاً إلى جامعة "**الزيتونة**"، ووضعوا جل تركيزهم على تغيير مادة التربية الإسلامية من عدة جوانب، فبدءوا في التشكيك في كل شيء، بما في ذلك المعلوم من الدين بالضرورة، مثل الأنبياء والعصمة والملائكة والقرآن والسنّة ونحوها من المسائل الغيبية.!!

كما تم استبعاد الموضوعات الشرعية والفكرية الإسلامية التي لها علاقة بالفكر السياسي الإسلامي، مثل الحكم والخلافة والحاكمية، وركزت المناهج الجديدة على إظهار التاريخ الإسلامي السياسي بمظهر الصراع اللانهائي على السلطة، والقتل والخداع والمحاربة من أجل "الكرسي" والحفاظ على العرش، حتى ولو سُخر الدين ووُظفت آلياته في سبيل ذلك.!

وبدأت المدارس والجامعات التونسية في تدريس "التوراة والإنجيل" لكل الطلبة حتى المسلمين، مدعية أن ذلك في إطار ما يسمى بالانفتاح على الحضارات والديانات الأخرى.!

وكانت الجامعات التونسية بدأت منذ سنوات تدريس اللغة العبرية، واعتمدت كليتا "سوسة" و"منوبة" للآداب والعلوم الإنسانية اللغة العبرية مادة اختيارية، رغم احتجاج بعض أساتذة التعليم العالي المناهضين للتطبيع مع الاحتلال الصهيوني.!"

قلب أحكام الإسلام!

وعندما تولَّى حكم تونس الحبيب بورقيبة انتهج نفس نهج الاحتلال، ومضى على دربه زين العابدين بن علي (الرئيس التونسي المخلوع)؛ حيث أصدر بورقيبة بعد ٣ أشهر فقط من الاستقلال مجلة تحت اسم "**مجلة الأحوال الشخصية**"، وفي هذه المجلة بدأ يصدر التشريعات التي تعيد تشكيل المجتمع التونسي وفق الرؤية الفرنسية، وهكذا بدأت تتوالى التشريعات المخالفة للإسلام منذ الأيام الأولى لحكم بورقيبة، فصدر قانون منع تعدُّد الزوجات.

وحدثت القصة الهزلية التي دهمت فيها الشرطة منزل رجل أُشيع عنه أنه تزوج بامرأة ثانية، فلما وجدوه مع زوجته الثانية قال لهم: إنها عشيقتي!

فتركوه معتذرين له!؛ لأن اتخاذ عشيقة حرية شخصية كما ينص عليه الدستور الفرنسي، بينما اتخاذ زوجة ثانية جريمة يعاقب عليها القانون.!

كما صدر قانون يبيح التبني، وصدر قانون آخر يمنع الزوج من العودة إلى مطلقته التي طلقها ثلاثًا بعد طلاقها من زوج غيره، وصدر قانون يمنع الزوج من طلاق زوجته إلا بإذن من القضاء.

وسمح بورقيبة للمرأة بالإجهاض، بل سمح للزوجة أن تجهض نفسها دون استشارة زوجها، ورفع سن زواج الرجال إلى عشرين سنة، والبنات إلى ١٧ سنة، بل إن تونس صادقت على اتفاقية نيويورك المؤرخة في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٦٢م، والتي تقضي بأن من حق المرأة أن تتزوج من أي رجل دون اعتبار للدين، ومن ثَم يمكن للمرأة التونسية المسلمة أن تتزوج من غير مسلم .!

لقد صدرت هذه القوانين تباعًا في مجلة الأحوال الشخصية، وحدثت اعتراضات كبيرة جدًّا في المجتمع التونسي، غير أن بورقيبة الذي تشرَّب المنهج الفرنسي كاملاً واجه هذه الاعتراضات بدموية شديدة، وبقسوة بالغة، ولم ينظر إلى أن الدستور التونسي يعتبر الإسلام دين الدولة، ولعب بمشاعر الشعب بشكل لم يره الشعب من المحتل الفرنسي.!

تحريم الصوم والصلاة

كما دعا عام ١٩٥٦م إلى تحريم الصوم على الشعب التونسي؛ حتى في شهر رمضان، بدعوى أن الصوم يقلِّل الإنتاج ويعوق تقدم تونس ونهضته.!!

وحتى الصلاة لم تسلم من مخططات قادة تونس لتدمير الهوية الإسلامية والعربية لشعبها؛ حيث جعلوا من الصلاة والحث عليها جريمة تستحق العقاب، ووجهت تهمة ارتكاب جريمة مخالفة للقانون إلى أحد الطلاب الذي طالب بإنشاء مسجد للصلاة داخل الكلية، واتهموه بالتحريض على رفع الأذان فيها، وجريمة إقامة الصلاة في ساحة الكلية .!

كما أعلن وزير الداخلية التونسي الهادي مهني أن الصلاة لن تجوز سوى "بالبطاقة المغناطيسية" لكل مصلٍ لتنظيم الصلوات في المساجد وترشيدها، كما أعلن أن وزارة الداخلية ستقوم بتسليم كل من يتقدم بطلب بطاقة تمكنه من ارتياد أقرب مسجد من محل سكنه فقط أو من مقر عمله إذا اقتضت الحاجة، ولن يسمح له بغيرها من المساجد.!

وأوجب على المصلي التقدم بطلب بطاقة خاصة، يبدي فيها رغبته في صلاة الجمعة!، وشدد على أئمة المساجد أن يتأكدوا من أن جميع المصلين داخل

قاعة الصلاة حاملون لبطاقاتهم، كما يتعين على كل إمام طرد كل مصل لا يحمل بطاقة أو على بطاقته اسم مسجد آخر غير الذي يصلي فيه!!

جمع الجمعة بالعصر!

كما فرض النظام يوم الأحد عطلةً أسبوعيةً بدلاً من الجمعة، وعندما تضرر المواطنون التونسيون من حرمانهم من صلاة الجمعة، لجأ بورقيبة إلى إصدار فتاوى من بعض المشايخ تقضي بجواز الجمع بين صلاة الجمعة وصلاة العصر معًا؛ بحيث يتم تقسيم المساجد يوم الجمعة إلى قسمين الأول يؤدِّي الصلاة في وقتها، بينما القسم الثاني يؤجِّلها إلى ما قبل صلاة العصر بنصف ساعة حتى تتاح للموظفين العموميين الصلاة.!

هذا فضلاً عن أن جميع خطب الجمعة تأتي مكتوبة وموحدة بجميع المساجد، وعلى الخطباء الالتزام بها، وإلا تعرضوا للمساءلة، وأغلبها يتحدث عن أهمية الحفاظ على قواعد السير والمرور بالطرق تجنبًا للحوادث المروعة، التي تتضاعف خلال عطلة الصيف، وكيفية انتعاش السياحة الداخلية والخارجية، وأهمية الحفاظ على الزهور بالشوارع والحدائق العامة، وتختتم الخطبة بالدعاء للرئيس ولوزير الداخلية ورجال الشرطة.!

وجميع المساجد بتونس تخضع لنظام صارم، يقضي بفتحها أمام المصلين في أوقات الصلاة فقط، ويتم بعدها إغلاق أبوابها فورًا، ولا يسمح القائمون عليها لأي مصلٍ بالبقاء داخل المسجد، كما يحظر عقد أي تجمع أو اجتماع داخل المسجد تحت أي مسمى مهما كانت الأسباب.!

تجريم الحجاب!

كما شهدت تونس محاولات مستميتة للقضاء على الحجاب، بسبب الصحوة الإسلامية التي حدثت في السبعينيات؛ وأصدر بورقيبة قانونًا في سنة ١٩٨١م، الذي عُرف بمنشور رقم "١٠٨"، والذي وصف فيه الحجاب بالزي الطائفي، ووزعت الجهات الرسمية على أئمة المساجد منشورًا تحثهم فيه على تشجيع خلع المرأة حجابها، وأنه ليس من الدين في شيء.!!

وهاجم وزير الشئون الدينية التونسي أبو بكر الأخزوري الحجاب في أكثر من مناسبة، ووصفه بالدخيل والنشاز غير المألوف على المجتمع التونسي، وقال "الأخزوري" واصفًا الحجاب بأنه زي طائفي يخرج مَن يرتديه عن الوتيرة المألوفة، واعتبره ظاهرة تتسبب في تراجع المجتمع التونسي! .

وأضاف بورقيبة أن الحجاب زي طائفي، يؤدِّي إلى انقسام المجتمع، مع أن نسبة المسلمين في تونس أكثر من ٩٨ ٪، ونسبة النصارى ١٪، ونسبة اليهود أقل من ١٪.

ونشطت الشرطة في مطاردة المحجبات في الشوارع، ومنعت المحجبات من الأعمال الحكومية، وتعرض الأزواج والآباء للمساءلة في حالة وجود محجبة في بيوتهم، بل إن المحجبة كانت لا تستطيع أن تلد في مستشفيات الحكومة.!!

وفي خطوة تأكيدية لهذا القانون الإجرامي، صدر قانون آخر يُعرف بقانون (١٠٢) في سنة ١٩٨٦م يؤكد على خطر الحجاب بشكلٍ تامٍ على نساء تونس.!!

الحجاب و"ابن علي"

وفي عام ١٩٨٧م –وبعد ٣١ سنة من حكم بورقيبة– قام وزير الداخلية "زين العابدين بن علي" بانقلاب على الرئيس بورقيبة ليتولى زمام الحكم في البلاد من وقتها وإلى زماننا هذا، وأجبر الطالبات الملتحقات بالجامعات المختلفة، على توقيعهن على إقرار، مفاده أنهن لن يدخلن الجامعة إلا "برأس مكشوف"!!، وأن الطالبة التي لن توقع على المرسوم سيتم حرمان دخولها الجامعة، بل وستتعرض لملاحقة قضائية، على حدِّ وصف المرسوم.!!

كما لم يغفل ذلك المرسوم الطلاب الذكور؛ حيث شرط عليهم دخول الجامعة بذقن محلوق؛ حيث إن اللحية تُعَدّ خطرًا داهمًا على الجامعات التونسية.!

وفي خلال التحقيق التالي طرح العديد من الأسئلة حول تأثير الحرب التي قام بها نظاما بورقيبة وزين العابدين على الهوية الإسلامية والعربية، وهل عاد الشعب التونسي إلى حضنه العربي والإسلامي مرة أخرى؟، أم أن ما حدث كان ثورة جياع ليس لها علاقة بالهوية والانتماء..؟

بدايةً يقول المستشار طارق البشري، المفكر والمؤرخ الإسلامي ونائب رئيس مجلس الدولة الأسبق، إن ما حدث في تونس من هَبَةٍ شعبيةٍ قويةٍ أمرٌ طبيعيٌّ، في ظل امتداد حكم نظامٍ فاسدٍ وغير قومي، والذي سعى بكل ما أُوتي من قوة لتدمير هوية شعبه وعدم احترام ثقافتهم الإسلامية والعربية.

ويوضح أن النظام السابق كان نظامًا غير وطني بالمرة؛ حيث سعى إلى تحطيم الشعور بالذات لدى المواطن التونسي، ولم يحترم خصوصياته، بل سعى إلى تحطيم هويته الثقافية والوطنية والدينية .

ويؤكد أن تحطيم الهوية العربية والإسلامية للشعب التونسي من قِبَل حكامه المستبدين، كانت من أهم عوامل سقوط النظام الحالي، لأن الشعب التونسي

على الرغم من المظاهر الغربية التي اجتاحته، لكنه رفض كلَّ مخططات طمس هويته العربية والإسلامية، والتي ظهرت في ثورته الأخيرة.

ويشير إلى أن اعتداء "زين العابدين بن علي" على الهوية من خلال مظاهر عدة، يثبت انصياعه التام للغرب والعلمانية، ويثبت استهانته الكاملة برغبات شعبه واتجاهاتهم ومعتقداتهم، على الرغم من أن عدد المسلمين فيه يقدر بـ ٩٨٪، وينص دستوره على أن الإسلام هو دين الدولة، وأن لغته الأساسية العربية.

ويرى أنه على الرغم من أن السنوات الماضية التي سعى فيها حكام تونس المستبدون إلى طمس هوية شعبهم الإسلامية والعربية، سيكون لها أثر سلبي على عقول الشعب التونسي، خاصة الجيل الصغير منه، لكنها ستخلق إرادةً قويةً لديهم، بأنه لا يرأسهم ولا يتولاهم إلا من يتعهد باستعادة هويتهم الإسلامية والعربية الضائعة.

تجفيف منابع الإسلام "تجربة العلمنة"

ويؤكد المفكر الدكتور رفيق حبيب أن تونس منذ عهد الحبيب بورقيبة تمثل النموذج العربي الأكثر "علمنة"، مع حفاظها على إقامة علاقات جيدة مع الغرب، والتي سبقتها بها مصر ورئيسها السادات الذي قاد تلك العلاقات

عقب الاحتلال الصهيوني سيناء، وكانت تلك العلمانية تُفرض من قِبَل النظام الحاكم عن قناعة وبالقوة الجبرية، وبصورة جذرية تستأصل وتتحدى الهوية العربية والإسلامية بصورة لم تحدث من قبل.

ويضيف قائلاً: إن بعد ما فعله الحبيب بورقيبة من استبدال هوية فرنسية خالصة بالهوية العربية والإسلامية، عمل خليفته زين العابدين بن علي على تجفيف منابع الثقافة الإسلامية من الجذور.

ويوضح أن تلك العلمانية والتغريب ومحو الهوية التي سار على نهجها النظام التونسي أدَّت إلى تفكيك المجتمع من أي هوية جامعة، وأفقدته بعضًا من ذاته الحضارية، وأدَّت إلى تهميش فئات واسعة منه، وأدَّت كذلك إلى انتشار الفقر والبطالة، وجعلت التنمية حكرًا على الفئة المرتبطة بالنظام الحاكم فقط، كما تم ضرب الهوية العربية والإسلامية ورموزها في تونس، كما حدث مع حركة النهضة التونسية، فتردت أحوال المجتمع على جميع الأصعدة.

ويؤكد أن ما رأيناه في تلك الثورة هو عودة لتلك الهوية رغم كلّ القيود، التي عرَّضت المجتمع لضغط شديد، أدَّى إلى حدوث ذلك الانفجار، فما حدث في تونس هو انتفاضة شعبية تريد حاكمًا حرًّا عادلاً، وتريد كذلك استعادة هويتها وحقوقها التي سُلبت منها.

ويُحذِّر د. حبيب من فشل تلك الثورة إذا لم يتوفر لدى الشعب الوعي الكامل بالقضاء على جميع مظاهر الاستبداد والفساد، فبسبب ضرب نظام الرئيس المخلوع "بن علي" لكل القوى والحركات السياسية؛ أصبحنا نرى الشعب يتحرك دون قيادة؛ ما يجعلنا أمام طريقين لا ثالث لهما، فإما أن ينجح الشعب في تحقيق مطالبه، أو يستطيع الرئيس المخلوع أن يستعيد سلطاته وحكمه كما كان .

قمع الدين:

ويتفق معهما في الرأي الدكتور جابر قميحة، أستاذ الأدب العربي بجامعة عين شمس؛ حيث يؤكد أن من عوامل سقوط النظام التونسي الحالي بلا شك هو ديكتاتوريته المطلقة، وقمعه الدين الإسلامي، وطمسه الهوية الإسلامية والعربية.

ويرى أن تلك العوامل تُعدُّ بمثابة جرس إنذار لكلِّ الأنظمة المستبدة في الوطن العربي؛ لأن مَن يحارب الإسلام في شتى مناحي الحياة، ويستميت في ضرب الإسلاميين، لا بدَّ أن تكون نهايته هي الإطاحة، أو هروبه ذليلاً، لأن هذه هي سنة الحياة.

ويلفت النظر إلى أن مَن يقرأ التاريخ سيجده يعيد نفسه اليوم مرة أخرى، مشيرًا إلى أن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة.

ويبين أن معركة طمس الهوية الإسلامية والعربية في تونس، خُطط لها منذ زمن طويل، إلا أن إرادة الشعب التونسي أثبتت أنها أقوى من أي قمع مهما طال الزمن، مستبشرًا خيرًا بما قام به الشعب التونسي، ومن وصوله إلى النصر والحرية.

ويوضح أن ما حدث في تونس يضع أصابعنا على حقيقتين لا ينكرهما أحد: الحقيقة الأولى أن الظلم والديكتاتورية والحرص على السيطرة لا يمكن أن تستمر، فلها نهاية مهما طال الأمد.

ويضيف قائلاً: إن الحقيقة الثانية تتمثل في أن إرادة الشعب لا يمكن أن تتهدم أمام أي سلطة مهما كانت قوتها، ولن تستسلم هذه الإرادة وهذا الإصرار إلا بالتنفيذ العملي، وليس بالوعود الزائفة الشفوية، موضحًا أن شعب تونس داوم على الحركة في تطورات وإضرابات وزحوف مستمرة لا تهدأ أبدًا.

ويستشهد ببيت من قصيدة الشاعر التونسي أبو قاسم الشباني الطويلة التي يقول فيها:

سيجرفك السيل سيل الدماء   ويأكلك العاصف المشتعل

ويضيف د. قميحة قائلاً: إن هروب الرئيس المستبد "بن علي" فجأة ولجوءه إلى بلد عربي آخر يُعدُّ استسلامًا لإرادة الشعب وإصراره، وسيكون له تأثير كبير على نُظم الحكم القائمة في البلاد العربية، موضحًا أن أغلب حكام البلاد العربية يدعون أنهم يطبقون النظام "الجمهوري"، ولكنهم مدوا حكمهم إلى عشرات السنين، واخترعوا ما يمكن أن نسميه بالنظام "الجمهوملكي"، وهو نظام ليس له وجود إلا في الوطن العربي .

نُظم بوليسية:

ويشير الدكتور حلمي القاعود، المفكر والكاتب الإسلامي، إلى أن نظامي حكم الرئيس المخلوع "بن علي" وسلفه "بورقيبة" هما نظامان عميلان يقومان بالحكم بالوكالة للاستعمار الفرنسي، ويعيش ذلك النظام ويستمر في محاربة الإسلام والهوية العربية، موضحًا أنهما مثال لنظم الحكم البوليسية التي تحكم بالعصا الغليظة، بغرض التقرب من الغرب الاستعماري الذي يتصوره ذلك النظام على أنه الحامي والضامن الوحيد له لبقائه، فيتجرأ على الإسلام .

ويبين أن الإسلام هو الكلأ المُباح بالنسبة إليهم وليس له نصير، وأهله مستباحون في جميع الأمصار؛ ولذلك فهو استأصل الإسلام من التشريعات والتعليم والثقافة والفكر، والسياسة وكل ما كان للإسلام تأثير ملحوظ به،

وهذا الفكر يقدمه أولئك الطغاة للغرب على أنه القربان من أجل البقاء على سدة العرش، فـ"بن علي" وصفته فرنسا بأنه "المُعجزة الاقتصادية"، بالرغم من تضاعف ديون بلاده في عهده، ديون تونس، عندما تولى بن علي الرئاسة كانت تبلغ ٦٫٥ مليارات دولار، في حين أنها أصبحت الآن ١٤ مليار دولار.

ويؤكد د. القاعود أن الثورة الأخيرة تُمثِّل التعبير الأمثل عن عذابات وآلام شعب كامل تجرَّع الهوان لمدة ٤٠ عامًا، والتي اجتمعت بها كلَّ الأسباب المحرِّكة لشعب يبحث عن حريته، ومُستعد أن يبذل في سبيلها كل غالٍ ونفيس.

ثقافة مُتجذِّرة

ويشدِّد الدكتور خالد فهمي، الأستاذ بكلية الآداب جامعة المنوفية، على الخطأ الشديد الذي يقع فيه كل مَن يظن أن الثقافات المُتجذِّرة يمكن استئصالها بسهولة، فالفتح الإسلامي لتونس جاء منذ ١٣٠٠ عامٍ تقريبًا على يد نوع من الفاتحين يُسمى "المُجاهدين القراء" من الصحابة والتابعين، الذين مكثوا واستقروا بتونس وبلاد المغرب العربي لتعليم الناس وتوطين الثقافة الإسلامية في نفوسهم، فذلك النوع من الثقافة والهوية لا يمكن اقتلاعه، فله جذور تمتد لمئات السنين.

ويكمل أن من أشهر المنابر الإسلامية المُؤثرة عبر التاريخ الإسلامي كانت جامعة "الزيتونة التونسية"، وبالطبع كان لها تأثير عميق في الثقافة والهوية التونسية، وكان لشيوع الثقافة العربية والإسلامية وسيطرتها بتونس مظاهر عدة؛ فشيخ الأزهر السابق "محمد الخضر حُسين" كان تونسي النشأة، وكذلك المفكر العربي والإسلامي الشهير ابن خلدون، موضحًا أن هناك نوعًا من تبادل الدعم الثقافي الإسلامي والعربي بين تونس والبلاد العربية وعلى رأسها مصر؛ ولذلك مُورس ضدها وضد شقيقتها الجزائر عمليات محو الهوية في أبشع صورها من قِبَل الاحتلال الفرنسي والأنظمة العميلة التي جاءت بعده.

ويستطرد قائلاً: إن طمس الهوية في تونس تمثل في اقتلاع اللسان العربي، ومحاربة السمت الإسلامي العام بكلِّ طقوسه وتقاليده؛ ما جعلنا نشاهد محاربة مستميتة للرموز الإسلامية، كما شنت تلك القوى حربًا شعواء على الحجاب، وقننت منع الصيام في رمضان بحجة تأثيره السلبي على الإنتاج، مشيرًا إلى أنها في المقابل أصدرت تراخيص لبيوت المتعة دعمًا للفساد والانحلال.

ويوضح أن فترة "بورقيبة" و"بن علي"، وما قبلها من احتلال غربي فرنسي، حاولت أن تمحو الهوية العربية والإسلامية التونسية كانت تواجه حضارة

إسلامية تونسية عمرها ١٣٠٠ عام تقريبًا، يستحيل أن يتم محو جذورها في عشرات السنين.

ويؤكد د. خالد أن النخب الإسلامية كان لها تأثير في اندلاع الثورة، فمن خلال قراءة صامتة لجموع المحتجين وأزيائهم وهيئتهم تبين أن الهوية الإسلامية والعربية لها تأثير واضح وجلي على فئة كبيرة منهم، وكل ما نخشاه هو أن تتم سرقة هذا النصر لصالح توجهات علمانية صرفة كنظام الحكم السابق، في إقصاء واضح لجميع الفئات الوطنية الموجودة على الساحة وعلى رأسها التيار الإسلامي".

مخاطر التفريط في الهوية

إذا انسلخ المسلم من هويته وراح يجري خلف سراب خادع من المذهبيات والطوائف والقوميات الفارغة فإنه لن يجني إلا الجراح تلو الجراح، فرأينا شعوباً جرت حول أفكار سموها بعثية وأخرى قومية عربية أو فارسية ولم تجني الأمة إلا الضعف والضياع ، لأن ما كان لله دام واتصل ، وما كان لغير الله انقطع وانفصل ، فمن مخاطر ضياع الهوية الحقيقية للمسلم ما يلي:

(١) التفكك والتشرذم ثم الضعف والانحلال، والله تعالى يقول:﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٤٦).

وفي صحيفة يديعوت أحرونوت بتاريخ ١٨/ ٣/ ١٩٧٨م : " إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامة هي جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب ، هذه الحقيقة هي أننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاما، ويجب أن يبقى الإسلام بعيدا عن المعركة إلى الأبد ، ولهذا يجب ألا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل وبأي أسلوب ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش فإخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا" اهـ.

(٢) ظهور أجيال من المسلمين ممسوخة الأفكار مطموسة الملامح يجهلون العقيدة يوالون أهل الكفران .

(٣) الاحتلال الفكري والثقافي الذي سيغزونا ، وهو شر أنواع الاحتلال.

(٤) تضييع الفرائض والأحكام ومن ثم تهميش دور الدين الذي هو قائد للمسلم في كل أموره.

وسائل الحفاظ على الهوية الإسلامية

أولاً: إقامة الولاء والبراء في القلوب، والذي يعني وجوب محبة المؤمن ونصرته وبغض الكافر وعداوته، والولاء والبراء أصل في عقيدة المسلمين؛

قال تعالى:﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾(٥٥ –٥٧)؛ قال تعالى:﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة:٤).

ثانياً: الحذر من التشبه باليهود والنصارى وسائر الملل من غير المسلمين ؛ سواء كان التشبه بهم في أسلوب الحياة من لباس أو طريقة كلام، مما هو من خصائصهم التي تميزهم، قال رسول الله ﷺ:"من تشبه بقوم فهو منهم"[1].

ثالثاً: عدم الاختلاط بغير المسلمين إلا لحاجة ؛ فقد أخرج الترمذي وأبو داود وصححه الألباني قول رسول الله ﷺ: " الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ".

---

(١) رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي دواد(٧٦١/٢).

رابعاً: معرفة التاريخ الإسلامي ومواقف المسلمين مع الأمم غير المسلمين ، وأخذ العظة والعبرة من التاريخ .

خامساً : التصدي لمن يحاول تزييف وتزوير وتشويه صورة التاريخ الإسلامي الحافل.

سادساً: الحرص على اللغة العربية لغة القرآن ولغة النبي ﷺ، والتصدي لمحاولات أعداء الإسلام في عملهم لإضعافها وإحلال العاميات بدلا منها أو استبدالها بلغات أخرى.

سابعاً : إقامة أركان الإسلام، وترك المحرمات، والحرص على مظاهر شخصية المسلم، وأمر النساء بالحجاب، والعناية بتربية الأولاد تربية إسلامية.

ثامناً: الحرص على الترابط وإقامة علاقات وصلات جيدة بينكم خاصة، ومع باقي المسلمين عامة، فهذا من شأنه أن يوحد أمركم ويقوي عزمكم، ويعينكم على مواجهة عدوكم، قال ﷺ: " المسلمُ للمسلمِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضًا. وشبك بين أصابعه" . رواه مسلم.

وقال أيضاً: "عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية". رواه أحمد.

والله من وراء القصد

ضرورة الهوية الإسلامية

أبو عاصم البركاتي المصري

إنَّ الْحَمدَ للَّهِ نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللَّهِ مِنْ شُرُورِ أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا، مَنْ يهده اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ لَهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللَّهُ وحده لا شريكَ لَهُ، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ .

أما بعد .....

فإن من آثار الغزو الفكري والثقافي والعسكري لبلاد المسلمين محاولة القضاء على هوية الأمة الإسلامية ، واستبدالها بهويات باطله مزعومة ، كالقومية والوطنية والفرعونية ، والقومية البربرية والقومية الكردية والشرق أوسطية ونحو ذلك.

هو سماكم المسلمين

فالإسلام هو دين الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام ، وهو دين من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ (الحج: ٧٨).

وقال تعالى حاكياً عن نوح عليه السلام :﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ . فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٧١-٧٢).

الإسلام هو دين الله تعالى

الإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله ديناً سواه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران: ١٩).

والإسلام هو هوية الأمة ودينها ونجاتها وعزها في الدارين لا ريب؛ قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ..﴾ (المائدة: ٣).

بل أمرنا أن نعلنها واضحة لأهل الكتاب وغيرهم بقوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:١٠٢).

الإسلام سبيل الوحدة

لأن المسلم أخو المسلم ، أخرج مسلم في " صحيحه" عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ».

قال تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات : ١٠).

فأخرج أحمد في " المسند " فعَنْ أَبِى نَضْرَةَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فِى وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ؛ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِي عَلَى أَعْجَمِي ، وَلاَ لِعَجَمِي عَلَى عَرَبِي ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟ ».

نحن قوم أعزنا الله بالإسلام

فالانضواء تحت راية الإسلام هو العز كله والسؤدد، وكيف لا وهو يرضى بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً ، وبالمسلمين إخواناً، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون : ٨).

وفي المستدرك للحاكم وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم(٥١) عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ : خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَأَتَوْا عَلَى مَخَاضَةٍ وَعُمَرُ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ، فَنزَلَ عَنْهَا وَخَلَعَ خُفَّيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ ، وَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ فَخَاضَ بِهَا الْمَخَاضَةَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا ، تَخْلَعُ خُفَّيْكَ وَتَضَعُهُمَا عَلَى عَاتِقِكَ ، وَتَأْخُذُ بِزِمَامِ نَاقَتِكَ ، وَتَخُوضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ ؟ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ ، فَقَالَ عُمَرُ : " أَوَّهْ لَمْ يَقُلْ ذَا غَيْرُكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتُهُ نَكَالًا لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالإِسْلامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ " .

وصدق الشاعر عندما قال :

أبي الإسلام لا أب لي سواه　　　إذا افتخروا بقيس أو تميم

وإن الدخول تحت مظلة هذه الهوية والاندماج فيها ، فرض متعين على المكلفين من بني آدم ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال. عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُو يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

فالأمر ليس اختيارياً ولا مستحباً، ولكنه واجبٌ عيني على الناس كافة، وروى مسلم" في صحيحه" بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – ﷺ-: "والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به، إلا كان من أصحاب النار".

وأحسن الشاعر إذ يقول:

ومما زادني شــــرفاً وفـخراً وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً

الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه

يخطئ من يظن أن الإسلام يقضي على الانتماءات الجغرافية أو الانتماءات العرقية القبلية، كلا ؛ فمحبة الأوطان وملاعب الصبا وإخوان العشيرة أمر فطري جبلي؛ والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣). والنبي ﷺ كان يحب مكة وأرضها وينتسب إلى قومه وقبيلته في قوله: " أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب" وكان يحب قريشًا ويقدمها ويوصي بها ؛ ولكن حب القبيلة وما شابهه يجب أن لا يحمل

صاحبه على عصبية ممقوتة ولا يدفعه إلى حزبية بغيضة وإقليمية ضيقة وأفكار بالية تقوم على النعرات الهادمة والاصطدام المذموم؛ بل يجب أن ينضوي هذا الحب وهذا الانتماء في الإطار العام لهوية المسلمين هوية الدين والعقيدة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في المجموع (٣/ ٤١٥):

" وَاَللَّهُ تَعَالَى قَدْ سَمَّانَا فِي الْقُرْآنِ : الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ فَلَا نَعْدِلُ عَنْ الْأَسْمَاءِ الَّتِي سَمَّانَا اللَّهُ بِهَا إلَى أَسْمَاءٍ أَحْدَثَهَا قَوْمٌ - وَسَمَّوْهَا هُمْ وَآبَاؤُهُمْ - مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ . بَلْ الْأَسْمَاءُ الَّتِي قَدْ يَسُوغُ التَّسَمِّي بِهَا مِثْلُ انْتِسَابِ النَّاسِ إلَى إمَامٍ كَالْحَنَفِيِّ وَالْمَالِكِيِّ وَالشَّافِعِيِّ وَالْحَنْبَلِيِّ أَوْ إلَى شَيْخٍ كَالْقَادِرِيِّ والعدوي وَنَحْوِهِمْ أَوْ مِثْلُ الِانْتِسَابِ إلَى الْقَبَائِلِ : كَالْقَيْسِيِّ وَالْيَمَانِيِّ وَإِلَى الْأَمْصَارِ كَالشَّامِيِّ وَالْعِرَاقِيِّ وَالْمِصْرِيِّ . فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدِ أَنْ يَمْتَحِنَ النَّاسَ بِهَا وَلَا يُوَالِيَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَلَا يُعَادِيَ عَلَيْهَا بَلْ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ مِنْ أَيِّ طَائِفَةٍ كَانَ" .

هدم الإسلام عصبية الجاهلية

أخرج مسلم في " صحيحه" عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قتل تحت راية عمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتلة جاهلية» .

ومعنى عمية: قالوا : هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه ؛ كذا قاله أحمد بن حنبل والجمهور ، قال إسحاق بن رهويه : هذا كتقاتل القوم للعصبية.

مخاطر التفريط في الهوية

إذا انسلخ المسلم من هويته وراح يجري خلف سراب خادع من المذهبيات والطوائف والقوميات الفارغة فإنه لن يجني إلا الجراح تلو الجراح ، فرأينا شعوباً جرت لاهثة خلف أفكار سموها بعثية وأخرى قومية عربية أو فارسية ولم تجني الأمة إلا الضعف والضياع ، لأن ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل، فمن مخاطر ضياع الهوية الحقيقية للمسلم ما يلي:

(١) التفكك والتشرذم ثم الضعف والانحلال، والله تعالى يقول: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦).

(٢) ظهور أجيال من المسلمين ممسوخة الأفكار مطموسة الملامح يجهلون العقيدة يوالون أهل الكفران .

(٣) الاحتلال الفكري والثقافي الذي سيغزونا ، وهو شر أنواع الاحتلال؛ لأن به سيجني أعداؤنا حلفاء من بيننا ودعما من أموالنا.

(٤) تضييع الفرائض والأحكام ومن ثم تهميش دور الدين الذي هو قائد للمسلم في كل أموره.

(٥) خسارة المسلم دنياه وآخرته فلا بضياع هويته حاز دنيا ولا أبقى دينه؛ بل انماع في أفكار تغريبية ومبادئ علمانية .

وسائل الحفاظ على الهوية الإسلامية

أولاً: الحرص على أصل الولاء والبراء في القلوب والأقوال والأعمال، والذي يعني وجوب محبة المؤمن ونصرته وبغض الكافر وعداوته، قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة: ٤).

ثانياً: الحذر من التشبه باليهود والنصارى وسائر الملل من غير المسلمين ؛ سواء كان التشبه بهم في أسلوب الحياة من لباس أو طريقة كلام، مما هو من خصائصهم التي تميزهم، قال رسول الله ﷺ: **"من تشبه بقوم فهو منهم"** . رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي دواد(**٢/ ٧٦١**).

ولذلك كره النبي ﷺ التشبه بغير المسلمين في خصائصهم كالنداء للصلاة بالنفخ في البوق أو بضرب الجرس أو بإشعال نار لما فيه من تشبه بغير

المسلمين بأمر من شعائرهم؛ حتى من الله على المسلمين بالأذان فكان شعارا للإسلام وعزا للدين وإعلاءً لكلمة الله تعالى.

ثالثاً: عدم الاختلاط بغير المسلمين إلا لحاجة ؛ فقد أخرج الترمذي وأبو داود وصححه الألباني قول رسول الله ﷺ: " الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل".

رابعاً: معرفة التاريخ الإسلامي ومواقف المسلمين مع الأمم غير المسلمين ، وأخذ العظة والعبرة من التاريخ .

خامساً : التصدي لمن يحاول تزييف وتزوير وتشويه صورة التاريخ الإسلامي الحافل.

سادساً: الحرص على اللغة العربية لغة القرآن ولغة النبي ﷺ، والتصدي لمحاولات أعداء الإسلام في عملهم لإضعافها وإحلال العاميات بدلا منها أو استبدالها بلغات أخرى.

سابعاً : الحرص على مظاهر شخصية المسلم في سمته الظاهر والباطن، ومن ذلك بلا شك حجاب المرأة، والعناية بتربية الأولاد تربية إسلامية؛ وذلك بربطهم بتاريخهم العظيم تاريخ الأبطال والفاتحين منذ عهد رسول الله ﷺ

مرورا بصحابته الكرام رضي الله عنهم ومن سار بسيرهم؛ والتخلق بأخلاقهم وتسمية الأبناء بأسمائهم بدلا من التسمي بأسماء غير المسلمين.

ثامناً: الحرص على الترابط وإقامة علاقات وصلات جيدة بينكم خاصة، ومع باقي المسلمين عامة، فهذا من شأنه أن يوحد أمركم ويقوي عزمكم، ويعينكم على مواجهة عدوكم، قال ﷺ: " المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا. وشبك بين أصابعه". رواه مسلم.

وقال أيضاً: "عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية". رواه أحمد.

تاسعًا: إحياء سير الصالحين والعلماء والمجاهدين وإفشائها ونشرها بين أبنائنا وذلك بإدخالها ضمن المناهج الدراسية والتربوية لتحل القدوات الصالحة محل قصص اللاعبين والماجنين من الشرق والغرب.

عاشرًا: الحرص على التاريخ الهجري لأنه من شعار الإسلام ؛ وغيره تبعية لغير المسلمين كرهها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رفض أن يؤرخ بتاريخ لغير المسلمين.

حادي عشر: الاهتمام بالمسلمين في بقاع الأرض لا سيما الأقليات ودراسة أماكن تواجدهم والاعتناء بقضاياهم ومد يد العون لهم حتى لا يضيعوا بإهمال المسلمين لهم.

والله وحده من وراء القصد.

فهرس المحتويات

مقدمة ص٣

تحفة النفوس المطمئنة بشرح حديث" من يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا
قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ" ص٦

دعاء كشف الكرب "الله الله ربي لا أشرك به شيئا" ....ص ٣٢

الكون ينطق بتوحيد الله .... ص ٣٩

فضل التوحيد ص٥١

عون المنعم بشرح حديث "المسلم أخو المسلم" ص٦٢

الشرح الموضوعي لحديث : " لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا... " ص٧٨

فضل الدعاء آدابه وشروطه ص١١١

من مقاصد الصوم المستخرجة من حديث: " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ
إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي " ص١٣١

رمضان وتحقيق العبودية ص١٥٠

اغتنام العشر الأواخر من رمضان ص١٨١

ماذا بعد رمضان ؟؟ .... ص ١٩١

فتح الولي المغني بشرح حديث " من رغب عن سنتي
فليس مني" ص٢٠٧

خطبة بعنوان أحكام الأيمان ص٢٢٨
فضل التسبيح ص٢٥٣
التوبة ص٢٧٦
روائع الكلمات بشرح حديث" لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ
وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ .." ص٣٠٤
فضل الصبر ص٣٣٣
هتف العلم بالعمل ص٣٥٤
بديع الإنشا بشرح حديث" إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي
بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا .." ص٣٧٠
تقريب الفوائد بشرح حديث جريج العابد .... ص ٣٩٦
فضائل ذكر الله ص٤٣٧
فيض الرحمن بشرح حديث صفة الوضوء من رواية عثمان
رضي الله عنه ٤٤٨
فضائل الوضوء ص٤٦٣
فضل العلم وأهله ص٤٧٢
أحداث وأزمة الهوية .... ص ٥٠٥

ضرورة الهوية الإسلامية ....ص ٥٣٧

ولله الحمد والمنة

صدر للمؤلف

كتاب

دلالة الاقتران وجه الاحتجاج بها عند الأصوليين

تقديم

الشيخ سامي العربي أبي حفص

والشيخ وحيد بالي